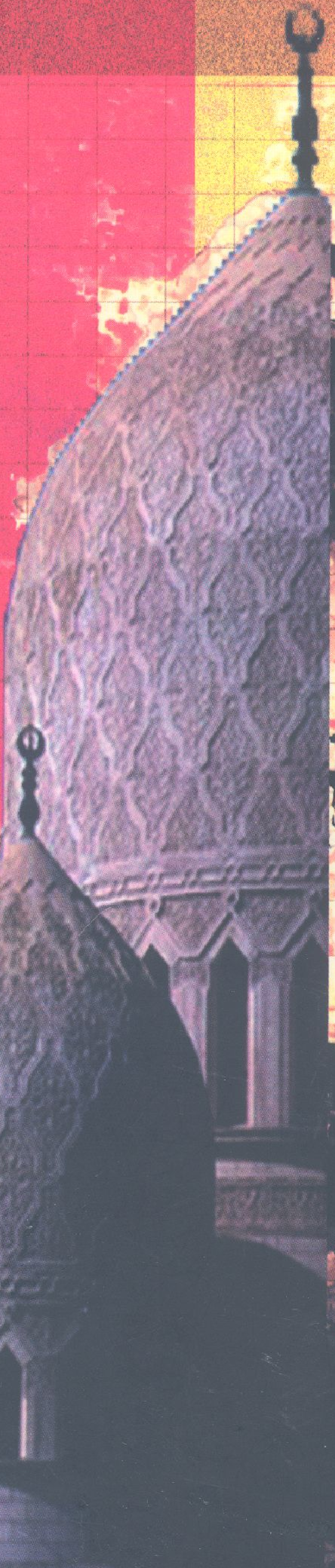
د. أحمد راسم النفيس

رحلتي مع الشيعة
المسير والمصير


إهـــداء٢٠٠٨
دار الكتب و الوثائق القومية
القاهرة

رحلتى مع الشيعة

المسير والمصير

د . أحمد راسم النفيس

الطبعة الأولى ٢٠٠٨



عنوان الكتاب: المسير والمصير والتبشير
اسم المؤلف : د. أحمد راسم النفيس
الناشر : مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات
قطعة رقم ٧٣٩٩ ش٢٨ من ش ٩ - المقطم - القاهرة
ت، ف : ٢٥٠٧٥٩١٧
e.mail : mahrosa@ hotmail.com

المدير العام : فريد زهران
الغلاف والإشراف الفنى للفنان : مجاهد العزب

التدقيق اللغوى : محمد عامر فاضل

رقم الإيداع : ١٥٦٩ / ٢٠٠٨

الترقيم الدولى : ٥ - ٢١٤ - ٣١٣ - ٩٧٧

المحتويات

مقدمة

أكتب هذه السطور في بداية العام ٢٠٠٧ حيث أصبح الحوار حول الملف الشيعي واحدًا من أبرز الملفات الساخنة في حياتنا الثقافية والسياسية المعاصرة .

قبل عقد واحد من الزمان لم يكن الجدل مثارًا بهذه الدرجة من السخونة ..

فما الذي تغير ودفع الحوار حول الملف الشيعي من أسفل قائمة الأولويات إلى المقدمة ؟!.

وقتها كانت غالبية المثقفين تنأى بنفسها عن الدخول فى هـذا الجـدل ، إمـا لاعتقادهم بعدم جدوى مناقشة (قضايا تاريخية) عفا عليها الزمـان كما يظنـون ، وربما لاعتقادهم الراسخ أن (أهل السنة) هم التطور الطبيعى لمسيرة الإسلام ، وأن التشيع لأهل البيت شكل تمردًا على هذا المسار ، وأن الأمور كلها كانت تسير على ما يرام ، وأن المؤسسات الدينية تؤدى دورها على أكمل وجه ، وأن ليس هناك ما يعكر صفو الحياة إلا العنف الذى تمارسه الجماعات المتطرفة ، فضلا عن تطرف الشيعة الذين (يسبون الصحابة) وباستثناء ذلك فكل شيء يسير على مـا يـرام ، وليس هناك ما يعكر صفو الحياة أو يدعو للتأمل أو إعادة النظـر فـى المفـاهيم الإسلامية السائدة ، بدءا بأحقية أهل السنة المطلقة التى لا ينازعهـا منـازع فـى تصدر المشهد الإسلامى ، من الصين شرقاً وحتى الولايات المتحدة غربًا وانتهـاء بصحة البخارى المطلقة التالية لصحة كتاب الله .

لا شيء يدعو هؤلاء للتأمل أو إعادة النظر فـى مـنهجهم والطريقـة التـى يتعاملون بها مع الدين ، بعد كل ما جرى طيلة هذا التاريخ الذى عاشـته الأمـة الإسلامية ، كما أنه ليس هناك حاجة لأى نوع من الأسف أو الندم ولا حتى علـى مقتل الحسين بن على بن بنت رسول الله ، خاصة بعد أن روى مـن روى عـن رسول الله صلى الله عليه وآله (أن من جاءكم ليفرق جمعكم وأنتم على قلب رجل واحد فاضربوه بالسيف كائناً من كان) ! وقد ارتكب الحسين هذا (الخطأ) فكـان من الضرورى أن يقتل ، كما كان من الضرورى هدم الكعبة بعد أن تحصن بهـا ابن الزبير ، ليتسنى لنا أن نلتف حول يزيد بن معاوية وكل يزيد يأتى من بعده إلى يوم الدين !!

أمة تمتلك أقوى جهاز للتبرير والإصرار ، وتعيش فى حالة دائمة متواصـلة من الإنكار ، أو كما يقول الغربيون (state of denial) وكـل مـا يعانيـه المسلمون من تخلف وانحطاط وفساد إما أنه يرجع إلى التآمر الغربى أو الانحراف العقائدى الشيعى !!

إذا قدر لك أن تتحاور مع شيوخ التبرير والإنكار يمكنك أن تتعلم منهم كل فنون المساومة ، ولكنهم لا يساومون من موقع الضعف أو الرغبة فى بيع بضاعتهم النافقة بأى ، ثمن بل من موقع القوة التى يحسون ؛ بها نظرًا لاستنادهم إلى حائط السلطة الذى يظنونه صلبًا والذى أبقاهم فى مواقعهم طيلة هذه القرون !!

يبدأون معك المساومة أو المحاورة من موقع الإنكار المطلق لورود أى نص يوصى باتباع أهل البيت ...

عندما تأتى لهم بالنص تلو النص ، يبدأ نوع آخر من المساومة ، وهو الزعم بأن النص غير صحيح رغم وروده فى كتب يرونها مقدسة ، ويرون أن أى نقد لها هو عدوان وتطاول على الإسلام ، ويكشف عن رغبة شريرة فى هدم الدين واقتلاعه من الجذور والأساس .

عندما يعجزون عن نفى النص ينتقلون إلى مرحلة أخرى من المساومة ، وهى نفى دلالة النص ، ويقولون لك لو كان هذا الفهم صحيحًا لالتزم به الصحابة والتابعون ..

بعد أن يفشلوا فى إلغاء النص ، ثم مدلول النص ، تبدأ مرحلة أخرى من المراوغة حول الحاجة إلى بحث النص ، وعن جدوى إثارة هذه القضايا فى هذا الوقت وليس هذا وقته يا أخى والغرب الصليبى الكافر يريد القضاء على الإسلام ودعونا نعمل فى صمت !!

عندما يفشلون فى إسكاتك تبدأ مرحلة أخرى من التهديد والوعيد والتخويف والباقى معلوم !!

ما الذى تغير إذاً وجعل الناس يتخلون عن حذرهم وخوفهم من المجهول الذى يعيشونه أو المجهول الذى ينتظرهم ويبدأون فى طرح الأسئلة عن الشيعة والتشيع لأهل البيت ؟؟

الذى تغير هو سقوط النظام الديكتاتورى الصدامى فى العاشر من أبريل عـــام ٢٠٠٣ ونهوض نظام سياسى جديد فى العراق يستند إلى إرادة الغالبية ، وبالتـــالى احتل الشيعة مكانة تتلاءم مع حجمهم السكانى لأول مـــرة فـــى تـــاريخ العـــراق والمنطقة ، وهو أمر لا يروق للحكام العرب المصابين بالغثيان والقرف من كل ما هو شيعى ، خاصة وأنهم يكتفون ببيع النفط لتدفئة الغرب ويزرعون الشوك فـــى حقولهم الواسعة رافضين زراعة أى شيء نافع ولو كان الليمون ، رغم أن ليمونة واحدة ربما كانت ستعينهم على مقاومة الغثيان الذى يحسون به عنـــدما يســـمعون كلمة شيعة ، ومن ثم كان هذا سيوفر عليهم المليارات التى أنفقت وما زالت تنفـــق دعما للجماعات الإرهابية من أجل مساعدتها فى مهمتها الجهادية المقدسة لتـــدمير العراق على رءوس أبنائه من كافة الطوائف والملل ، ومن قبلها المليارات التـــى أنفقت لدعم النافق صدام حسين فى حربه على إيران !!

التبشير الشيعى !!

الفريق الإعلامى الوهابى الأوركسترالى المعادى للشـــيعة والمـــدعم بطبـــول الحرب وآلات النفخ النحاسى التهييجى ، قام أخيرًا بإثارة الضجيج والصخب حول ما أسماه بالتبشير الشيعى فى البلدان التى خلصت للسنة !!

لم يخبرنا أحد من هؤلاء عن الطريقة التى خلصت بها هـــذه البلـــدان للســـنة وخاصة فى بلد مثل مصر ، يعرف القاصى والدانى أنها بقيت شيعية لأكثر مـــن قرنين من الزمان ، حتى استولى على السلطة فيها السيد صلاح الدين الأيوبى عن

طريق الخداع والتآمر والقوة الغاشمة وقام بمحو كل ما هو شيعى حتى أنه أغلق الجامع الأزهر لمدة مائة عام !!

لم يخبرنا أحد لماذا يعد المتشيع لأهل البيت متهمًا ومطعوناً فى دينه ومصداقيته وليس من حقه أن يدافع عن نفسه أو يشرح موقفه للناس ،علـه ينال العفو والرضا بينما يحتفظ غير الشيعة بالبراءة الأصلية وحقهم فى تأويل كل أنواع الشك لصالحهم ؟!

جماعة المطففين ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ المطففين : ٢ - ٣ ، على اختلاف فصائلها ترى أن من حقها هدم كل ما هو شيعى من خلال استخدام التشكيك وطرح الشبهات حول تاريخ الشيعة ورموزهم ، وفى نفس الوقت إحاطة مسلمات المعادين لنهج أهل البيت بهالة من القداسة ؛ واعتبارها مقدسات للأمة لا يجوز طرح النقاش حولها لأنهم يرون أن من يفعل هذا يشكك فى الدين ، ذاته ومن ثم فهو زنديق وكافر وعدو للدين ، إلى آخر تلك المعزوفة التى لا يمل هؤلاء من تكرارها !!

حديث الغدير من وجهة نظر القوم هو حديث ضعيف ولكن تعدد طرق روايته ترفعه إلى مقام الحديث الحسن ، ورغم كل ذلك فالأمر لا يعدو من وجهة نظر القوم مجرد وصية نبوية بحب أهل البيت !! .

رواية العرباض بن سارية (سنتى وسنة الخلفاء الراشدين) لم ترو إلا من خلال هذا السيد المحترم ، ناهيك عن أن رواتها كانوا من الجبهة الأموية إلا أنها وبسبب كثرة الترداد والتكرار أصبحت من المعلوم من الدين بالضرورة !!

من بين ما يراه القوم معلومًا من الدين بالضرورة أسطورة العشرة المبشـرين بالجنة وفى رواية التسعة المبشرين بالجنة والتى تحولت إلى ركن الاعتقاد السادس أو السابع (لا أحد يدرى إذ إن باب الحذف والإضافة ما زال مفتوحـاً !!) هـى أيضًا من روايات الآحاد التى لم يروها أحد إلا سعيد بن زيد بن نفيل !!

تسعة أم عشرة ؟؟!!

روى أحمد بن حنبل فى المسند قال :

حدثنا عبد الله حدثنى أبى حدثنا يحيى بن سعيد عن صدقة بن المثنى حـدثنى رباح بن الحرث بن المغيرة ، أن شعبة كان فى المسجد الأكبر وعنده أهل الكوفة عن يمينه وعن يساره ، فجاءه رجل يدعى سعيد بن زيد فحياه المغيرة وأجلسه عند رجليه على السـرير ، فجاء رجل من أهل الكوفة فاستقبل المغيرة فسـب وسـب فقال : من يسب هذا يا مغيرة قال : يسب على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : يا مغير بن شعب يا مغير بن شعب ثلاثاً ألا أسمع أصحاب رسول الله صـلى الله عليه وسلم يسبون عندك لا تنكر ولا تغير فأنا أشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما سمعت أذناى ووعاه قلبى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنى لم أكن أروى عنه كذبًا يسألنى عنه إذا لقيته أنه قال :

ـ أبو بكر ١ فى الجنة وعمر ٢ فى الجنة وعلي٣ فى الجنة وعثمـان ٤ فـى الجنة وطلحة ٥ فى الجنة والزبير٦ فى الجنة وعبد الرحمن ٧ فى الجنة وسعد بن مالك ٨ فى الجنة وتاسع المؤمنين فى الجنة لو شئت أن أسـميه لسـميته قـال : فأصبح أهل المسجد يناشدونه يا صاحب رسول الله من التاسع قال : ناشـدتمونى بالله والله العظيم أنا تاسع المؤمنين ورسول الله صلى الله عليه وسلم العاشر ثم أتبع يميناً قال : والله لمشهد شهده رجل يغبر فيه وجهه مع رسول الله صلى الله عليـه وسلم أفضل من عمل أحدكم ولو عمّر عمر نوح عليه السلام .

إنهم إذاً تسعة يزعمون أن رسول الله بشرهم بالجنة ، إذاً لا معنى لأن يبشر رسول الله نفسه بالجنة فهو البشير النذير والسراج المنير ولذا (قال سعيد بن زيد : وتاسع المؤمنين فى الجنة! يعنى نفسه) !!

-

القوم لهم معاييرهم العلمية والعقلية والأخلاقية التى يتعين على كل من أراد أن ينجو بنفسه من حروب التشهير والاغتيال المادى والمعنوى أنَ يستسلم لها وأن يرفع الراية البيضاء وألا يقاوم أو يحاول إعمال عقله إزاءها وإلا فسيل الاتهامات سيلاحقه فى داره وحول داره وفى عمله وهو من جنى على نفسه بنفسه وسعى نحو حتفه بظلفه .. وهذا هو الاعتقاد الصحيح وإلا فلا !!

أهل البيت (كما يزعم القوم) لم يكن لهم شيعة ولم يوص رسول الله باتباعهم ، كما أنهم لم يطلبوا من الناس الوفاء بعهد رسول الله لهم بل كانوا بكريين وعمريين وأمويين أيضًا !!

-

لو سألتهم من حارب على بن أبى طالب فى ثلاث حروب يشيب لها الولدان ؟ ومن الذى قال يوم أن بويع لعلى (ليت السماء انطبقت على الأرض) ؟ ومن الذى سجد لله شكرًا يوم استشهاده ؟ وكيف كانت أم المؤمنين عائشة لا تطيق أن تذكر عليًا عليه السلام بكلمة خير ؟ والعهدة على البخارى (٦٦٩ ــ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى ، قَالَ أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ يُوسُفَ ، عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ ، قَالَ أَخْبَرَنِى عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ قَالَتْ عَائِشَةُ لَمَّا ثَقُلَ النَّبِى صلى الله عليه وسلم وَاشْتَدَّ وَجَعُهُ اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يُمَرَّضَ فِى بَيْتِى فَأَذِنَّ لَهُ ، فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ تَخُطُّ رِجْلاَهُ الأَرْضَ ، وَكَانَ بَيْنَ الْعَبَّاسِ وَرَجُلٍ آخَرَ . قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لاِبْنِ عَبَّاسٍ مَا قَالَتْ عَائِشَةُ فَقَالَ لِى وَهَلْ تَدْرِى مَنِ الرَّجُلُ الَّذِى لَمْ تُسَمِّ عَائِشَةُ قُلْتُ لاَ . قَالَ هُوَ عَلِى بْنُ أَبِى طَالِبٍ) لم تحصل منهم على إجابة نافعة ولا رد مقنع !!

غاية ما يمكنك الحصول عليه منهم هو حزمة من الردود التافهة ، والزعم بأن هذه الرواية موضوعة ، وتلك ضعيفة وأن الراوى شيعى محتـرق ببدعتـه ؛ لأن التشيع لأهل البيت ولأن السلوك الطبيعى من وجهة نظر هؤلاء هو شذوذ ينبغـى التبرؤ منه وإدانته ، أما موالاة بنى أمية والسير في ركـابهم والصـلاة وراءهـم واعتبار كل من تمرد على شذوذهم وانحرافهم ــ فهى السلوك السوى وكل ما عداه فهو بدعة وضلالة ، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فهى فـى نـار بنـى أميـة والسائرين على دربهم إلى الهاوية !!

إدانة الشيعة !!

من الذى أصدر قرار الإدانة النهائية للشيعة ومعتقداتهم ؟؟!!.

هل هو الاتحاد العالمى لعلماء المسلمين المسجل فى أيرلندا أم مفتـى الدولـة الأموية أو مفتى الوهابية ؟!.

ولماذا عندما أعلن شيخ الأزهر السابق محمود شلتوت فتواه الشهيرة بحريـة الاختيار المـذهبى ، ضرب بها القوم عرض الحائط ولم يلتزمـوا بها ؟!.

لنقرأ ما ذكره الشيخ الدكتور عبد الودود شلبى ، الذى كان يعمل مديرًا لمكتب الشيخ شلتوت حول هذه الواقعة فى كتابه (كلنا إخوة شيعة وسنة) لنعرف مـدى الظلم والإجحاف الذى يمارسه قادة حرب التعتيم والإظلام فى حق الأمـة وحـق الشيعة وحق أنفسهم :

منذ أربعين عامًا وقع فى يدى كتاب " الخطوط العريضة " الذى كتبه (محب الدين الخطيب) فهالنى ما بين صفحاته من أقوال الكفر ، فما يقوله عـن الشـيعة خطير فليس من المعقول ولا من المقبول أن يكونوا أصـحاب ديـن غيـر ديـن المسلمين ، أو أن يكون موقفهم من أهل السنة هذا الموقف العدائى الكبيـر !! لـم يطاوعنى قلبى فى تصديق ما كتب وظللت مترددًا بين التصديق والتكذيب ، حتـى استقرت سفينتى فى النهاية على شاطئ الحق ففى عام ١٣٨٢ هـ انتدبت للعمـل

سكرتيرًا فنيًا فى مكتب الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق ، وكان من مهام وظائفى فى مكتب الإمام الراحل أن أرد على رسائله وأن أعرض عليه رسائل المسلمين التى تصل إليه كل يوم من كل ناحية ، وقد فوجئت برسائل الحب والمودة التى كانت تصل إليه من أئمة الشيعة ، كما فوجئت بردوده على رسائل هؤلاء الأئمة واعتزازه بهم كإخوة فى الإيمان والعقيدة ثم فوجئت ، بعد ذلك باختياره لبعض هؤلاء الأئمة أعضاء فى مجمع البحوث الإسلامية !!

سألته يومًا :

هل قرأت يا مولانا ما كتبه (محب الدين الخطيب) عن الشيعة ؟؟

ابتسم الشيخ ولم يتكلم !!

وحين أعدت عليه السؤال أخرج من مكتبه ورقة ثم قال ستجد فى هذه الورقة إجابتى على هذا السؤال !!

الفتوى التى هزت عالم الجهلة والمتعصبين :

كانت هذه الورقة صورة من الفتوى التى أصدرها بجواز التعبد على مذهب الشيعة الإمامية ونص الفتوى كما جاء فى أقوال الإمام الأكبر :

١- إن الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه اتباع مذهب معين بل نقول أن لكل مسلم الحق فى أن يقل ــ بادئ ذى بدء ــ أى مذهب من المذاهب المنقولة نقلا صحيحًا والمدونة أحكامها فى كتبها الخاصة ولمن قلد مذهبا من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره ، أى مذهب كان ولا حرج عليه فى شىء من ذلك .

٢- إن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الإثنى عشرية مذهب يجوز التعبد به شرعًا كسائر مذاهب أهل السنة .

فلماذا يصر هؤلاء السادة على فرض حالة من التعتيم حول هذا الملف وإبقاء الناس فى حالة من الجهل ؟!

الأمر إذاً لا يتعلق (بتبشير) بل بتنوير الناس وتعريفهم بما غيب عنهم من معلومات وحقائق ، ويبقى لهم حق الاختيار ، إذ لا يمكن لأحد أن يسلب منهم إرادتهم أو أن يلغى عقولهم .

لبنان

لقد كان الحدث اللبنانى المتمثل فى انتصار حزب الله فى مواجهة الكيان الصهيونى وآلته العسكرية الجبارة ، التى فرضت حالة من الرعب على العالم العربى (السني) منذ نشأتها عام ١٩٤٨ وحتى حدث هذا التحول عام ٢٠٠٦ ، فى وقت كان القادة العرب يهيئون شعوبهم لقبول الكيان الصهيونى كحقيقة ثابتة غير قابلة للنقض ولا للتفكيك ، وحجتهم فى ذلك هزائمهم المتكررة أمام هذا العدو فى أغلب المعارك التى حدثت بينهم وبينه.

مثلت صورة المقاتل المنتصر التى ظهر بها حزب الله فى مواجهة العدو الإسرائيلى المتفوق تكنولوجيًا وماديًا صدمة نفسية هائلة للآلة الإعلامية العربية العنصرية (المصابة بالغثيان من كل ما هو شيعي) ، والتى كانت وما زالت تصر على تقديم المسلم المتشيع لأهل بيت النبوة فى صورة كائن شاذ ومنحرف عن صراط العرب المستقيم ونهجهم القويم !!

ورغم كل الجهود التى بذلتها هذه الأجهزة الإعلامية الفاسدة والمنحطة أخلاقيا قبل وأثناء وبعد الحرب ؛ لإقناع ضحاياها العرب بأن خطر الشيعة على الإسلام هو أكبر من خطر الصليبية والصهيونية ، فإذا بهم يفاجئون بأن الشيعة هم من يدافع عن الإسلام والمسلمين وأن الهزائم التى مُنى بها العرب لم تكن راجعة للتفوق الإسرائيلى التكنولوجى أو التآمر الأمريكى وحسب ، بل بسبب فشلهم الأخلاقى والإدارى ، وربما بسبب خيانة وتواطؤ بعض هؤلاء الحكام مع العدو الإسرائيلى .

لم يقف الزلزال الذى أحدثه انتصار حزب الله عند حد انكشاف العورة االسياسية لبعض النظم العربية ، وتخاذلها فى مواجهة العدو الخارجى ، بل كشفت أيضا عن خلل البنى السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية العربية المنخورة بالفساد والتمييز الطائفى والعرقى .

ورغم أن عدد الشيعة يناهز نصف عدد سكان لبنان ، فهم لا ينالون حصة سياسية عادلة ؛ إذ ليس من الممكن أن يكون أى من رئيس الجمهورية أو رئيس الوزراء منهم ، كما أن الشيعة عانوا أغلب فترات التاريخ العربى من التمييز الاجتماعى المضاد فى عالم ، تنهب فيه الثروة ممن يملك السلطة بينما يحرم الأكثر كفاءة والأكثر استحقاقا ، ويكفى أن يكون المرء متشيعًا لأهل البيت عليهم السلام ليجرى حرمانه من حقه الطبيعى فى تكافؤ الفرص ، فالحرية كل الحرية (لشعب الله المختار) من الحكام وأعوان الحكام وأعوان أعوان الحكام ولا حرية ولا حق ولا كرامة لأعداء (شعب الله المختار) !!

البحرين !!

الأبواق العربية المنافقة التى تحدثت وما زالت تتحدث عما تسميه بالاختراق الشيعى لمصر هى نفسها التى لزمت صمت القبور إزاء ما يجرى فى البحرين من ظلم واضطهاد مخطط ، ضد الغالبية السكانية الشيعية التى كانت ساحقة ، ولكنها لم تعد كذلك فى ظل الحكم المطلق لآل خليفة ، الذين يعيشون فى حماية الأسطول الأمريكى الخامس ، والمتحالفين فى الوقت نفسه مع الوهابية العالمية بشقيها (السلفيين والإخوان المسلمين) .

خرجت أخيرًا مأساة الغالبية الشيعية فى هذا البلد إلى العلن بعد انشقاق الدكتور صلاح البندر ، وهو خبير بريطانى من أصل سودانى ــ كان يعمل فى البحرين ــ على هذا النظام ، بعد أن عمل فى خدمته لفترة من الوقت ، وكان أن قام بكشف العديد من الأسرار والمخازى التى تفوق فى بشاعتها ما جاء فى خطة بندر بن سلطان الأمريكية السعودية .

في محاضرة ألقاها الدكتور صلاح البندر بتاريخ ١٣-٢-٢٠٠٧ أمام معهد إنتربرايز الأمريكي في واشنطن قال الرجل ما يلي :

إن أحد أعظم التهديدات للعملية الديمقراطية في البحرين هو الاكتشاف الخطير لـ " الشبكة السرية " في أغسطس ٢٠٠٦م والخطط العملية المعلنة في يناير ٢٠٠٧م والتي تحتوي على خطط خمسية أعدت للعمل من أجل ضمان الاستحواذ السني على الغالبية الشيعية في البلاد .

الرد الرسمي لهذه الطائفية المتفردة البشعة كان محاولة تشويه سمعة " مركز الخليج للتنمية الديمقراطية " والتهرب من التقارير النزيهة التي يثيرها الصحفيون .

لقد انخفض الدعم الشعبي للنظام من أكثر من ٩٨% في الاستفتاء الشعبي عام ٢٠٠١م على ميثاق العمل الوطني إلى ٣٧% وهي قاعدة الأقلية الإخوان المسلمين والجمعيات الوهابية بعد انتخابات عام ٢٠٠٦م .

منذ عام ٢٠٠١م تعتبر البحرين الحليف الرئيسي خارج حلف الناتو وتستضيف الأسطول الخامس للبحرية الأمريكية المعروف بدوره المتصاعد في الصراعات الإقليمية : العراق وأفغانستان وإيران . جاءت بعدها " اتفاقية التجارة الحرة " وكان أكتوبر ٢٠٠٦م نقطة تحول في التحالف مع الولايات المتحدة . لأول وهلة في تاريخ البحرية الملكية البحرينية – وبخلاف دول الخليج ــ تشارك البحرين بشكل فعال في عمليات (ليدنغ إدج Leading Edge) على مقربة من المياه الإيرانية والتي تم فيها اعتراض سفينة تحمل مواد نووية لدولة تريد بناء قدرة نووية . اليوم الديوان الملكي البحريني سعيد جداً بأن يُنظر إليه باعتباره حليفاً أقرب إلى العالم الحر .

البحرين والكويت فيهما مجتمعات شيعية مهمة ويدركان جيدا أنهما لو تحالفا مع الولايات المتحدة قد يواجهان اضطرابات داخلية خطيرة وزعزعة استقرار سياسي . وهذا هو السبب وراء الزيارات المكثفة بين العائلتين المالكتين فى الكويت والبحرين . تمارس البحرين ضغوطاً كبيرة على الكويت من أجل التوسط الإيجابى مع واشنطن بغرض السماح للملك بمساحة أكبر للتعامل مع المد المتصاعد للمعارضة الداخلية بذريعة كونهم تهديدا لأمنهم الوطنى وللمصالح الأمريكية .

أكثر القضايا خطورة والتى لا يرغب أحد فى التحدث عنها هى الزواج القائم بين الديوان الملكى والأقلية (الإخوان المسلمين والوهابيين) من أجل احتواء الغالبية من المعارضة السياسية تحت ذريعة مقاومة الشيعة والخطط الإيرانية ، وهذا ـ لاشك ـ سيزعزع الشرق الأوسط برمته وربما أبعد من ذلك .

إن خطط " المنظمة السرية " تبدو بوضوح وكأنها كتلة سنية ضد أخرى شيعية ، ولا شك أن الخطة تتجاوز حدود البحرين بكثير .

البحرين هى عاصمة للصرافة الإسلامية ، ومنها يتحكم الإخوان المسلمون والوهابيون بشبكة من ٣٠٠ مؤسسة مالية إسلامية فى ٤٠ دولة . ومنذ ٩/١١ فإن هذه المصارف تنمو بنسبة ٢٠% سنويًا . اليوم يسيطرون على إجمالى موجودات تفوق ٣٠٠ بليون دولار .

٧٠% من جميع الإيداعات فى دول مجلس التعاون الخليجى الست هى الآن فى أيدى هذه البنوك ، وبحلول عام ٢٠١٣ سيفوق المبلغ التريليون دولارًا والهدف السياسى هو السيطرة الكاملة على إدارة هذه الموارد بمبدأ " الأسرع الأحسن " .

جدير بالذكر بأنه من الأسهل بكثير على الشيعى الانضمام إلى الحرس الملكى أو قوة دفاع البحرين ، وليس أحد هذه البنوك التى تدار حصريًا وعبر شبكة مناصرة متصلة مباشرة من قبل إسلاميين سنة فى هذه الدول .

عملية إعادة الهيكلة السياسية منذ عام ٢٠٠١م وصلت نهايتها فى ديسمبر ٢٠٠٦م . أى أن ٥ سنوات من التوتر السياسى والنكسات تعمقت بدل أن تُحبط عبر انتخابات عام ٢٠٠٦م[١].

ونمضى مع التقرير الذى فضحه البندر والذى يكشف لنا كنزًا من الأسرار عن الطريقة التى تفكر بها النخب العربية الحاكمة (البحرين نموذجًا) حيث ذكرت الوثائق السرية المتسربة ما يلى :

(لا بد من الإسراع فى القيام بتحركات واسعة النطاق تشمل مجالات متعددة من أجل إعادة التوازن للنظام السياسى البحرينى ، الذى يعانى حاليا من اختلال لصالح الشيعة على حساب السنة ، ويمكن ذلك من خلال تدشين مشروع سرى مداه الزمنى ٥ سنوات قابلة للتمديد من أجل تحقيق التوازن بين السنة والشيعة فى البلاد) .

(ويهدف المشروع لحماية مملكة البحرين من أى تدخلات خارجية من القوى الإقليمية ، التى زاد دور الشيعة فيها مثل العراق وإيران ، فضلا عن حماية الطائفة السنية فى البحرين من أية محاولات شيعية لتهميش دورها فى المجتمع البحرينى) .

ويعدد التقرير السرى بعض التحديات التى تواجهها الطائفة السنية مثل (ازدياد الوعى السياسى عند الشيعة عن نظيره لدى السنة ، وسيطرة الشيعة على

---

[١] http://bandargate.com/article/٤٠/AEI٥

مناصب الإدارة التنفيذية العليا فى بعض الوزارات مثل وزارة الكهرباء والصحة فضلا عن سيطرة الشيعة على الجمعيات الحقوقية) .

اقترح التقرير بعض الآليات لمواجهة هذا الخطر مثل (زيادة الدور السياسى لعلماء الدين السنة للقيام بدور فاعل فى تحريك الطائفة السنية وتشكيل مواقفها السياسية ، من خلال صلاة الجمعة ودروس المساجد ، وإقامة تحالف إستراتيجى مع بعض الجمعيات السياسية السنية ، مثل جمعية المنبر الوطنى الإسلامى وجمعية الأصالة الإسلامية ؛ بهدف توفير الحد الأدنى من التنسيق بين التنظيمات السياسية لدى الطائفة السنية) .

ولا ينسى التقرير الإشارة للجانب المالى وأهمية دعم السنة ماليًا مقابل التضييق على الشيعة ومراقبة مصادر تمويلهم .

ورغم أن التقرير يتحدث عن غالبية سكانية شيعية تبلغ نسبتها ٧٠% فإنه يرى ذلك ظلمًا وإجحافاً ويدعو لإعداد دراسة معمقة من أجل تحديد الآليات والبرامج وتحديد جدول زمنى افتراضى يتعادل فيه الحجم الديموغرافى للطائفة السنية مع الطائفة الشيعية ، كما يدعو إلى زيادة معدلات تجنيس السنة العرب من غير البحرانيين لتحقيق هذا الهدف (النبيل)!!

هل رأيتم عدالة ورغبة فى تحقيق المساواة بين السنة والشيعة أعظم من العدالة على الطريقة البحرينية ؟!

ويمكن لمن يريد الاطلاع على النص الكامل للتقرير والمزيد من التفاصيل الدخول على الرابط التالى :

http://www.bahrainrights.org/files/albandar.pdf

سنة وشيعة !!

ولأنهم لا يكفون عن قول إن نسبة السنة إلى الشيعة فى العالم الإسلامى هى تسعة إلى واحد ولذا فهناك وفرة من السنة يمكن إرسالهم إلى البحرين لتحقيق (المساواة) المطلوبة ، وهناك فى مصر على سبيل المثال فائض بشرى (سني) فى صعيد مصر يعجز عن تحصيل قوته اليومى فى موطنه الأصلى ، فكان أن ترك الكثير من هؤلاء نجوعهم وقراهم وزحفوا شمالا نحو الوجه البحرى ، وهم يفترشون الآن أرصفة الشوارع يبيعون الفواكه والخضروات ، ومن الممكن إرسالهم إلى البحرين أو إلى أى مكان يعانى من اختلال نسبة السكان لصالح الشيعة فور طلبهم تحقيقاً للعدالة على الطريقة البحرينية !!

إلا أن القوم يريدون (سنة) من نوع خاص .. (سنة) من الإخوان والوهابيين القادرين على إدارة مؤسسات التمويل ومؤسسات الدعاية المضادة للشيعة والصراخ فى مواجهة التهديد الفارسى الصفوى للعروبة والإسلام !!

لو كان القوم حقاً يبكون على (السنة) الذين تبلغ نسبتهم ٩٠% من المسلمين كما يزعمون لتسربت بعض من هذه الأموال التريليونية التى تحدث عنها صلاح البندر إلى البلدان (السنية الخالصة) التى يخشى عليها القرضاوى وعمارة من فتنة التشيع ولجرى استثمارها فى مشاريع تنموية ، تنقذ الغالبية السنية الكاسحة التى لا يكف هؤلاء عن الصراخ باسمها من الجوع والبطالة والمرض ، ولا تصب أرباحها بالضرورة لدعم نشاط الجماعات الوهابية التكفيرية التى تتقاضى أجرًا عن كل كلمة سب أو شتم توجهها إلى الشيعة فى هذه البلدان ؟!

أليسوا يزعمون أنهم خائفون على عقيدة الغالبية الساحقة من أهل السنة والجماعة ؟!

الواجب الأخلاقى يحتم على هذه الدول الخائفة على أهل السنة وعقيدتهم أن تسعى لانتشالهم مما هم فيه من فقر وتخلف بدلا من إنفاق المليارات على الدعاية

للأفكار التكفيرية وتمويل العصابات الإرهابية التى تنسف المساجد وتفجر النساء والأطفال والأبرياء فى أسواق وجامعات العراق ؟!

.

الأمر إذاً لا يتعلق بانقسام المسلمين إلى (شيعة مطاريد) و(سنة منعمين مرفهين) لأن المصطلحات الفقهية والمذهبية لدى تلك الفئات الحاكمة لا تعدو كونها نوعا من الرماد الذى يجرى ذره فى العيون ؛ من أجل التعمية على البسطاء حيث يقوم هؤلاء الشياطين بمخاطبة كلاً بلغته التى يفهمها علها تفلح فى هدهدته ثم تنويمه فلا يرى ولا يسمع ومن ثم لا يتكلم !!

فهناك لغة لمخاطبة الجماهير الذين لا يعرف أكثرهم معنى كلمة شيعة ولا كلمة سنة وما هو الفارق بين الشيعى والشيوعى !!

الجماهير تحتاج إلى خطاب داخلى تنويمى فى مواجهة ما تعانيه من مصائب وويلات على يد (شركائهم فى الدين والمذهب) وهى فى الوقت ذاته تحتاج إلى خطاب تهييجى غوغائى يستثير حماستها ويدفعها نحو التضحية والموت فى ساحات الوغى (فى سبيل الله يا أخي!) ضد معارضى النظام وضد أعداء أصدقاء النظام (كما هو الحال بالنسبة لإيران عدو أمريكا وإسرائيل أصدقاء النظم العربية) !!

إنهم يستنفرون الجماهير المغيبة للقتال فى سبيل إله الدولار الأمريكى لأن عدو صديقى عدوى حتى ولو كان عدو صديقى هو شقيقى فى الإسلام !!

ولا عزاء للمغفلين المضحين الانتحاريينَ خاصة وأنهم انتحروا بملء إرادتهم بل ووقفوا صفوفاً ليسمح لهم بالانتحار !!

وهناك خطاب البنكنوت الموجه للمنظمين والمهيجين فتتفجر قريحتهم أنهارًا من الكلمات الزاعقة والخطب الرنانة تستنهض الجماهير وتحفزها للوقوف فى طابور المنتحرين (فى سبيل الله) يا أخى ، أو تناشدهم ليقوموا قومة رجل واحد ليقاطعوا الجبن الكرافت الدانماركى (رغم أن أغلبهم نسى طعم الجبن القريش) ليدافعوا عن (العقيدة المهددة) ضد (التبشير الشيعى والخطر الفارسى) الذى يهدد العروبة والإسلام .

ولا أدرى ما هى علاقة فقراء الصعيد وعراة الصومال بالجبن الدانماركى ؟!.

عندما كانت إسرائيل تقصف بطائراتها وصواريخها شيعة لبنان انطلقت هذه الأصوات نفسها تناشد المسلمين أن يلزموا الصمت وأن ينبطحوا على بطونهم انبطاحة مخنث واحد (لأن حزب الله شيعة ولأنهم يسبون الصحابة ويفترون على أم المؤمنين عائشة) يا أخى !!!

هؤلاء هم من يستصرخون الهمم الآن للوقوف فى مواجهة عدو وهمى من صنع خيال الأنظمة الحاكمة المريض وأجهزتها القمعية التى تقف فى ظل هؤلاء ، تأمر وتنهى وتقضى وتبرم ولا تسأل عما تفعل بينما يسأل هؤلاء الشيوخ عما لا يعلمون فيجيبون لا يترددون ولا يتلعثمون ، رغم أنهم إلى قرآن نبيهم الذى يحضهم على الدعوة إلى الوحدة ونبذ الفرقة لا يرجعون وبه لا يهتدون ولا يعنيهم إلا أمر دنياهم وما يقبضون !!

تحدثنا جماعة (المنظمين المهيجين) دومًا بأن نسبة الشيعة فى العالم الإسلامى لا تزيد عن ١٠%!! وأنهم رغم ذلك يشكلون تهديدًا لعقيدة الغالبية السنية السعيدة والراضية بما هى فيه والمترضية على أبى بكر وعمر وعثمان وعائشة فى الفطور والغذاء والعشاء ، بينما تقول تقارير التنمية الاقتصادية والاجتماعية إن

نسبة الفقر والتخلف فى هذا العالم المنكوب بهذا التحالف الأسود والمشئوم بين أباطرة الحكم وتجار الدين وسماسرة الإعلام تقارب ٩٠% أى أن العكس تمامًا هو الصحيح !!

المعنى واضح وبسيط وهو أن الظلم والتمييز يطال السنى مثل الشيعى (وللشيعى عليهم درجة) !! وأن الشيعة ظلموا وحرموا وهم يعرفون مَن ظلمهم وظلم الجميع ، أما جماهير السنة فظلموا وحرموا ولكنهم عجزوا عن تحديد مصدر هذا الظلم!!

ولأن (السنة) درجات بعضهم فوق بعض فهناك المحظوظون من سنة الخليج وحلفائهم من الإخوان المسلمين والوهابيين الذين يديرون تريليونات النفط نيابة عن الصفوة الحاكمة المستأثرة بالسلطة والثروة ، وهناك (سنة الصعيد الجواني) الزاحفين إلى أرصفة مدن الوجه البحرى والقاهرة بحثاً عن لقمة تسد رمقهم وجلباب ممزق يستر عوراتهم !!

ثم يخرج الشيخ القرضاوى وتابعه عمارة يبكى ويستصرخ من أجل مواجهة خطر التبشير الشيعى الذى يهدد سنة الصعيد الجوانى بالانحراف العقائدى ، رغم أن الفقر كاد أن يكون كفرًا وليس انحرافاً عقائديًا !!

يمكننا القول إذاً إن أعضاء هذا التحالف المشئوم يستصرخون ضحاياهم من الفقراء المستضعفين والمظلومين للدفاع عن إدامة هيمنتهم وابتزازهم للسلطة والثروة ، والأمر كله لا يعدو كونه غشاً وتضليلا تارة باسم الدين وتارة ثانية باسم المذهب وتارة ثالثة باسم الدفاع عن الوطن .

إنها معادلة تقوم على الآتي : السلطة كلُ السلطة للسلاطين أما الذهب فيجرى قسمته (بالعدل) بين السلاطين وفقهاء الذهب والبنكنوت ، الذين يقومون بحراسة

المذهب حتى يفرغ السلاطين للتمتع بالسلطة والذهب والنساء أما الجماهير فلها فتات الذهب وشعارات المذهب ، أما الشيعة فليس لهم نصيب فى الذهب ولا أحد يعترف بمذهبهم !!

الفارق بين الجمهور السنى والجمهور الشيعي ، أن الجمهور الشيعى قرأ التاريخ وهو يعرف أن الطبقة الحاكمة جلها كمعاوية ومن على شاكلته ، وأن طبقة المنظمين والمهيجين من رجال الدين الذين يصعدون المنابر ويظهرون الآن فى الفضائيات يصرخون واسنتاه واعروبتاه هم مثل عمرو بن العاص ومن على شاكلته !

إنهم يصمتون على قتل الحسين ويحملونه المسئولية عن دمه المسفوك ويصرخون بأعلى صوتهم فى مواجهة ما يسمونه بالخطر الشيعى الصفوي.

ينقل البخارى عن أحدهم (كنت شاهداً لابن عمر ، وسأله رجل عن دم البعوض ، فقال : ممن أنت ؟ فقال : من أهل العراق ، قال : انظروا إلى هذا ، يسألنى عن دم البعوض ، وقد قتلوا ابن النبى صلى الله عليه وسلم ، وسمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : (هما ريحانتاى من الدنيا) .

إنهم يعملون الآن بعلم أو بغير علم لصالح التحالف الصليبى الصهيونى بلا كلل ولا ملل ولا خجل ثم هم يصرخون فى مواجهة ما يسمونه بالتبشير الشيعى !!

شيوخنا وعمرو بن العاص !!

الشيعة يعرفون كيف باع عمرو بن العاص ضميره ودينه لابن آكلة الأكباد كما يفعل الآن كثير من وعاظ السلاطين والرواية لنصر بن مزاحم فى كتاب صفين قال :

لما نزل الإمام على عليه السلام إلى الكوفة بعد فراغه من أمر معركة الجمل ، كتب إلى معاوية كتاباً يدعوه إلى البيعة أرسله مع جرير بن عبد الله البجلى ، فقدم عليه الشام فقرأه فاغتم بما فيه وذهبت أفكاره كل مذهب ، وطاول جريرا بالجواب حتى كلم قوما من أهل الشام فى الطلب بدم عثمان ، ووثقوا له وأحب الزيادة في الاستظهار ، فاستشار أخاه عتبة بن أبى سفيان فقال له استعن بعمرو بن العاص فهو من علمت فى دهائه ورأيه وقد اعتزل عثمان فى حياته وهو لأمرك أشد اعتزالا **إلا أن يثمن له دينه فسيبيعك فإنه صاحب دنيا** ، فكتب معاوية إليه : أما بعد فإنه كان من أمر على وطلحة والزبير ما قد بلغك وقد سقط إلينا مروان بن الحكم فى نفر من أهل البصرة وقدم علينا جرير بن عبد الله البجلى فى بيعة على وقد حبست نفسى عليك فأقبل أذاكرك أمورًا لا تعدم صلاح مغبتها إن شاء الله . فلما قدم الكتاب استشار ابنيه عبد الله ومحمدًا فقال لهما ما تريان ؟ فقال عبد الله أرى أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قبض وهو عنك راض والخليفتان من بعده وقتل عثمان وأنت عنه غائب ، فقر فى بيتك فلست مجعولاً خليفة ، ولا تزيد على أن تكون حاشية لمعاوية على دنيا قليلة ، أوشكتما أن تهلكا فتساويا فى عقابها ، وقال محمد أرى أنك شيخ قريش وصاحب أمرها وإن تصرم هذا الأمر وأنت فيه غافل تصاغر أمرك ، فالحق بجماعة أهل الشام وكن يدا من أيديهما طالبًا بدم عثمان ، فإنه سيقوم بذلك بنو أمية ، فقال عمرو أما أنت يا عبد الله فأمرتنى بما هو خير لى فى دينى وأنت يا محمد فأمرتنى بما هو خير لى فى دنياى ، وأنا ناظر ، ودعا عمرو غلامه وردان وكان داهيا ماردًا فقال له ارحل يا وردان ، ثم قال احطط يا وردان ، ثم قال ارحل يا وردان احطط يا وردان فقال له وردان خلطت أبا عبد الله أما إنك لو شئت أنبأتك بما فى قلبك ، قال هات ويحك قال اعتركت الدنيا والآخرة على قلبك فقلت على معه الآخرة فى غير دنيا ومعاوية معه الدنيا بغير آخرة ، وليس فى الدنيا عوض من الآخرة وأنت واقف بينهما ، قال قاتلك الله ما أخطأت ما فى قلبى فما ترى يا وردان ؟ قال أرى أن تقيم فى بيتك فإن ظهر أهل الدين عشت فى عفوهم ، وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك ، قال الآن لما شهرت العرب سيرى إلى معاوية فارتحل .

فسار حتى قدم على معاوية وعرف حاجة معاوية إليه فباعده من نفسه وكايد كل واحد منهما صاحبه ، فقال له معاوية يوم دخل عليه : أبا عبد الله طرقتنا فى ليلتنا ثلاثة أخبار ليس فيها ورد ولا صدر ، قال وما ذاك ؟ قال منها أن محمد بن أبى حذيفة كسر سجن مصر فخرج هو وأصحابه وهو من آفات هذا الدين ، ومنها أن قيصر زحف بجماعة الروم ليغلب على الشام ، ومنها أن عليًا نزل فى الكوفة وتهيأ للمسير إلينا . فقال عمرو وليس كل ما ذكرت عظيمًا أما ابن أبى حذيفة فما يتعاظمك من رجل خرج فى أشباهه أن تبعث إليه رجلا يقتله أو يأتيك به ، وإن قاتل لم يضرك ، وأما قيصر فأهد له الوصائف وآنية الذهب والفضة وسله الموادعة فإنه سريع ، إليها وأما على فوالله يا معاوية ما يسوى العربى بينك وبينه فى شيء من الأشياء ، وإن له فى الحرب لحظا ما هو لأحد من قريش ، وإنه لصاحب ما هو فيه إلا أن تظلمه . وروى نصر أيضًا : أن معاوية قال لعمرو يا أبا عبد الله إنى أدعوك لقتال هذا الرجل الذى عصى الله وشق عصا المسلمين وقتل الخليفة المظلوم وأظهر الفتنة وفرق الجماعة ، قال عمرو ومن هو قال على ، قال والله يا معاوية ما أنت وعلى حملى بعير !! ، ليس لك هجرته ولا سابقته ولا صحبته ولا جهاده ولا فقهه ولا علمه ، ووالله إن له مع ذلك لحظاً فى الحرب ليس لأحد غيره **ولكنى قد تعودت من الله إحساناً وبلاء جميلا فما تجعل لى إن شايعتك على حربه وأنت تعلم ما فيه من الغرر والخطر ؟ قال حكمك فقال مصر طعمة... فتلكأ عليه معاوية ثم قال له يا أبا عبد الله إنك إنما دخلت فى هذا الأمر لغرض الدنيا ، قال عمرو دعنى عنك (يعنى لا تحدثنى بمثل هذا الكلام الفارغ) فقال معاوية إنى لو شئت أن أمنيك وأخدعك لفعلت قل عمرو لا لعمر الله ما مثلى يخدع لأنا أكيس من ذلك** . ثم أنشأ يقول :

معاوى لا أعطيك دينى ولم أنل ... به منك دنيا فانظرن كيف تصنع
وما الدين والدنيا سواء وإننى ... لآخذ ما تعطى ورأسى مقنع
و لكننى أغضى الجفون وإننى ... لأخدع نفسى والمخادع يخدع

و أعطيك أمرا فيه للملــك قــوة　　وألفي به إن ذلت النعــل أصـــرع
و تمنعنى مصرا وليست برغبة　　و إنى بذا الممنوع قدمـــا لمولـــع

فقال له معاوية أما تعلم أن مصر مثل العراق ؟ قال بلى ولكنها إنما تكون لى إذا كانت لك وإنما تكون لك إذا غلبت عليًا على العراق وكان أهل مصر قد بعثوا بطاعتهم إلى على عليه السلام ، فلما حضر عتبة بن . أبى سفيان فقال يا معاويـــة أما ترضى أن تشترى عمرًا بمصر إن هى صفت لك ليتك لا تغلب على الشام .

استمرت المساومات والمشاورات وأشار المستشارون الأمويون على معاويـــة بأن لا مانع من إعطاء مصر لعمرو بن العاص فهو ثمن يهون من أجل بقاء الملك لبنى أمية .

فأرسل معاوية إليه فأعطاه مصر فقال عمرو ولى عليك الله بذلك شاهد قـــال نعم لك الله على بذلك إن فتح الله علينا الكوفة فقـــال عمرو والله على مـــا نقـــول وكيل . فخرج عمرو من عنده فقال له ابناه ما صنعت قال أعطانا مصر طعمـــة ، قالا وما مصر فى ملك العرب ؟ قال لا أشبع الله بطنكما إن لم تشبعكما .

اكتفى عمرو بن العاص بمصر طعمة له ولأبنائه من بعده ، ولكـــن وعـــاظ السلاطين وفقهاء البنوك والبنكنوت النفطى الممزوج بدماء المسلمين المستضعفين من الســـنة والشـــيعة لم يشـــبعوا ؛ فهم من صنف لا يمـــلأ جوفـــه إلا التـــراب والرماد !!

تراب القبور ورماد كيان الأمة الذى طالما احترق فى حروب عبثية بعثية تارة فى أفغانستان وأخرى ضد إيران وثالثة لإخراج أخيهم صدام من الكويت ، وهاهم الآن يجهزون لحرب رابعة ضد إيران!!

ما هى علاقة هذا الصنف من المخلوقات بالإنسانية أو بالدين أو بالسنة النبوية أو بالتشيع لأهل البيت أو بالولاء لأى مبدأ أو قيمة أخلاقية فيما عدا شهوتى البطن والفرج وثالثة الأثافى شهوة السلطة وسفك الدماء ؟!

تغير المناخ :

هذه هى بعض الأسباب التى غيرت المناخ السائد ودفعت رجل الشارع لمحاولة معرفة من هم الشيعة (حتى ولو كان على طريقة اعرف عدوك) بعد أن كرس النظام العربى جهده وإمكاناته لمواجهة الخطر الشيعى !!

فما هو هذا الخطر الشيعى ؟!

هل هو يعض أو يلدغ ؟ ، وهل الشيعة كائنات فضائية تزرع فى إيران ؟ ، ولماذا تتعامل النظم معهم بهذه الطريقة الفظة والشاذة من أجل تحقيق ذلك الهدف الوهم وهو القضاء على التشيع بصورة نهائية وشطبهم من خريطة المنطقة ؟ ، ولماذا يتعين أن تتخلص المنطقة من خطرهم ؟!

حرب بندر !!
جاهلية القرن الحادى والعشرين

أصبح العداء للتشيع أو (إستراتيجية بندر) هو العنوان الرئيسى للسياسة العربية فى الحقبة الراهنة ، وإلى أن تعود إلى العرب عقولهم التى ضيعها الغرور ووهم القوة الزائف المرتكن إلى تحالفهم مع الولايات المتحدة الأمريكية التى تعيش بدورها غروب شمس القوة الأحادية المطلقة والهيمنة الكونية الشاملة على المنظومة الدولية .

ما يجرى الآن من تحركات محمومة لا تختلف فى منطقها عن منطق الحروب الصليبية البائدة، حروب المصالح والغرائز والسيطرة المطلقة باسم الدين وإرادة الرب ، والرب من كل ظلم وعدوان على حق العباد ودمائهم وأعراضهم برىء .

كان من المفترض أن يبقى الحديث عن الأفكار والعقائد بعيدًا عن تقلبات السياسة والمصالح ، إلا أن هذا يبقى حلمًا بعيد المنال فى عالم يخضع فيه كل شيء لاعتبارات السياسة والمصالح وليس لحسابات العقل والضمير !!

أخيرًا جاء التقرير الذى نشره الصحفى الأمريكى سيمور هيرش فى مجلة النيويوركر الأمريكية (انظر الملاحق) ليضع النقاط على بعض الحروف ويكشف عن بعض خبايا حرب جاهلية القرن الحادى والعشرين التى قرر العرب المتحالفون مع أمهم الهاوية أمريكا ــ شنها على الشيعة فى كل مكان .

الخطة المؤامرة لم تتكشف فجأة مع تقرير سيمور هيرش بل بدت معالمها فى الظهور من خلال تلك التطورات السياسية والأمنية المحمومة التى شهدتها المنطقة ، ثم كانت التصريحات التى أطلقها البعض فى أعقاب سقوط طاغية العراق صدام حسين عن خطورة الهلال الشيعى على مستقبل المنطقة ومستقبل التسوية مع إسرائيل ، ثم تكشفت الأمور رويدًا رويدًا مع تطورات لبنان ثم اغتيال رفيق الحريرى ، ثم الخروج السورى من لبنان وما تبع ذلك من مسلسل الاغتيالات ، ثم جرى تتويج كل هذا بالهجوم الإسرائيلى على حزب الله اللبنانى الذى كان أحد محاور الارتكاز الرئيسية فى خطة المدعو بندر بن سلطان بن عبد العزيز التى تبنتها واشنطن وأوكلت مهمة تنفيذها لأجهزة المخابرات العربية المتحالفة معها ، كل حسب دوره ومنطقة عمله !!

ما يعنينا هنا هو الشق الدينى من خطة بندر الأمريكية التى ينفذها من تحدثنا عنهم سابقاً من فقهاء الذهب والمذهب والبنوك والبنكنوت .

ما إن أقر الجانب التنفيذى للخطة حتى انطلق هؤلاء ينفذون الدور المرسوم لهم حيث ذكرت القبس الكويتية أن الشيخ القرضاوى (٢-٩-٢٠٠٦) أعرب عن استيائه من اختراق الشيعة لعدد من البلدان السنية ، وقال" فى حال حدوث ذلك بشكل موسع سيشب حريق يأكل الأخضر واليابس " ، مشيرًا إلى أحد الكتاب المصريين ويدعى د . أحمد راسم النفيس (كاتب هذه السطور!) من مدينة المنصورة (شمال القاهرة) وهو شيعى أصدر كتابًا هاجم فيه آراء القرضاوى الدينية ورؤيته للأحداث .

وحتى لا يقال إن التصريحات السابقة كانت فلتة لسان فقد عاد الرجل وأكد فى تصريحات لجريدة (المصرى اليوم) بتاريخ (٢٦-١١-٢٠٠٦) علــى ضــرورة احترام ما يراه (خطوطاً نهائية للتقسيم) بين السنة والشيعة قائلا (إنكارى علــى حسن نصر الله كان بسبب محاولة استغلال انتصاره لاختراق المجتمعات السنية ، الشيعة يريدون أن يشــيعوا أهل السنة وهذا الذى رفضته ، الشيعة شيعة والســنة سنة) !!

ولك أن تلاحظ أن تصريحات الشيخ التى تتحدث عن (محاولــة نصــر الله استغلال انتصاره لاختراق المجتمعات السنية) قد انطلقت فور وقف إطلاق النار ، بينما كان مئات الآلاف من الشيعة اللبنانيين المشردين بسبب القصف الإســرائيلى الوحشى فى العراء (وربما ما زالوا حتى الآن) وهو كلام يكشف عــن ســابق ترتيب واتفاق على إطلاق هذه التصريحات لمنع الشيعة عامة وحزب الله خاصــة من الاستفادة السياسية من انتصارهم فى مواجهة الآلة العسكرية الصهيونية الجبارة وهو حق طبيعى ومشروع لهم !!

كما أعلن الدكتور محمد سليم العوا القريب من خط الإخوان يــوم ٢٠/١١/٢٠٠٦ أن أحد أهم أسباب المشكلات الحالية فى العلاقة بين السنة والشيعة هــو محاولــة بعض المنتسبين إلى المذهب الشيعى الإمامى التبشير به بين أهل السنة فى الــبلاد التى خلص الإسلام فيها لمذاهب السنة دون سواهم . وهذا أمر يحدث فى مصــر وفى المغرب وفى عدد من أقطار إفريقيا ، وله خطورته فى توسيع الهــوة بــين المذهبين وفى إنشاء عداوة بين أتباعهما أو إذكائها[٢] .

ثم جاءت التصريحات النارية التى أطلقها الشيخ القرضاوى على هامش مــا سمى بمؤتمر التقريب بين المذاهب الذى عقد فى الدوحــة بتــاريخ ٢٣/١/٢٠٠٧

[٢] http://www.alarabiya.net/Articles/٢٠٠٦/١١/٢٠/٢٩٢٥١.htm

عندما اعتبر أن فكرة التقريب أصبحت على المحك ، وأنها تواجه امتحاناً كبيرًا ، " إما أن تنجح وتؤتى أكلها وإما أن نفض السيرة " مشيرًا إلى أن جهود التقريب بدون مصارحة وتحديد أسباب المشاكل ، لن تؤدى إلى شيء . وطالب الشيعة باتخاذ موقف صريح وواضح فى مسألة سب الصحابة ، مؤكدًا أنه لن يحدث تقارب مادام هناك سب للصحابة وأمهات المؤمنين .

وقال : " لا يمكن أن يحدث تقريب بين من يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ومن يقول عمر بن الخطاب لعنه الله .. أو من يقول عائشة رضى الله عنها ، ومن يلعنها ويلصق بها أبشع التهم " . وشدد على ضرورة وضع حد لما أسماه عمليات التبشير الشيعى فى بعض المجتمعات السنية ، معلناً عدم موافقته على ما يقوله الشيخ التسخيرى بأن التبشير الشيعى هو تبشير فردى وليس منظمًا ، قائلا : " التبشير الشيعى هو أمر مبرمج وترصد له ميزانيات وله برامجه العملية " واستنكر امتداد التبشير الشيعى إلى فلسطين معتبرًا إياه فتنة أخرى تضاف إلى ما يعانيه الفلسطينيون من محن[٣].

تونى بلير رئيس الوزراء البريطانى أدلى هو الآخر بدلوه فى قضية التبشير الشيعى عندما اتهم إيران فى ديسمبر ٢٠٠٦ (باتباع إستراتيجية تهدف إلى وصول التوتر فى الشرق الأوسط إلى أقصى مدى بالإضافة إلى محاولة إشعال نيران الطائفية والصراع فى المنطقة)[٤]

أما عن الدور الأمريكى فى تسعير الهياج ضد التبشير الشيعى المزعوم فحدث ولا حرج ، وكان آخر تجليات هذا الدور هو الزيارة التى قام بها نائب الرئيس

---

[٣] http://www.qaradawi.net/site/topics/article.asp?cu_no=٢&item_no=٤٧٢٨&version=١&template_id=١٨٧&parent_id=١٨

[٤] http://news.bbc.co.uk/low/arabic/world_news/newsid_٦٣٢٨٠٠٠/٦٣٢٨٨٥٥.stm

الأمريكى ديك تشينى للعربية السعودية يوم ٢٠٠٦/١١/٢٢ حيث جمعه لقاء بالملك السعودى اقترح فيه نائب الرئيس الأمريكى تشكيل تحالف يتكون من بعض الدول العربية (السنية) وإسرائيل فى مواجهة الخطر الشيعى الذى تمثله إيران وحلفاؤها فى المنطقة[٥] .

كما ذكر موقع النبأ الإلكترونى بتاريخ ٢٠٠٧/٢/١٦ نقلا عن مصادر سياسية إسرائيلية وأوروبية متطابقة أن المملكة العربية السعودية تسعى جاهدة فى هذه الأيام لإطلاق مبادرة سلام جديدة بين إسرائيل والدول العربية ، هدفها الأساسى منع الجمهورية الإسلامية فى طهران من مواصلة التأثير على مجريات الأمور فى منطقة الشرق الأوسط ، أو كما قالت المصادر ذاتها ، منع المد الشيعى من الوصول إلى الدول العربية والإسلامية التى تَصنّفُ أمريكيًا وإسرائيليًا بالدول المعتدلة حسب نقل صحيفة القدس العربى .

وقال مراسل شئون الشرق الأوسط فى القناة الثانية للتليفزيون التجارى الإسرائيلى ايهود يعارى إن المملكة العربية السعودية تخشى من تنامى قوة إيران فى الشرق الأوسط ، وبالتالى فإن مبادرتها الجديدة تهدف أساسًا لوضع حد لما أسماه التدخل الإيرانى السيئ فى سياسات بعض الدول العربية .

وأوضح ، أن السعوديين يعكفون فى هذه الأيام على إجراء اتصالات مكثفة مع الدول العربية المعتدلة لدرء الخطر الإيرانى المحدق ، على حد تعبيره . وبحسب التليفزيون الإسرائيلى ، فإن صناع القرار فى الرياض يسعون للحصول على موافقة من الدول العربية المعتدلة على إدخال التعديلات على المبادرة العربية التى طرحت لأول مرة فى مؤتمر القمة العربية فى مارس فى بيروت عام ٢٠٠٢ ، وسميت لاحقاً بالمبادرة السعودية متضمنة الاعتراف الكامل بالدولة العبرية وتطبيع

---

[٥] http://www.aljazeera.com/me.asp?service_ID=١٢٨٢٧

العلاقات معها ، وسيتم طرح المبادرة المعدلة فى مؤتمر القمة العربية الذى سيعقد فى العاصمة السعودية الرياض ، فى شهر مارس ٢٠٠٧[٦] .

وتابع التليفزيون الإسرائيلى قائلاً : إن السعوديين سيقومون بطرح المبادرة المعدلة والإعلان خلال مؤتمر القمة ، وإن الدولة العربية التى ستعارض التعديل ستعتبر خارجة عن الصف العربى [٧] .

الأخبار عن ذلك التحالف المشئوم جاءت من مصادر متعددة من بينها حيث كتب شيمى شاليف فى صحيفة هاآرتس الإسرائيلية بتاريخ ٢٠٠٦/٨/٢٨ ، فى أعقاب فشل العدوان الإسرائيلى على حزب الله ، عن نصيحة اليهودى مارتين إنديك السفير الأمريكى الأسبق لدى إسرائيل بإقامة تحالف بين من وصفهم بالدول السنية العربية المعتدلة لمواجهة النفوذ المتصاعد للمحور الإيرانى الشيعى فى المنطقة .

ثم جاء دور الدكتور محمد عمارة وكتابه الفضيحة المسمى (فتنة التكفير بين الشيعة والوهابية والصوفية) والذى ألقى فيه باللائمة على إيران والشيعة فى إسقاط الدولة العثمانية حيث يقول (وفى عصرنا الحديث وبعد أن استغل الاستعمار الغربى التشيع الصفوى الإيرانى فى إضعاف الدولة العثمانية ثم أخذ فى احتلال ولايات هذه الدولة الإسلامية الجامعة ولاية بعد ولاية) ثم زاد الرجل طينه بلة فقال دحضًا لإعجاب الناس بما حققه حزب الله (ومن الخطأ البين أن يقودنا الإعجاب بالثورات والبطولات إلى الإعجاب بديانتها وعقائدها ومذاهبها فنتحول عن عقائدنا ومذاهبنا إلى هذه العقائد والمذاهب التى تؤمن بها تلك الشعوب .. لقد انبهر العالم كله ببطولات الجيش السوفييتى فى ستالينجراد دون أن ينبهر أحد

---

[٦] تم طرح المبادرة بالفعل فى قمة الرياض .

[٧] http://annabaa.org/nbanews/٦١/٣٠١.htm

بعقيدة الجيش الأحمر) ومن ثم فقد أخذ الرجل يعدد بطولات الشيوعية فى معرض التحذير من الانبهار بالعقيدة الشيعية[٨]

٨ ص٨٥ فتنة التكفير - قضايا إسلامية- وزارة الأوقاف- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية يناير ٢٠٠٧.

أول الطريق
نشأتى الأولى

ولدت عام (١٣٧٢هجرية /١٩٥٢م) . كان أبى (رحمه الله) من رجال التعليم ، أما جدى فكان عالمًا من علماء الأزهر الشريف يقوم بالخطابة فى مسجد القرية (سلامون القماش) الواقعة على بعد كيلومترات قليلة من مدينة المنصورة ، وكان له (منتدى) يجتمع فيه المثقفون من أبناء هذه القرية والقرى المجاورة ، يتعلمون على يديه العلوم الدينية والفقهية والأدبية .

تفتحت عيناى على أسماء الكتب والمؤلفات الحديثة لطه حسين والعقاد ،وكم دارت مساجلات فى بيتنا حول الشعر والأدب بين أبي(رحمة الله عليه) وبين أصدقائه من الشعراء والأدباء الذين حفلت بهم آنئذ مدينة المنصورة ، تلك المدينة الجميلة (سابقاً) التى تقع على شاطئ النيل .

تعلمت من أبى وجدى (رحمة الله عليهما) حب القراءة والاطلاع . قرأت كل ما وقع تحت يدى من كتب أثناء طفولتى إلا كتاباً واحدًا عجزت عن مواصلة القراءة فيه ، وهو (أبناء الرسول فى كربلاء) للكاتب المصرى خالد محمد خالد ، كنت أجهش بالبكاء وأعجز عن مواصلة قراءته فكيف يمكن إنساناً كائناً ما كان دينه أو مذهبه أن يتحمل هذه الوحشية الهمجية بأعصاب هادئة ونفس مطمئنة ، وكأن الأمر لا يعدو مجرد حادث سير عادى أو أنه كان تمردًا سياسيًا أخمدته السلطة الأموية مضطرة وآسفة لاستخدام تلك الوسائل العنيفة رغم إرادتها ؟! . مضت أيام العمر الأولى دون حوادث كبرى فقد كان أبى رحمة الله عليه هادئاً لا يرتبط بأى اتجاه سياسى أو دينى من تلك الاتجاهات التى حفلت بها مصر خلال هذه الحقبة ، ومن ثم فإن تفاعلنا مع العواصف والأعاصير الفكرية التى ضربت مصر فى تلك الفترة .... فترة الخمسينيات كان من خلال ما نسمعه عن اعتقال هذا القريب أو ذاك الصديق دون أن تتعرض أسرتنا الصغيرة لشيء من تلك الهزات والحمد ، لله ولكن الثابت أن عقلى الصغير يومها قد حمل الكثير من الانفعالات والانطباعات عن تلك الأحداث وكان أغلبها فى اتجاه التعاطف مع الضعيف المظلوم . ذلك التعاطف الذى أراه الآن امتدادًا لتلك العاطفة الجياشة البكاءة على مصاب آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى كربلاء ، فالنسيج الإنسانى فى أساسه واحد متوحد يأنس إلى الرحمة والسلام ، والصدام بين البشر أياً كان سببه أو محوره أو حتى مدى اتساعه هو الاستثناء وليس القاعدة ، ومحاولة ترسيخه وتأصيله على محور عقائدى أو مذهبى أو عرقى ، وإعطائه صفة الاستمرار ــ هى جريمة بلهاء ينبغى إدانتها .

من هنا كانت النشأة الأولى صاحبة البصمة الباقية فى نفسى على إسلام فطرى واع كان وما زال موجودًا وراسخاً فى عمق بيئتنا الاجتماعية ، إسلام يجنح إلى السلام وعدم القفز إلى المجهول . وهى رؤية تختلف بكل تأكيد عن أولئك الذين يزعمون أنهم أعادوا اكتشاف إسلامهم بعد كل هذه القرون وتفننوا فى إطلاق كافة

النعوت والأوصاف على كل من لم ينخرط فى حظيرتهم التنظيمية واعتبارهم (جاهلية معاصرة وغير معاصرة ومرتدين) . وشتان ما بين رؤيتين رؤية ترى أن ما تقوم به من عمل وما تقدمه من جهد إنما يتكامل مع ما قام به الآباء والأجداد المسلمون . وتحاول أن تسد نواقصهم . ورؤية أخرى يرى صاحبها فى نفسه أو يرى المنتفعون من حوله أنه مجدد القرن وربما القرون السابقة ومكتشف الإسلام من جديد ومعيد الناس إلى حظيرة التوحيد على طريقة (إنى وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم يأت به الأوائل) .

الجمعية الشرعية

فى العام(١٣٨٨هجرية/١٩٦٨م) افتتح بالقرب من منزلنا مسجد (الجمعية الشرعية) كانت الجمعية تطرح على الناس حديثاً عن الإسلام والمسلمين منددة بالبدع التى دخلت على الدين . وكانت ترفع شعارًا مضمونه : أن لا خلاص للمسلمين مما هم فيه إلا بتنقية الإسلام مما علق به من البدع والخرافات ، وأهمها بكل تأكيد ما يفعله الناس من قول سيدنا (محمد) صلى الله عليه وآله وسلم بدلا من (محمد) فقط مجردًا من جميع الألقاب بالرغم من قوله تعالى فى سورة النور آية ٦٣ ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴿٦٣﴾ ﴾ النور : ٦٣ ، والمصيبة الكبرى عندهم هى الصلاة على النبى وآله عقب الأذان ، أما الشرك الأعظم ــ كما يرون ــ فهو بكل تأكيد زيارة قبور الصالحين من آل البيت أو غيرهم ، وفات هؤلاء وأتباعهم إلى يومنا هذا أن من يدعى القدرة على تشخيص البدعة لا بد أن يكون قادرًا على معرفة السنة بل وقادرًا على معرفة الدين معرفة صحيحة . والمسألة ليست مجرد شعارات وصوت مرتفع والدليل على هذا أنهم أضافوا إلى الدين بدعهم هم ، مثل صلاة التراويح فى شهر رمضان جماعة فى المساجد . والالتفاف حول هؤلاء القراء المطربين أصحاب الأصوات الجميلة الرنانة الذين تحولوا إلى أئمة ، وحولوا قراءة القرآن إلى أغان وألحان مع علمهم وإقرارهم أنها بدعة ولكنهم يرونها بدعة عمرية حسنة (نسبة إلى عمر بن الخطاب) ، بينما هم قد منعوا الأذانين يوم الجمعة واكتفوا بأذان واحد ؛ لأن

الأذانين بدعة عثمانية (نسبة إلى عثمان بن عفــان) وإذا كــان جمــال البدعــة وعمريتها (مثل التغنى بالقرآن وقراءته بالألحان) يمنحها الشرعية وحق التوســع والانتشار فما هو العيب فى الصلاة على النبى وآله فى أعقاب الأذان ؟ وما هــو العيب فى الاجتماع على الذكر فى أعقاب الصلاة ؟ فالمسألة كلها رأى واستحسان ولا شيء سوى الرأى والاستحسان !!

اجتذبتنا هذه الدعوة (التصحيحية ؟) لفترة من الوقت ، وما لبث المســجد أن تحول إلى مجرد مكان للصلاة ، ثم لا شيء .

فى الجامعة

حصلت على الثانوية العامة عام (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) بمجموع مرتفع أهلنــى لدخول كلية الطب بمدينة المنصورة فى جمهورية مصر العربية ، التى سبقنى إليهــا أخى الأكبر المولع بالنشاط الفني ، وهو ما أهله لدخول اتحاد الطلاب . وكــان هــذا حافزًا لى على خوض التجربة نفسها ولكن فى مجال النشاط الثقــافى ، وكــان هــذا المجال هو النافذة التى فتحت لى باب الاطلاع على الصراعات الفكرية والسياسية التى امتلأت بها الساحة المصرية طوال فترة السبعينيات .

كان التيار الشيوعى لا يزال نشطا من خلال المواقع التى احتلها أثناء الحقبــة الناصرية . والواقع يقول إن الحجم الإعلامى لهذا التيار كان أكبر بكثير من حجمه الحقيقى .

كان التيار الدينى يتحرك بصورة خجول محاولا اكتساب بعــض المواقــع ، وكان من الطبيعى أن يحدث الصدام بين التيارين خاصة وأن بعض قــادة التيــار اليسارى كانوا يتصرفون بصورة مستفزة للجميع .

كانت المرة الأولى التى دخلت فيها إلى اتحاد الطلبة عـام ١٩٧٠- ١٩٧١ ، كنا وقتها فى إعدادى طب ومازلنا تابعين لكلية العلوم ، أما المرة الثانية فكانت فى العام ١٩٧١-١٩٧٣ وقت أن كانت كلية طب المنصورة تابعة لجامعـة القـاهرة وكنت أميناً للجنة النشاط السياسى والثقافى بالكلية وبالتالى كنت عضوًا فى اللجنة الثقافية العليا لاتحاد طلاب جامعة القاهرة ومن هنا كنت شـاهدًا علـى صـراع التيارات والأفكار فى هذه الآونة التى كنت أراها كما لو كانت صراعًا بين القوى العظمى !!

شهدت تلك الفترة من ١٩٧١ وحتى ١٩٧٣ سلسلة من الأحداث والتململات فى أوساط المجتمع المصرى أشهرها أحداث (عام الحسـم) الشـهيرة ، فـالرئيس المصرى الراحل أنور السادات كان يعشق إطلاق صواريخ الشعارات الملونـة ، ومن بينها شعار الثورة الخضراء ، والثورة الإدارية ، وآخرها عام الرخاء المسمى عام ١٩٨٠ ، وجاء فى وسط تلك الشعارات (أن عام ١٩٧١ هو عام الحسـم) . لماذا ؟!

لا أحد يدري ، قيل بعد ذلك إن الأمـر كـان ينـدرج فـى إطـار الخـداع الاستراتيجى للعدو الإسرائيلى وربما كان هذا صحيحًا وعلى كل فإن الرجـل قـد مات وسره معه ، المهم أن العام فات ولم يأت الحسم ؟!

المهم ، جاء يناير ١٩٧٢ ولم يأت الحسم!! وتحركـت الجامعـات وتحـرك المثقفون حركة احتجاجية على عدم مجـيء الحسـم الموعـود ، وكـان هنـاك اعتصامات ومؤتمرات فى الجامعات ومن بينها جامعة المنصـورة ، وكنـا مـن المشاركين فى قيادة هذا التحرك وطلع علينا السادات (المحشور فى زاوية الموقف العالمى والعربى والداخلى والعسكرى البائس) بأسطورة (الضباب) أى الحـرب الهندية الباكستانية التى حالت بينه وبين اتخاذ قرار الحرب ، وانهالـت التعليقـات

الساخرة والمتهكمة على الرجل من كل ناحية ، ذلك الرجل الذى كان يعيش يومها فى (حالته الديمقراطية) تلك الحالة التى جعلته يحتمل كل هذا الطـــرق الـــداخلى والخارجى دون أن يلجأ إلى (سياسة القمع والمنع والحصار) وهو ما أصبح بعد ذلك سياسة يومية ثابتة .

لست ساداتياً ولا ناصرياً ولا من جمعية أنصار هذه الحكومة أو تلك والعكس تمامًا هو الصحيح ، ولكن لا بد لنا أن نسمى الأشياء بأسمائها ، فيوم أن انـــدلعت هذه الأحداث تحرك رجالات النظام الموجودون على الساحة المحلية نحو الحوار .

جاء إلينا ذلك الرجل المهذب محافظ الدقهلية آنئذ (السيد .. عبد المجيد شديد) وكان من رجال ثورة يوليو وتحاور معنا مطولا فى قلـــب الاعتصـــام السياســـى المنصوب فى المدرج الرئيس لكلية الطب ، لم يشتمه أحد ولم يتطاول عليه أحد ، ولا هو أطلق تهديدات الاعتقال والحبس ، وإنما جلس ساعات طوال يتحاور مـــع الأبناء فكلنا أبناء لمصر ، ولماذا لا تكون العلاقة بين المسئولين وشـــباب الأمـــة علاقة حوار بين الابن وأبيه بدلا من تلك العلاقة بين الجلاد والمحكوم بالإعـــدام ؟ فإن قال قائل لقد خرج هؤلاء من لغة الحوار إلى لغة القنبلة والرصاص قلنا لا بد أن يبقى الحوار لأهل الحوار والحزم كل الحزم لمن يخرج عن قواعد الحوار .

كانت تلك الأحداث وتلك الحوارات مدرسة تعلمنا فيهـــا الكثيـــر مـــن الخبـــرات والتجارب ولا شك أننا استفدنا من الحوار مع ذلك الصـــنف مـــن رجـــالات الدولـــة المحاورين الذين هم رصيد لكل أمة تعتمد عليهم وعلى جهدهم .

فى العام ١٩٧٥ وبعد سلسلة من الصدامات الفكرية والسياســية مـــع هـــؤلاء الزملاء خضنا الانتخابات الطلابية تحت راية التيار الإسلامى فى مواجهة التيـــار اليسارى وانتهت المعركة بهزيمة اليسار تلك الهزيمة التى أخرجته من موقع قيادة

الحركة الطلابية إلى يومنا هذا واستلمت رئاسة اتحاد الطلاب بكلية طب المنصورة لمدة عامين متتالين.

وللحق والحقيقة وبالرغم من اختلافى الفكرى والسياسى مع هؤلاء الزملاء فقد كان سجالنا معهم سجالا ديمقراطيًا لم يحدث فيه أى نوع من العنف البدنى ولا اللفظى وما زلت أحتفظ بصداقة ومودة أغلبهم إلى يومنا هذا ، ناهيك عن أنه ليس فى مصر يسار ملحد ، اللهم إلا القليل منهم والغالبية من هؤلاء كانوا من المبهورين بشعارات العدالة الاجتماعية وحلم الاشتراكية .

هذه واحدة ، أما الثانية فهى أن وجودنا على ساحة العمل الطلابى تزامنت مع فترة الانفتاح الديمقراطى التى عشناها أيام السادات وأيًا كان رأى الآخرين فيه فنحن نقيم الفترة .

ما زال أغلب اليساريين يناصبون السادات العداء ولا يرون فى الإصلاحات التى قام بها إلا خدعة ومناورة رغم أنه (الوحيد) الذى ألغى حالة الطوارئ القائمة فى مصر منذ انقلاب العام ١٩٥٢ ، أى أنه فتح ثقبًا حتى ولو كان صغيرًا فى حائط القمع الذى يحاصر الشعب المصرى ويمنعه من التنفس والتعبير عن رأيه ، ويحول بينه وبين ممارسة أى نوع من أنواع السياسة والفكر ، والذى قام نظام مبارك بإعادة سده بالخرسانة المسلحة منذ اغتيال السادات وحتى يومنا هذا !

لم يكن هناك وقتها أى وجود تنظيمى للإخوان المسلمين فى الوسط الطلابى ، ذلك الوجود الذى ظهر بعد ذلك ، ولم يتوفر لدينا مليم واحد من ذلك الدعم الذى يتحدثون عنه الآن فى مذكراتهم السياسية ، سواء مذكرات فؤاد علام أم غيره ، والدعم الوحيد الذى قدمه النظام وقتها للتيار الإسلامى فى جامعة المنصورة أنه لم

يقم بقمعه إذا كان هذا يعد دعما وأنا على ذلك من الشاهدين ، أما ما جرى في جامعات أخرى فنحن لم نشهده ولا نعتقد أن الأمر اختلف كثيرًا عن هذا .

والشاهد أن توجه الناس كان وما زال ناحية الإسلام حتى وإن كنا نختلف مع هؤلاء (الإسلاميين) في رؤيتهم فنحن لا نتناقش في حتمية التزام المنهج الإسلامي وإنما نختلف معهم في كيفية التزام هذا المنهج .

هل دعم النظام تحرك التيار الإسلامى فى جامعة المنصورة ؟

ذكرنا من قبل تلك التفوهات التي أطلقها جنرالات السلطة المهزومون وحكماء الغرف المكيفة بأن (التيار الإسلامي) هو صناعة ساداتية ولا بأس هنا أن نذكر كيف تعامل معنا ممثل السلطة في كلية الطب آنئذ ، إنه وكيل الكلية السابق وعميدها بعد ذلك وعضو اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي وقتها وأحد مؤسسي حزب مصر العربي الاشتراكي ، أول حزب أسسه السادات ، ولا داعي لذكر الأسماء ، فبالرغم من كل شيء فقد كانت للرجل حسناته وكان ينتمي إلى جيل قد انقرض ولم يعد له وجود ، إذا قورن بسقط المتاع الذين يعملون الآن في خدمة السلطة ، والخدمة الوحيدة التي يقدمونها في مقابل السلب والنهب وتسريب أسئلة الامتحانات والتلاعب بدرجات الطلاب والفجور الذي يمارسونه هو توسيع قاعدة الكارهين والمعارضين للنظام ، وأشهد أن شيئاً من هذا الفجور لم يكن من صفات الرجل ولكنه وبرغم كل شيء كان رجل النظام في الكلية وربما في الجامعة فماذا فعل بنا ؟

كانت في مواجهة تحركنا في انتخابات عام ١٩٧٥ عقبتان :

كانت الأولى معلومة لنا ، وبقيت الثانية سرًا في جراب الحاوي أما المعلومة لدينا فهي أن موعد انتخابات الصف الخامس (جديد) تلك الدفعة التي كنت أنتمي لها سيكون أثناء أدائها لامتحانات السنة الرابعة ، ومعلوم أن مواعيد الامتحانات في

كلية الطب تختلف عن بقية الكليات الجامعية ، أما العقبة الثانية التى بقيت سرًا فى الجراب فتمثلت فى قرار صدر لحساب الدكتور (شعبان حافظ الشافعي) الأستاذ بجامعة الزقازيق وعضو مجلس الشعب الآن ورجل السلطة آنئذ والمرشح لرئاسة اتحاد طلاب الجمهورية وقتها ، وكان لهم ما أرادوا باعتبار أن من لم ينه امتحانات البكالوريوس كلها يعتبر طالبًا مستجدا ويحق له الترشيح والتصويت بالمخالفة لقوانين الجامعات ، والعقل والمنطق الذى يقول إن كلية الطب تتكون من خمس مراحل لا غير ، ولكنها ببركة هذا القرار تحولت إلى أكثر من ست مراحل .

وبدأت المساومات بيننا وبين (اليساريين الشرفاء) المهيمنين على الاتحاد السابق والمستندين إلى دعم ممثل النظام حيث عرضوا علينا نصف مقاعد الاتحاد المخصصة للدفعة وإلا .. ولم يفصحوا عن هذه الـ إلا ورفضنا أى نوع من المساومة .

وجاء يوم الانتخابات وكان من شبه المستحيل إحضار هؤلاء الطلاب من بيوتهم والامتحانات على الأبواب والكثير منهمْ يقيم خارج المنصورة ولكن الحماس العام والرغبة الملحة فى التغيير فاجأت اليسار المستند لحائط السلطة بأننا أحضرنا أكثر من نصف العدد المطلوب (نصف عدد دفعة واحدة فقط) وقبل أن ينتهى موعد الانتخابات بربع ساعة جاء إلينا (الثورى النورى الكلمنجي) بقرار موقع من وكيل الكلية والمشرف على الانتخابات بإضافة الدفعة السابقة التى كانت تؤدى امتحانات التخرج وقتها وأعلننا بأن العدد غير قانونى والإعادة باكر بربع العدد وكانت ضربة مؤلمة ومهينة وغادرة وكان التحدى وقمنا فى اليوم الثانى بإحضار ربع عدد الدفعتين وقبل أن تنتهى انتخابات اليوم الثانى بلحظات جاء إلينا ذلك (اليسارى الديمقراطي ؟!) يبشرنا بأن انتخابات الإعادة باطلة ! لماذا أيها الرفيق ؟ أجاب لأن انتخابات اليوم الأول كانت باطلة وهذا اليوم يعتبر يوم انتخابات جديد وبدأت المساومات والمفاوضات بيننا وبين هؤلاء (الشرفاء) الذين يزعمون الآن أن السادات تآمر عليهم وقام بتسليم الجامعات للإسلاميين !

رفضنا كل هذه العروض واشتعل الموقف وقررنا الاعتصام فى الكلية وتحرك الشرفاء الحقيقيون وعلى رأسهم المرحوم الأستاذ الدكتور كمال الدين كامل أحمد عميد الكلية وقتها الذى أوقف هذه المهزلة ووقف معه رئيس الجامعة الأستاذ الدكتور عبد المنعم البدراوى وأعلن انتصارنا وقام اليساريون بسحب فلولهم وما تبقى من كرامة من ساحة المعركة .

الحركات الإسلامية بين الاستعمال والعمالة :

كانت وما زالت إحدى وسائل الاغتيال السهلة لخصوم الفكر والسياسة هى وصمهم بالعمالة ــ تلك الوسيلة التى لم يسلم أحد من استخدامها إلا القليل ممن عصم الله ألسنتهم من أكل لحوم الناس بالباطل ــ ومن هنا جاءت تلك الاتهامات التى أطلقها خصوم (التيار الإسلامي) ضدهم بأن نظام السادات قد **أوجدهم وربما اخترعهم** من أجل استخدامهم ضد خصومهم السياسيين خاصة التيار اليسارى الذى يرى نفسه هو (المعبر الشرعى والوحيد عن عموم الشارع المصرى ولو كان ذلك من خلال استخدام الأساليب سالفة الذكر) . وهو اتهام يمتد ليشمل جميع (فصائل التيار الإسلامي) الموجودة على الساحة يومها سواء كانوا الإخوان أم الحركة الطلابية العاملة داخل الجامعة .

الخطأ الأكبر الذى وقع فيه من يستسهلون إصدار وتوزيع صكوك العمالة على مخالفيهم فى الرأى أو حتى على أعدائهم ممن حملوا السلاح ــ أنه يصرف الانتباه عن الأسباب والجذور الحقيقية التى أوجدت هذا التيار ودفعته للتحرك صحيحة كانت أم باطلة .. فهذا عميل للأمريكان وذاك عميل لإيران (لا أحد يتكلم عن عملاء صدام حسين ولا عن عملاء الوهابية بالرغم من توافر كل أركان التهمة وربما الإدانة القضائية !) ومن هنا تستعصى المعالجات سواء معالجة أخطاء الخصوم أم معالجة أخطاء النظام وأنصار النظام .

الذين يبكون مر البكاء على ما فعله السادات من إطلاقه لبعض الحريات هم الذين أطلقت أيديهم فى قمع الإخوان فترة الخمسينيات والستينيات وكان إنجازهم الأبرز هو دفع قطاعات واسعة من الرأى العام للتعاطف مع هؤلاء برغم كل أخطاء الإخوان الفكرية وخطاياهم التى ارتكبوها فى أرض الواقع وهم الذين أعادوا ارتكاب الأخطاء نفسها بعد ذلك .

أما أنه كانت هناك صفقة بين (الإخوان التنظيم) والسادات أى أنه استخدمهم فهذه حقيقة أعلنها أصحابها فيما بعد وهم يسألون عن حقيقة هذه الصفقة والأطراف المستفيدة منها .

أما أن يقال إن السادات هو الذى أوجد أو اخترع الحركة الطلابية فى تيارها الإسلامى بما فيهم أولئك الذين نختلف معهم فكريًا الآن وأن هؤلاء كانوا مجرد تيار عميل للسادات أو من إنتاجه من خلال بعض معاونيه ويخصون بالذكر المدعو محمد عثمان إسماعيل فهذا كلام فارغ بل هو الفجور بعينه وهو كلام يطلقونه للتغطية على خيبتهم وفشلهم ....

الفشل الأمنى فى منع تيارات العنف من قتل السادات ناهيك عن رغبتهم الملحة فى الاحتفاظ بسياسات القمع وقانون الطوارئ باعتباره الوسيلة الوحيدة والمثلى للحفاظ على الأمن والاستقرار .

أما أصدقاؤنا اليساريون ومعهم الناصريون الذين أطاح بهم السادات من السلطة فيطرحون هذا الكلام لأنهم لا يرون عيوبهم ولا أخطاءهم ولا نقائصهم الفكرية التى كانت تحتم خروجهم من الساحة صفر اليدين ويعتقدون أنهم كانوا يمثلون (قدر الله الغالب الذى كان محتمًا له أن يقود ويسود لولا التآمر الإمبريالى الساداتى !) وهم لا يختلفون فى هذه الطريقة التحليلية عن الإخوان المسلمين الذين

لا يرون نقائصهم ولا يأخذون دروسًا من أخطائهم المتواصلة وتجاربهم الفاشلة وما أكثرها وإنما يلقون عبء هزائمهم دائمًا أبدًا على ذلك الغامض المسمى أمريكا والعداء الصليبى للإسلام وعليهم أن يتذكروا أنهم لم يحصلوا على شيء من هذا النفوذ الضخم الذى حصلوا عليه أيام عبد الناصر من خلال تحرك جماهيرى بل بقرار سياسى سيادى فوقى .

إذن فقد حاول السادات استعمال التيار الإسلامى الموجود فى بر مصر بخطئه وصوابه وعجره وبجره خاصة ذلك التيار المنظم فعلا والذى ارتبط معه بعلاقة قديمة منذ الأربعينيات والاستفادة منه لتحقيق أهدافه وربما نجح السادات فى تحقيق بعض هذه الأهداف وربما فشل فى تحقيق البعض الآخر وتحول التدبير إلى تدمير ولكن يبقى أن ذلك التيار **بصوابه وخطئه** بل.وبما فيه الآن من أطروحات خوارجية بالغة الشذوذ والتطرف هو تيار أصيل (كلمة أصيل لا تساوى صحيح) وعمقه عمق التاريخ الإسلامى نفسه ويتعين على الباحثين فى هذا التيار بل وحتى الراغبين فى مقاومته العودة إلى الجذور ومقارعة الحجة بالحجة فضلا عن تغيير الظروف والمناخ السياسى والفكرى الذى يعيد إنتاج هذه التيارات مهما بالغت النظم الحاكمة فى قمعهم والتضييق عليهم.

وهذا يقودنا إلى مأساة أفغانستان ٢٠٠١ تلك المأساة التى نجمت وتضاعفت عن محاولة الأمريكان ــ ونجاحهم ــ استخدام إسلام التنظيمات والجماعات كورقة فى الصراع الدولى والحرب الباردة ضد خصمهم الأكبر الاتحاد السوفييتى السابق ، وكان لهم ما أرادوا وأعطاهم (قادة التيار الإسلامى وعلى رأسهم الإخوان المسلمين وقادة ما يسمى بالمجاهدين) الذين تصرفوا دومًا على طريقة الباعة الجائلين أكثر مما أرادوا دون أن يحصلوا على مكاسب حقيقية دائمة لدينهم أو لأمتهم وهذا هو الحصاد المر يجنيه الجميع (الذين قالوا لا والذين قالوا نعم كما كان يقول السادات) .

لم يكن من الممكن أن يعقد السادات ولا غيره صفقة مع مجموعات طلابية متناثرة نظمت نفسها فى إطار الحياة الجامعية وإنما المتاح والمفيد بالنسبة له أن يعقد مثل هذه الصفقات مع قادة تلك التنظيمات الكبيرة والضخمة حيث يغنى الاتفاق مع شخص واحد لتحريك آلاف الرءوس المغيبة والتى تسمع وتطيع وفقاً لقانون القطيع وهذه دون أدنى شك واحدة من كبرى سيئات تلك التنظيمات .

من المفيد أيضا أن نذكر هؤلاء بأن النظم العربية الحاكمة ما زالت تبرم هذا النوع من التحالفات الإستراتيجية مع هذه التيارات خاصة تلك التيارات ذات العقيدة السلفية الوهابية لتستخدمها فى محاربة الشيعة وقد ذكرنا سابقا كيف يجرى الآن استخدامها ضد حزب الله فى لبنان وضد الشيعة فى البحرين والعراق وما خفى كان أعظم !!

الحركة الإسلامية فى الجامعة :

كانت المرحلة التى عشتها فى الجامعة من أفضل فترات حياتى فى العمل العام ، فقد أنجزنا الكثير مما يمكن عمله فى الأنشطة الثقافية والاجتماعية ، سواء فى مجال عقد الندوات الدينية أم السياسية حيث كنا نستضيف كبار علماء الدين فى هذا الوقت ، مثل الشيخ الغزالى والشيخ سيد سابق والشيخ محمد أبو زهرة رحمة الله عليهم ، وأسسنا مسجدًا للكلية مازال قائماً حتى الآن وتقام فيه الصلوات ، ناهيك عن مشاركتنا فى القضايا الوطنية الساخنة فى هذا الوقت ، مثل قضية عام الحسم الشهيرة عام ١٩٧٢ بالإضافة للنشاطات الثقافية والفنية التقليدية ومسابقات الشعر والقصة القصيرة ، ولا شك أن كليتنا آنئذ كانت تزخر بالمواهب الأدبية المتميزة التى نبغ بعضها بعد ذلك إما فى عالم القصة مثل الدكتور محمد المخزنجى والدكتور محمد المنسى قنديل وأصبحوا من المشاهير فى عالم الأدب والبعض الآخر ضاع فى غمرة الحياة ولا ندرى أين ذهب .

أحكى هذا ليعرف القارئ أننا كنا نعيش في مناخ فكرى متسامح يسمح بتبادل الرأى أو حتى العراك الفكرى والمنافسة السياسية الديمقراطية الضارية ولكنه وبكل تأكيد لم يكن مناخ حرب ولا مناخ إرهاب بأية حال .

الإخوان المسلمون :

في هذه المرحلة وتحديدًا بعد أن تسلمت رئاسة اتحاد الطلاب وليس قبل ذلك بدأت علاقتى بالإخوان المسلمين الخارجين لتوهم من السجون تحوطهم هالة من الأساطير ، نتيجة الظلم الذى تعرضوا له خلال فترة الخمسينيات والستينيات ، وكان هذا التيار هو الملجأ والملاذ فى مواجهة المد اليسارى الذى أضاف إلى أخطائه الفكرية بعض الأخطاء السياسية التى مارسها بعض هؤلاء .

فى هذه الآونة ظهر التيار الإخوانى فى حياتنا وكنا مهيئين لتقبل فكرة التعاون بل وحتى الانضمام لتلك (الكوكبة من الشهداء الأحياء الذين لا يختلفون فى شيء عن أصحاب الأخدود الذين ما نقم منهم الظالمون إلا أنهم يؤمنون بالله العزيز الحميد) كانت هذه صورتهم فى أعيننا ، وهى صورة جرى تقديمها بالتعاون مع السادات الذى كان يمشى على خط عبد الناصر (بأستيكة) كما يقولون ومن هنا كان اللقاء وكان الانضمام الذى استمر حتى بداية العام ١٩٨٥ ، حيث انتهت مرحلة طويلة من المعاناة والتساؤلات عن معنى الانضمام لتلك التنظيمات المغلقة ، التى لو عطس فيها عضو مهم أو أخ ثقة فى الإسكندرية ، فلا بد أن يتداعى له سائر أعضاء الجماعة بالبرد والأنفلونزا وصولا إلى أسوان ، أما إذا كان الأخ عضوًا فى التنظيم الدولى للإخوان فلا بد أن يمتد العطس إلى السودان ، فما بالك لو ادعى عليك هذا الأخ الثقة بالباطل فلحمك حلال بكل تأكيد ، ناهيك عن تلك الثقافة (العالية) التى يتحتم عليك الانحناء لها ولو كانت على طريقة (أمريكا لما حبت تشيل الشاه جابت الخمينى)

أما عن مغزى السمع والطاعة لإمام الجماعة باعتباره إمام الحق الذى من مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية فكان وما زال هو اللغز الأكبر ، والتساؤل الذى لم أفلح فى العثور له على جواب طوال تلك الفترة التى قاربت العشر سنوات من الصبر والاحتمال ، ولا أعتقد أن أحدًا من أعضاء تلك الجماعة الضخمة الآن يفكر فى الإجابة على هذا السؤال الحيوى ؛ لأنه لو مارس التفكير سيتم تخفيض رتبته أولا والباقى معروف ، وكان لا بد من اتخاذ قرار بالرحيل النهائى من بين صفوف ما يسمونه بالجماعة الأم وكان هذا أوائل عام ١٩٨٥.

أنا والإخوان المسلمون :

كانت فترة رئاستى لاتحاد الطلاب من (أزهى عصور الديمقراطية) بالمعايير المصرية طبعًا ! وليس بالمعايير العالمية بكل تأكيد ولا شك أيضًا أنها كانت من أزهى (عصور العمل الإسلامي) فى تاريخ مصر كلها ! وكان لى دور مهم فى إتاحة الفرصة لجماعة الإخوان المسلمين فى دخول جامعة المنصورة حتى قبل أن يحدث أى نوع من الارتباط التنظيمى ... حدث هذا من خلال إقامة (الملتقى الإسلامى الأول) ثم (الملتقى الإسلامى الثاني) فى عامى ١٩٧٦ و١٩٧٧ وهى الندوات التى حضرها وحاضر فيها قادة جماعة الإخوان المسلمين آنئذ ، منهم عمر التلمسانى ومصطفى مشهور وصلاح أبو إسماعيل ناهيك عن الشيخين محمد الغزالى والسيد سابق ، بالإضافة إلى الحاجة ، زينب الغزالى ، وغيرهم من دعاة الإخوان والقادة المحليين .

لم يكن هذا الجهد شفيعًا لنا ولا مبررًا لاستخدام الشفقة والرحمة أو حتى الالتزام بالمنهج الإسلامى ، الذى ، لا يكف هؤلاء عن التشدق والإدعاء بأنهم حماته والمدافعون عنه دون العالمين ، عندما قرر (**ميكيافللى الجماعة**) واسمه الحركى (**أخ ثقة**) اغتيالنا معنويًا وأخلاقيًا من خلال بث الإفك والأكاذيب التى افتراها وأعانه عليها قوم آخرون جاءوا كذبًا وزورًا . وتلك هى إحدى سمات تلك

الجماعات التى أسلمت قيادها لهذا الصنف من البشر الذين جرى التقاطهم من فلول التنظيمات اليسارية المتحللة بل وجرى دفعهم إلى مقدمة الصفوف لـلا شـيء إلا قدرتهم على الحديث المتواصل دون هدف محدد .

كان هذا الإفك وذلك الصنف من الفجور الأخلاقى الذى أدمنه هؤلاء الأفاكن ، والذى لم يبرره شيء آنئذ إلا الإطاحة بالعبد لله من ساحة المنافسة (أية منافسة هذه وأى دين هذا الذى يدار على طريقة التنظيمات الشيوعية ؟) واحدًا من أهم الصدمات العنيفة التى كان من الممكن لها أن تقضى على ذلك العود الأخضر ، الذى كان ما زال فى مقتبل الحياة ، وأحمد الله أن قيض لنا على من عباده المنصفين من يدافع عن الحق ولو كان من بين أعضاء تلك الجماعة المتضخمة ، واستمرت تلك العلاقة المتعثرة إلى أن قدر الله أمرًا كان مفعولا .

وانقطعت علاقتى بالجماعة الأم ! كما ذكرت آنفاً فى بدايات ١٩٨٥ ثم التقيت بعدها بأحد الأصدقاء الأعزاء ، الذى كان من هواة التنقل بين تلك الجماعات فعرض على الانضمام إلى ما سمى بعد ذلك بالجماعة الإسلامية ، فقلت له يا سيدى قضى الأمر فأنا لم أخرج من هذه الجماعة لأنضم إلى أخرى ، بأمير من ذلك الصنف (ذى الثقافة العالية) وكبار مساعديه من نوعية الأخ ميكيافيللى (نائب المرشد العام لجماعة الإخوان الآن) لأعود إلى نفسها التجربة ، مرة أخرى ، وأكرر تلك المأساة ، فضلا عن أننى لا أرغب أن أكون واحدًا من هؤلاء الأمراء ، فقد ترسخت فى وجدانى قناعة راسخة من خلال التجربة والممارسة بأن كل هؤلاء إنما هم أئمة مزعومون وقادة مزيفون وأن العمل لنصرة الإسلام وخدمة الدين ليس متوقفاً على الانضمام لهذه الجماعات ولا قاصرًا على المنتمين إليها وربما كان وجود هذه الجماعات وهيمنتها على حياتنا الثقافية واحدًا من أهم العقبات فى طريق معرفة الناس للحقيقة نظرًا للوصاية والتعتيم الذى يمارسه هؤلاء القادة على الأتباع المطالبين دومًا بالسمع والطاعة والخضوع والانحناء وعدم التوقف عن الابتسام ، وحيث يصبح التفكير الحر والسؤال والحوار جريمة يعاقب

عليها نظام الجماعة . ولسنا ندعى عليهم من فراغ وإنما من خلال تجربة ومعايشة استمرت عديدًا من السنين ، صحيح أن السلوك الاجتماعى للإخوان المسلمين يتسم بقدر من الاعتدال يميزها عن باقى الجماعات ولكن المسألة أكبر بكثير مـن تلـك النقطة ، إنه مصير أمة ومصير جماعة ضخمة من البشر لا يمكن لعاقل أن يتعامل معه من خلال منطق التسليم ، المطلق لبشر لا هم معصومون ولا هم من العلماء المجتهدين ، وربما كانوا أقل شأناً ممن يقودونهم ، ومضيت ، أبحث وأفتش عـن إمام الحق .

وقامت الثورة الإسلامية الإيرانية

بهرنى ذلك الرجل " روح الله الموسوى الخميني " (رضوان الله عليه) منـذ اللحظة الأولى وبهرنى ذلك الشعب الذى يتلقى الرصـاص بصـدره ويسـتعذب الشهادة ، وضايقنى أن يكون ذلك الشعب " منحرف العقيدة " كما وصـفه مرشـد الإخوان السابق ورجل التنظيم السرى الحديدى مصطفى مشـهور ، أثنـاء نـدوة عقدت فى كلية الطب جامعة المنصورة آخر عام ١٩٧٨ ، أو أن تكون هذه الثورة العظيمة مجرد مؤامرة أمريكية كما يصورها آخرون مـن بـين قـادة الجماعـة المتضخمة ، المصابون بعقدة المؤامرة والتى وجدوا فيها تفسـيرًا مريحـا لكـل خيباتهم ومصائبهم المتكررة منذ أربعينيات القرن الماضى وإلـى أن يـرث الله . الأرض ومن عليها ، أو تنقرض جماعة الإخوان دون وازع من دين أو خوف من الله وعندما حاولنا طباعة كتيب لمناصرة الثورة الإسلامية فى إيران رفضت قيادة الإخوان المحلية ذلك الأمر باعتبار أن (هؤلاء شيعة إنهم حقاً شيء مختلف) ولم يكن بوسعى يومها إلا السكوت فليست هناك مصادر للمعرفة حول هذا الأمر .

ثم قتل السادات

مارس السادات السياسة على طريقة لاعبى السيرك كان يؤمن بما كان يسميه سياسة الصدمات الكهربائية والشعارات الملونة كما أسلفنا من قبل فكانت أن وجأت عنقه أثناء ممارسة إحدى الألعاب الخطرة .

لقد أعطى الصهاينة ما لم يحلموا به طوال عمرهم نتيجة توقيعه لاتفاقات كامب ديفيد مع إسرائيل حيث فتحت لهم أبواب العالم المغلقة باعتبار أنهم قد أدوا ما عليهم وأعطوا العرب حقوقهم وأعطى الأمريكان عام ١٩٨٠ القاعدة الجوية التى انطلقوا منها ليهاجموا إيران من أجل إطلاق رجال المخابرات الأمريكية المحتجزين فى السفارة الأمريكية فى طهران ، واستقبل شاه إيران محمد رضا بهلوى على أرض مصر مستفزًا مشاعر شعبين مسلمين الشعب الإيرانى والشعب المصرى . ثم لم يمت حتى وقف مع نظام صدام حسين فى عدوانه على الجمهورية الإسلامية الإيرانية ذلك العدوان الذى بدأ عام ١٩٨٠ ميلادية قائلا (نعم العراق هو المعتدى ولكننا نساعده لأنه بلد عربي) كانت الأجواء كلها تمهد لاغتيال الرجل يوم السادس من أكتوبر عام ١٩٨١ أثناء العرض العسكرى فى ذكرى الحرب التى خاضتها مصر لتحرير سيناء فقد تمرد عليه من تحالفوا معه بعد أن أحسوا بقوتهم .

وللأمانة والتاريخ فإننى أعتقد أن السادات لم يكن خائناً بالرغم من توقيعه لتلك المعاهدة المشئومة مع إسرائيل فالعقل والمنطق يقولان إن الرجل الذى خاض تلك الحرب ضد الصهاينة وأثخنهم بالجراح وبالهزائم الثقيلة فى ظل تلك الظروف التى كانت وما زالت قائمة من الدعم الأمريكى المطلق لإسرائيل والدعم العربى الهزيل والمهين لمصر فى مواجهتها للخطر الصهيونى لا يمكن أن يكون خائناً مهما اختلفنا معه فى الرأى حول منطق هذا الصلح وفوائده لمصر .

ناهيك عن أن الدول العربية التى وقفت ضده وطردته مما يسمى بجامعة الدول العربية لم تفعل هذا لأنها كانت تريد مواصلة الجهاد ضد إسرائيل ولكنها كانت تريد مزيدا من فرض الشروط المذلة والمهينة على الرجل ثم ما لبثت أن سارعت تطلب هى الأخرى الصلح مع الصهاينة ثم أنفقت المليارات من الدولارات بعد هذا لصالح المجهود الإستراتيجى الأمريكى الموجه ضد الاتحاد السوفييتى فى أفغانستان عبر ما سمى بالمجاهدين الأفغان .

أين كانت هذه المليارات عندما كانت مصر تحارب إسرائيل بالفعل ؟ ولماذا ولت شطر أفغانستان بينما كان حزب الله يومها يحارب إسرائيل لتحرير لبنان ولم يكن يدعمه إلا إيران ؟ وهذا يجرنا إلى ما ردده البعض بجهل من أن تنظيم الجهاد المصرى قد قتل السادات لأنه وقع اتفاقية كامب ديفيد ، وهذا كلام فارغ لا أصل له فهؤلاء الناس لم يكن يعنيهم أن تنتصر مصر أو لا تنتصر فى حرب أكتوبر التى كانت تدور من وجهة نظرهم بين دولتين كافرتين هما مصر وإسرائيل ، والمشكلة عندهم أن السادات شأنه كشأن أى حاكم عربى ـ باستثناء ملك السعودية طبعاً ـ هو حاكم كافر لأنه لا يحكم بما أنزل الله ، ومشروعهم الجهادى بدأ قبل حرب أكتوبر ثم بعدها مباشرة ممثلا فى حادثة الكلية الفنية العسكرية أى قبل أن يخطو الرئيس المصرى الراحل أية خطوة على الأقل من الناحية العلنية فى اتجاه الصلح أو التفاوض مع إسرائيل ، أما الفتوى بقتل الرجل فقد جاءت من الجهة نفسها التى تخصصت فى إصدار وتوزيع شهادات الكفر والقتل على كل أنحاء العالم الإسلامى وهذه شهادة شخصية بما عشناه وعايناه وسمعناه .

أذكر بعد ذلك وأثناء جلسة مع أحد الإخوان القدامى الذين تركوا الجماعة منذ عهد بعيد أن قال لى بالحرف الواحد (أمريكا دمرت الاتحاد السوفييتى بمليار دولار ومليون " شهيد " أفغانى) !

إنها المؤامرة نفسها الشيطانية (خطة بندر) التى يحاول العرب الآن تنفيذها ضد إيران بالتعاون مع صديقهم (الأبدى) الأمريكى ، وفاتهم ألا شيء فى هذا الكون أبدى إلا الله عز وجل !!

لم يكن قد مضى على زواجى سوى ثلاثة أيام حين أصدر السادات آخر قراراته البهلوانية وهو قرار التحفظ على (١٥٠٠) من معارضيه من كافة التيارات السياسية فى سبتمبر ١٩٨١ ، ثم قتل السادات فى السادس من أكتوبر ،

ولم يمض شهر آخر حتى جاء زوار الفجر يطرقون الباب وطلبوا منى الحضور لمدة خمس دقائق وهى خمس دقائق طالت لمدة سنة كاملة بينما كنت على وشك الانتهاء من إعداد رسالة الماجستير .

عام فى سجن الاستقبال

بعد يومين من اعتقالى كنت فيما يسمى (بسجن الاستقبال) الذى كان مقرًا للتحقيقات فى قضية تنظيم الجهاد وفى اللحظة التى دخلت فيها إلى السجن تلقيت الصفعة الأولى التى أطاحت بنظارتى الطبية وكسرتها ... حاولت لملمة النظارة فلم أفلح إذ انهالت على الضربات من كل جانب ثم أمرونا بالوقوف فى مواجهة الحائط والأيدى مرفوعة إلى أعلى وانهالت السياط على ظهورنا ..

هذه الهمجية كانوا يسمونها حفلة الاستقبال ثم حلقوا لنا رءوسنا بصورة مشوهة ثم قادونا إلى الزنازين بالسياط والركلات كان هذا فى أوائل نوفمبر ١٩٨١ أى بداية فصل الشتاء وقد ألقى بنا على البلاط معصوبى الأعين بعدما أخذوا ملابسنا ، وكانت التعليمات تقضى ببقاء العصابة على العيون حتى فى داخل الزنزانة والوقوف انتباهاً لحظة دخول الحرس فى مواجهة الحائط وتلقى السياط أو الكابلات وفقاً لما تيسر .

كان هذا السجن هو أحد المواقع الرئيسية للتحقيق مع تنظيم الجهاد الذى لم أشرف يومًا بالانتماء إليه !!

ومع ذلك جاءنى أحد ضباط أمن الدولة بعد فترة وقال لى نحن نعلم أنك لم تكن يومًا ما عضوا فى هذا التنظيم ولكن المصلحة اضطرتنا لوضعك فى القضية ، أية مصلحة هذه التى تقتضى التزييف والتلفيق ؟ ، لا أدرى .

كان التحقيق يبدأ يوميًا بعد الساعة العاشرة مساء ولا ينتهى إلا مع طلوع الفجر حيث كنا نسمع صراخ المحققين يطلبون من المعتقلين الاعتراف ، وصراخ المعتقلين تحت التعذيب ، أما عن أسلوب التعامل معنا داخل المعتقل فعنوانه الوحيد هو انعدام الإنسانية ، واللاآدمية .

سجن الاستقبال

كان هذا السجن يومها هو أحدث سجن فى سلسلة سجون طرة : الليمان الذى هدمه السادات فى مسرحية كوميدية مشابهة لمسرحية إحراق شرائط (تجسس مراكز القوى) والمزرعة والملحق .

كنا وقتها نعتبره الأسوأ من نوعه حتى قدر لنا زيارته مرة أخرى فى نوفمبر ١٩٩٦ هذه المرة لنمضى ثلاثة أشهر فى الزنازين الخرسانية التى تتحول إلى أفران لإنضاج الأجساد وخنق الأنفاس خاصة فى شهور الصيف .

مرت حفلة الاستقبال الأولى كما ذكرنا وساقنا الحراس إلى الزنازين لم أكن أفهم حتى هذه اللحظة لماذا أنا هنا ؟!

كان الحراس يسوقوننا سوقاً عنيفاً ونحن معصوبى الأعين ويقولون لنا لماذا قتلتم إخواننا فى أسيوط ؟ أية أسيوط هذه فأنا لم أذهب إلى هذه الأسيوط ولو لمرة واحدة فى حياتى ناهيك عن أننا أصبحنا متهمين بالقتل .... استلقينا على بلاط الزنازين حيث لم يكن هناك ما يكفى من البطاطين لا للفرش ولا للغطاء وإذا سمعنا صوت أقدام هؤلاء الجلاوذة انتفضنا ووضعنا الغمامة على أعيننا وجرت عملية تأهب لفتح الأبواب وتلقى الكابلات على الظهور فنحن متهمون بقتل إخوانهم فى (جسيوط) هكذا ينطقونها ..... وهى تهمة تبرر لهم وبكل تأكيد إعدامنا بدون محاكمة بموجب قانون العدالة العشوائية المطبق من يومها إلى يومنا هذا .

جاء إلينا بعد فترة مأمور السجن (محسن السرساوى) الذى كان يحـاول أن ينأى بنفسه (شكليًا) عن تصرفات أمن الدولة يحمل إلينا ملابسنا المبعثرة (يجرها على الأرض) ونظاراتنا المكسرة .. وجدت نصف النظارة على طريقـة نصـف العمى ولا العمى كله .

كانت الإعتقالات متواصلة فى الخارج وكان (الوارد) أى المعتقلـون الجـدد يأتون إلى السجن يوميًا من كل حدب وصوب. ....

كان التأقلم مع هذا الوضع البائس اللاإنسانى المزرى بالغ القسـوة والمـرارة فالطعام كان عبارة عن طبق واحد من (الفول المسوس أو السوس المفول) لهذه الأعداد المتزايدة داخل الزنازين وكان لا بد من (منسق عام لشئون الطعام) هـو الأخ السيد عثمان السعيد عطية فيصل (أخ هنا لا تعنى أى انتماء تنظيمى أو حتى فكرى) الذى طالما تلقى المزيد من الكابلات على ظهره لإصراره على إخـراج لسانه عندما ينطق حرف الثاء فيطالبه الحارس بنطق اسمه صـحيحًا (عسـمان وليس عثمان .... قول إسمك عدل يا ابن الكلب) كان مهمة المنسق العام لشـئون الطعام أن يصيح فى رفاق الزنزانة (فولة فولة يا إخوة) حتى يفى الفول والسوس باحتياجات الغموس .

كانت الزنازين تستقبل المزيد من القادمين باستمرار حتى اكتظت تلك الزنازين بما يفوق قدراتها على الاستيعاب الذى هو فى حده الأقصى عشرة أشخاص بينمـا تجاوزت بعض الزنازين رقم الستة عشر كلهم مضطرون للأكل فولة فولة ... فى هذه الأيام عرفت لأول مرة فى حياتى المعنى الحقيقى لكلمة الجـوع ... الجـوع الذى يمنعك من النوم ويدفعك للاستيقاظ فى جوف الليل لتشكو إلى الله عز وجـل ظلم العباد أهل السلطان والصولجان .

اجتياح البق

كانت هذه الظروف السيئة وهذا الازدحام بالإضافة إلى منعنا من الخروج من تلك الزنازين أى ما يسمونه بالفسحة ـ ظروفاً نموذجية لاستدعاء كافة أنواع الحشرات التى تعشق الدم الإنسانى الرخيص وتتخذه مادة مفضلة للغذاء ، ولك أن تتخيل أن هذا العدد الهائل من البشر يأكل ويشرب وينام فى المكان نفسه ولم يكن هناك من وسيلة لتنظيف هذه الأماكن إلا تقليب الباطنية (الغطاء) على وجهها الآخر .

ناهيك عن انقطاع الماء البارد وهو المتاح الوحيد للنظافة والاستحمام أغلب أوقات النهار ، بل وازدادت الأمور سوءًا عندما كان أشباه شارون يقطعون هذا الماء القليل عنا عدة أيام متتابعة مبالغة منهم فى إكرامنا ومكافحة الإرهاب ومنعًا لظهور الظواهرى وابن لادن!!

فى تلك الأجواء هاجمتنا أسراب البق وعندما انتشر الخبر بين الزنازين تبين أن أحدًا لم يسلم من ذلك الهجوم الإرهابى الكبير.

كان كل واحد من الشباب مضطرًا لأن يقف لفترات طويلة يوميًا ليقوم بالتخلص من هؤلاء المهاجمين الذين لم يتركوا نقطة من ملابسه الداخلية إلا وتسللوا إليها .... لم تكن هناك فسح ولا شمس ، ولم تكن هناك زيارات من قبل الأهل ليأتوك بالمبيدات الحشرية لم يكن أمام الآلاف من ذلك الشباب المظلوم إلا أن يلجأ إلى الله عز وجل يسأله كشف هذا الكرب وذلك البلاء ، وأشهد أن الله سبحانه وتعالى استجاب لهؤلاء المكروبين فأذهب عنهم ذلك الرجز ، ومثلما حل بنا ذلك الهجوم الإرهابى فجأة اختفى ذلك البلاء فجأة ومن كل المواقع التى كان قد نجح فى احتلالها .

هل عرفتم لماذا لم يعجز الظواهرى وابن لادن عن تجنيد كل من يحتاجونـــه من الأنفار خريجى مدرسة الاستقبال الإلزامية الداخلية ؟

أمى سمتنى عمرو !!

إنه نموذج آخر يكشف سر نجاح بن لادن .... لا أدرى لماذا جاءوا به ؟ إنـــه عمرو سلامة سرحان الذى كان يومها فى الثامنة عشرة من عمره وكان طالبًا فى السنة الأولى فى كلية الآداب جامعة المنصورة وكان قد مضى على اعتقالنا شهران تقريبًا أى أن كل المطلوبين الأساسيين من كبار الإرهابيين أمثالنا ! كانوا قد سقطوا فى قبضة الأمن والحمد لله أنهم لم يذهبوا بنا إلى جوانتانامو !! ....

فجأة فتح باب الزنزانة ليلا وطلب منا المخبر الوضيع أن نقف انتباه ، وكنا قد حفظنا تعليمات الداخلية الإنسانية الحضارية (وشك فى الحيطة وإيديك لفوق يا ابن كذا وكذا) ألح المخبر على عمرو أن يسمى نفسه باسم امرأة فرفض عمرو وقـــال أمى سمتنى عمرو !!!!......

لماذا أصر على أن أمـــه هى التى ســـمته ؟ ، لماذا لم يقل أبى ســـمانى عمرو ؟ .

إنه سؤال لم أتمكن من الحصول على جواب له حتى الآن .... اســـتمر الضــــرب والصفع وعمرو مصر على موقفه ، ويبدو أن المخبر أراد أن يخرج من هـــذا المـــأزق فاتجه إلينا طالبًا منا أن نسمى أنفسنا بأسماء النساء ولم يكن هناك بـــد مـــن الاســـتجابة لرغبته المريضة وأخيرًا استجاب عمرو وانتهى الموقف .

عمرو يفقد أسنانه فى الثامن من فبراير

جاء يوم الإثنين الثامن من فبراير ١٩٨٢ وجاء أحد المخبرين لاستدعائى وقد سقطت الغمامة من على وجوهـــنا وربما كان ذلك الحقير إياه ، فنحن لم نر وجهه

(الكريم) فى المرة السابقة ، وقفت لأرتدى ثيابى ووقف عمرو يساعدنى ... قال له المخبر (اقعد يا ولد) رفض العنيد عمرو الجلوس وإطاعة أوامر ذلك الحقير ، ولكنه لم يعز تمسكه بعدم الجلوس هذه المرة إلى تعليمات أمه ! .

تطور الأمر إلى اشتباك لفظى وأخرجه ذلك المخبر من الزنزانة لتأديبه ....

نزلت إلى المكاتب فوجدت اثنين من ضباط أمن الدولة فرع المنصورة ، تحدثت معهم عما حدث مع عمرو ورجوتهم ألا يلحقوا به الأذى غاب أحدهم عنى لدقائق ثم عاد إلى بالبشارة (إكرامًا لخاطرك سيبقى ليلة واحدة فى التأديب ثم يعود إلينا فى الزنزانة خمس نجوم !!)

كان الرجل حقا بارًا ووفيًا بعهده ووعده وإنسانيته ! لا فارق بينه وبين حمامة السلام شيمون بيريز وصديقه رابين المعروف (بصدق الوعد) حيث انهالوا بالضرب على المسكين بكل ما طالته أيديهم وبالأحذية العسكرية الثقيلة حتى أغمى عليه وحطموا أسنانه ثم أجبروه على خلع ملابسه والوقوف تحت الدش ليأخذ حمامًا باردًا فى هذا البرد القارس ثم التوجه إلى الزنزانة بملابسه الداخلية فى صقيع فبراير لإحضار حاجياته ثم عاد إلينا بعد ٢٤ ساعة كما وعد صاحبنا ، فشكرًا لأرييل شارون ورفيقه العزيز بيريز .

ثورة ٣٠ مارس ١٩٨٢

عاش جيلنا التعيس الكثير والكثير من الاحتفاليات السياسية والبيانات الحماسية ومن بينها بيان ٣٠ مارس الذى كان أصدره الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وكان يمثل إحدى التواريخ القومية المهمة .

أما نحن فكان لنا ٣٠ مارس من نوع مختلف كان قد مضى على دخولنا إلى ذلك الكابوس الذى هو قبر الأحياء خمسة أشهر دون أن نحصل على أدنى حقوق السجناء العاديين .... الفسحة والزيارة والاتصال بالأهل ناهيك عن تلك الحياة اللاآدمية التى نعيشها فى تلك الزنازين المكتظة ، فى تلك الأيام كانوا يسمحون لبعض الزنازين بالخروج للفسحة لبضع دقائق ثم يعيدونهم ، وكان التذمر والضيق قد بلغ مداه بالجميع وبلغت القلوب الحناجر ، فى تلك اللحظات حدثت مشادة بين واحد من الشباب وأحد السجانين ، وتطور الاشتباك حيث جرى الاستيلاء على مفاتيح الزنازين ، وتم فتح الأبواب للآلاف من المظلومين المكبوتين .

يسألنى سائل ألم يقتل بعض هؤلاء السادات ورجال الأمن فكيف يكون هؤلاء من المظلومين ؟

الإجابة أنه فى كل الحالات سواء كانوا ظالمين أو مظلومين وقد كان الأغلبية هناك مثلى لم يكن لهم فى العير ولا فى النفير أى مظلومين مائة فى المائة هذه واحدة والثانية أن (المظلوم) حتى لو كان النظام مظلومًا عندما تستبد به الرغبة فى التشفى والانتقام والتنكيل بالخصوم كما فعل هؤلاء الجلادون أشباه شارون مع عمرو ، سرعان ما يتحول إلى مجرم ظالم (والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا فى الميزان) وهكذا فلا بد أن يتحول الطغيان إلى سلاح مضاد لكل من يستخدمه .

تعالت صرخات المظلومين الثائرين ورأيت بجوارى ثروت أبو سعدة وهو الآن محام بمدينة المنصورة يصرخ قائلا (الشهادة يا كفرة) . تعالت الصرخات من كل جانب ... لم يكن ثروت تكفيريًا ولا حتى منتميًا لأى من هذه التنظيمات مثله مثل عمرو وكل مشكلته أنه قد تشاجر يومًا ما مع أحد المخبرين ولكنه الظلم....

الظلم والجبروت والطغيان هو الذى يدفع الناس إلى التطرف والانفعال والصراخ والرغبة فى الموت وإطلاق الاتهامات بالكفر ، وجاء المسئولون عن السجون وما زلت أذكر أحدهم وهو يخطب فينا (أنتم أمانة فى أعناقُنا) بضم القاف ، المهم تطوع البعض للتفاوض مع الإدارة لتلبية مطالب السجناء (زعماء المسجونين) وكان أن دفع هؤلاء الثمن غاليًا بعد ذلك حيث تم التنكيل بهم تنكيلا مخصوصًا .

المهم تحققت بعض المطالب التى طالب بها المعتقلون مثل فتح الأبواب للفسح وفتح الزيارات الخارجية ، والأهم من هذا أنه جرى ترحيل كل الموجودين فى سجن الاستقبال ما عدا المتهمين فى قضية تنظيم الجهاد ٤٦٢ أمن دولة عليا ليستقر عدد الموجودين فى هذا المعتقل عند قرابة الألف ومائتى شخص ، هم كل العناصر المتهمة بالانتماء إلى تنظيم الجهاد بالحق أو بالباطل ، وسرعان ما تحول السجن إلى معسكر تنظيمى جهادى مفتوح ، وزاد الطين بلة أن بعض الإخوة أحسوا أن الله قد مكن لهم من إدارة سجن الاستقبال وبدأت بعض التجاوزات فى التعامل مع إدارة السجن.

وهكذا وبعد مرور أربعين يومًا من الحرية الفوضوية السجينة عاد الوجه الأصلى القمعى للظهور مرة أخرى إذ استيقظنا صبيحة يوم العاشر من مايو ١٩٨٢على وقع أقدام القوات الخاصة وهى تقتحم السجن وبدأت حملة تفتيش وتجريد من كل ما نملكه حتى الأطعمة المسموح بها جرت مصادرتها وعادت الأوضاع مرة أخرى إلى نقطة الصفر.

الإنسان المصرى الأصيل

لست ممن يجنحون إلى التعميم لا مدحًا ولا ذمًا كأن يقال على ألسنة البعض أن (الشعب المصرى يعشق الخنوع !) ويقابله على الناحية الأخرى الذين لا

يكفون عن الغناء (المصريين أهمه ! أصحاب سبعة آلاف قرن من الحضارة !) ولذا تستوقفنى هنا واقعة تخصنى وأنا أشهد بها .

فى تلك الأيام بعد الحملة التأديبية الثانية (مايو ١٩٨٢) ومع دخـول فصـل الصـيف فى تلك الزنازين أصابتنى نزلة شعبية شديدة صـاحبها حساسـية فـى الصدر ، ولم يكن هناك من دواء ولا علاج فى مستشفى السجن ، والطريـف أن طبيب السجن كان زميلا لنا وخريجًا لكلية طب المنصورة ، إلا أنه اختفى فى هذا الوقت وذاب كما يذوب الملح فى الماء ، وهنا برز المعدن النبيل لواحد من جنـود الحراسة المسئولين عن تكديرنا ، حيث قام بمغامرة كان مـن الممكـن أن تكلفـه الكثير حيث قام بشراء ما احتاجه من دواء متحديًا بذلك تعليمات الحظر المطلـق المفروض علينا ....

ليس كل المصريين من النبلاء ولكنهم وبكل تأكيد ليسوا جميعًا مـن الجبنـاء والثابت أيضًا أن هذا الرجل لم يجن فى مقابل عمله الإنسانى هذا مقابلا ماديًا من أى نوع ، والشيء الأكيد أن سلبية الإنسان المصرى هى نوع مـن الاحتجـاج أو الرفض لقيادات لا يؤمن بها بل ويراها مسئولة عن مصائبه ومآسيه .

من هو المسئول عن تضخم هذه التنظيمات ؟

قلنا إن عدد (المتهمين) بالانتماء إلى تنظيم الجهاد فى هذه الفترة وكان أكثر هؤلاء على طـريقة (شاهد ما شافش حاجة) كان فى حـدود الألـف ومـائتى شخص ، ولم يوجه اتهام رسمى لأغلب هؤلاء ثم تضاعف حجم ذلك التنظيم مـع بداية التسعينيات التى شهدت تلك الأحداث المأساوية التى عاشتها مصر ، ثم انتهى الأمر بكارثة مركز التجارة العالمى ، أى أن الأمر تطور من ألف واحدة إلى عدة آلاف .....

ألم يسأل هؤلاء القمعيون الفخورون دائمًا بإنجازاتهم التى لا تعدو قدرتهم على انتزاع بعض الاعترافات بالحق أو بالباطل ، وليس معرفة ، الحقيقة أنفسهم . هل يعد هذا نجاحًا أم فشلا لسياساتهم ؟!

إنه ليس نجاحا بكل تأكيد .

وإن أقروا بأن هذا يعد فشلاً وهو كذلك بالفعل ــ أقروا أو لم يقروا كان من الضرورى أن يسألوا أنفسهم ما هو السبب ؟

الذى لا شك فيه أن العالم الإسلامى دفع وسيدفع المزيد من الأثمان نتيجة لكل تلك الكوارث وآخرها مأساة مركز التجارة ، العالمى تلك المأساة التى دفعت الوضع الدولى كله فى اتجاه معاد للإسلام والمسلمين والعالم العربى بمسلميه ومسيحييه ، وكل هــذا حدث نتيجة تلك السياسات القمعية الفاشلة والإستراتيجيات المغــرورة التــى أحســت بالارتياح عندما قامت بتصدير بعض هؤلاء إلى الساحة الأفغانية والأوربية وانطلقــت تحمل العالم الخارجى المسئولية عن مصائبنا وأوجاعنا لمجرد امتناع هؤلاء عن تسليم بعض المطلوبين .

ويا ليت القوم استفادوا من تجاربهم الأليمة والمصائب والويلات التى تســبب فيها العائدون من أفغانستان ، وهاهم يعاودون التجارب الفاشلة نفسها فــى إطــار خطة بندر سيئة الذكر ويفسحون المجال واسعًا أمــام (أعــدقائهم) الإرهــابيين للتحريض على الشيعة ظناً منهم أن الزمام لن يفلت منهم هذه المرة وأن كل شيء سيبقى تحت السيطرة على طريقة (برقبتى يا ريس) الشهيرة التى انتهت باستلام إسرائيل للقدس وما تبقى من فلسطين !

ما إن بدأت الحرب الإسرائيلية على حزب الله فى يوليــو ٢٠٠٦ حتــى انطلقــت الأبواق الوهابية على مرأى ومسمع وبتحريض مــن القــوم للهجــوم علــى الشــيعة والتحريض عليهم والزعم بأن الخطر الشيعى أشد من الخطر الصهيوني!!

فى أعقاب بعض الندوات التليفزيونية التى شاركت فيها عن الشيعة والسنة فوجئت بتسليم الزاوية الموجودة أسفل البناية التى أقطن فيها إلى غلاة الوهابيين ليقوموا بمهاجمة كاتب هذه السطور شخصيًا من مكبرات الصوت وليحاصروا العبد الفقير وأسرتى أثناء الصعود والنزول دون أدنى مراعاة لحرمة السكن الخاص !

الأمر إذا يمثل نوعًا من الضغط النفسى المباشر والتحرش الشخصى أملا فى جر العبد الفقير لاشتباك مباشر مع هؤلاء الأجلاف ولعل وعسى !

لقد أدمن القوم إذاً سياسة تأجيل الحلول ومحاولة استثمار الأزمات والمشاكل بدلا من محاولة إيجاد حلول جذرية شاملة لا فارق بينهم وبين تجار الأكفان وجثث الموتى ! وأستعير مثلا سمعته أول مرة من السادات الذى سأل وزير اقتصاده حسن عباس زكى عن أحوال مصر الاقتصادية فأسمعه إجابة لا تسر فقال له فماذا تصنع إذن قال (بألبس طاقية ده لده)

من هنا فمن حقنا أن نسأل سؤالا بالغ الأهمية : هل كان العالم الخارجى هو المسئول عن كون المجتمعات العربية مجتمعات بلا أمل لا فى الإصلاح ولا فى الديمقراطية ولا فى العدالة الاجتماعية ولا حتى فى معرفة الدين معرفة حقيقية ، وعن أن الكلمة العليا فى هذه المجتمعات هى لأشباه شارون الذين أقاموا معنا ذلك الحوار ؟

وهل العالم الخارجى هو الذى ابتكر فكر الخوارج ثم أعاد اكتشافه وطلائه وتقديمه فى القرن العشرين باعتباره تجديدًا شاملا وفهمًا عصريًا كاملا للإسلام فى ثوبه الجديد ثم وجد من ينحنى إجلالا لتلك الأكاذيب ويهلل لتلك الخرافات ؟

إنه إرث تاريخى قديم وثقيل يضاعف من أثره الضار عدم وجود رغبة حقيقية فى الإصلاح الحقيقى وأهم ضروراته فتح الباب أمام حوار ديمقراطى حقيقـــى يشـــخص مشاكل الأمة تشخيصًا حقيقيًا ويعمل على حلها بصورة جذرية.

الحوار

صدر قرار الاتهام فى قضية تنظيم الجهاد ولم يدرج اسمى والحمد لله فى هذه القضية ولا فى غيرها ، فى شهر سبتمبر تقريبًا جاء إلينا الرائد عبد المحسن وكان إنسانا مهذبًا يقول إنه مكلف بإدراج أسماء الراغبين فى حضور الحـــوار وكـــان الرجل يبدى نوعًا من التعاطف الإنسانى معنا على وجه الخصوص .

لم أرحب بالاشتراك فى هذا الحوار لسبب فى غاية البساطة فأنا لم أكـــن يومًا ما عضوًا فى تنظيم الجهاد فما هو معنى التحاور حول فكر الجهاد قبولا أو رفضًا ؟

وعلى كل حال فقد تبين أن القرار حول الاشتراك فى هذا الحوارـــ الذى مـــا زال موضع فخر لوزير الداخلية الأسبق حسن أبو باشا ـــ بيد جهاز أمـــن الدولـــة وهو الذى يقرر وحده من يحضر .

المهم أدرج اسمى بين المتوجهين إلى هذا الحوار وكان لابد أن نذهب لنشـــهد مسرحية الحوار وهو عنوان يصلح لمسرحية من النوع السمج الثقيل .

جاء المحاورون وأذكر منهم الدكتور الأحمدى أبو النور الذى أصبح بعد ذلك وزيرًا للأوقاف والدكتور أحمد عبد المقصود هيكل الذى أصبح هو الآخر وزيـــرا

للثقافة فى بر مصر مما يعنى أن النظام يعتز بثقافة هؤلاء ومعارفهم ويالهـا مـن كارثة !

جاء هؤلاء لإقناعنا بوجوب السمع والطاعة للنظام الحاكم فى مصر وفى كل مصر فالناس من وجهة نظر هؤلاء (العلماء والمفكرين) صنفان : صنف مهمته أن يأمر وينهى ويسجن ويعتقل بسبب أو من غير سبب وهـذا لـه حـق السـمع والطاعة ، وصنف آخر عليه أن يسمع ويطيع ويضع وجهه للحائط ويديه إلى أعلى ويسمى نفسه بما يريده هؤلاء المخبرون السوقة (سمى نفسك يا عمرو يسمى نفسه اقعد يا عمرو يقعد عمرو) وإذا كان الأمر كذلك فلماذا لا يضعون درس عمـرو والمخبر فى كتب المرحلة الابتدائية بدلا من درس سوسن ونصر الذى حل محـل شرشر وفلفل .

استدل هؤلاء على وجوب السمع والطاعة للمخبرين وقادتهم والمشكلة مـن وجهة نظرنا الآن وبعد عشرين عامًا من وقوع هذه الأحداث أن هذا النـوع مـن النصوص سواء تلك التى توجب السمع والطاعة والخضوع والانحناء وسمى نفسك يا عمرو ، أو تلك النصوص التى توجب الانقلاب على هؤلاء الحكام و(تسـييح دمهم) وقتل كل من يفتى مجلس حكماء الجماعة بكفره كمـا يعتقـد قـادة تلـك الجماعات كلها إما نصوص ملفقة أو مكذوبة أو مبتورة من مواضـعها ، والعقـل والمنطق كانا يحتمان على هؤلاء (العلماء والمفكرين) وغيرهم ، سواء أولئـك الذين صاروا بعد ذلك وزراء أم الذين ينتظرون كرسى الوزارة ، أن يقدموا للناس أطروحة سياسية إسلامية متكاملة تعطى للأمة حقها فى اختيار الحـاكم بصـورة ديمقراطية وشرعية صحيحة ، وتعطيها فى الوقت نفسه حق محاسبته وإيقافه عند حده إذا تجاوز الحد وطغى فى البلاد (بل وحتى قبل أن يتجاوز) من خلال تحديد مدة رئاسته ، وإقالته وانتخاب غيره بدلا من قتله والتهديد بقتل خلفه ، ومـن ثـم تغلق الطريق فى وجه أولئك الانقلابيين المتمردين الذين يستمرئون سفك الدماء كما فعل هؤلاء الجهاديون الدمويون ومن تربى فى مدرستهم .

فشل ذلك النوع من الحوار التلقيني الذى كان وما زال مجرد عملية إملاء للحدود والضوابط التى تقبلها السلطة الحاكمة المهيمنة من عمرو وإخوان عمرو فهم الإسلام وممارسته وكلنا إخوان عمرو.

وهذا يجرنا أيضًا لما يجرى حولنا وخاصة بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر فى نيويورك حيث جرى استدعاء الوجوه نفسها أو ما يشابهها ، وإرسالها للغرب من أجل القيام بما يسمونه تصحيح صورة الإسلام ، فكيف يستقيم الظل والعود أعوج ؟

وهل صورة الإسلام وحدها هى التى أصابها الضرر ؟ لا شك أن مفاهيمنا عن الإسلام بحاجة ماسة إلى تصويب وتصحيح ، حتى لا يبقى المسلم محصورًا بين شقى الرحى : السلطويين الذين لا يرون من الدين إلا ما يرضى القابضين على رقاب الناس ويخدم دوام تسلطهم ، وقادة تلك الجماعات ، لا أستثنى أحدًا ، الذين يشكلون الامتداد المعاصر للخوارج الأقدمين ، والذين لا يرون من الدين إلا ما يخدم أطروحتهم الدموية ورغبتهم الملحة لإزاحة الحكام المتسلطين ليمارسوا هم التسلط بدلا منهم .

الحيرة

مضى عام كامل فى ذلك المعتقل الهمجى الذى كانت فيه أبسط حقوقنا الإنسانية مسلوبة والتى اقتضت ما يسمونها بالمصلحة وضعى فيه ، بيد أن الله تبارك وتعالى أنزل علينا وعلى أهلنا خارج المعتقل صبرًا ووفقنى لإتمام حفظ كتاب الله الذى كنت قد بدأته منذ سنين .

وبقيت تجربة السجن مع هذه التيارات المختلفة فى الرأى والمتنازعة فى الأهواء ماثلة أمام عينى ، لقد كانت تلك التجربة فرصة رائعة للتأمل فى تلك

الحتميات والشعارات التى تطلقها تلك المجموعات التى امتلأ بها السجن من حولى ، حيث كانت الزنزانة الواحدة تضم عدة مجموعات تنظيمية يرى كل واحد منها أنه المسلم الوحيد ، وكل من عداه فى النار ، واستخلاص العبر من معايشتها ومعاينتها ، فليس من رأى كمن سمع ، وعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا .

تعايش فى الزنزانة نفسها مجموعة من التنظيمات والجماعات المنتسبة للدين نفسه وكل منهم تدعى أنها الوحيدة والباقى تقليد :

١- الإخوان المسلمون الجماعة الأم التى تزعم أو يزعم لها أنها الأحق والأقدر على فهم الدين فهمًا صحيحًا شاملا ، دين ودولة مصحف وسيف عقيدة وعبادة الخ الخ .

٢- القطبيون وهم مجموعة منشقة عن التنظيم الإخوانى الأم حيث يعتبرون أنفسهم ورثة سيد قطب الحقيقيين .

٣- التكفير والهجرة : وهم يسمون أنفسهم جماعة المسلمين وهو اسم جامع مانع يعطى حامليه صفة الإسلام حصرًا وينفيه عمن سواه نفيًا دون لف أو دوران ودون قول بأنهم الجماعة الأم أو الأب ، ولا احتياج لأفعل التفضيل الدعائية التضليلية على الإطلاق .

٤- مجموعات تكفيرية متفرقة مثل التوقف والتباين وغيرها (زعماء يبحثون عن أتباع !) .

٥- الفرماوية نسبة إلى الفرماوى مؤسس الجماعة وليس لدى معلومات عن فكرها .

٦- السلفيون الذين يدعون الاستقلالية عن كل هذه التنظيمات وأن جل همهم هو تصحيح الأحاديث والاهتمام بالعلوم الشرعية ولا شيء سوى تلك العلوم الشرعية .

٧- وأخيرًا تنظيم الجهاد الذى تكون من تحالف جرى إنشاؤه على عجل من مجموعة من التنظيمات المناطقية المتلهفة لحمل السلاح عملا بفتوى قتال الطائفة الممتنعة التى أصدرها ابن تيميه .

ثم استقر الحال بعد ترحيل أغلب تلك التنظيمات من سجن الاستقبال إلى السجون الأخرى ليبقى المتهمون بالانتماء لتنظيم الجهاد وحدهم وكان لافتاً للنظر وجود أحد الأخوة معنا فى الزنزانة نفسها من أولئك السلفيين الأقحاح والذى جلس معى مرارًا وتكرارًا ليشرح لى دورهم فى نشر الدعوة السلفية التى هى من وجهة نظرهم هى ومن دون غيرها (الإسلام الصحيح) ، والدور العظيم الذى يقوم به الشيخ عبد العزيز بن باز فى رعاية تلك الدعوة فى كل بقاع العالم بما فيها مصر وأنه لا يبخل على دعاة الدين الصحيح من هؤلاء السلفيين بكل ما يحتاجونه من دعم مادى ومعنوى !!

وأن الجميع هنا وفيهم الإخوان المسلمون منحرفون عقائديًا لأنهم أصحاب عقيدة أشعرية أى لا يثبتون لله صفات (الأيدى والأرجل والعينين بل ئيوولونها الخ الخ) .

من هم أهل السنة ؟

سنرى فيما بعد أن الأجهزة الأمنية عندما تلقى القبض على الشيعة المظلومين توجه إليهم الاتهام (بازدراء الأديان) أى والله ازدراء الأديان والدعوة إلى مذهب يخالف مذهب أهل السنة والجماعة .

فأين هو مذهب أهل السنة والجماعة فى كل ما ذكرنا وكلهم يدعى وصلا لليلى وليلى لا تقر لهم بذاك .

داخل الزنزانة الواحدة كانت تقام ثلاث وأربع جماعات للصلاة وهناك ثلاث أو أربع مواقيت لصلاة الفجر وكله يكفر كله فضلا عن تكفيرهم للنظام الحاكم (رأس الكفر!) أو تكفيرهم للمجتمع ولو سألتهم عن معنى تكفيرهم للنظام الحاكم فستسمع عشر إجابات ما بين مكفر لرأس النظام دون سواه أو مكفر لمجلس الوزراء أو من يكتفى بتكفير وزارة الداخلية أو من يكفرك إذا قلت (والنبى) فيباغتك بالقول : قل لا إله إلا الله محمد رسول الله .

أما عن شيوخ الأزهر ، الذى يفترض فيه أنه قلعة أكاديمية فحدث ولا حرج ولا أدرى ما هو مذهبهم الفقهى الذى يخاطبون به الناس ؟!

لا أحد يدرى فهم عند الزواج يقولون على مذهب أبى حنيفة النعمان ، وهو لغو فارغ لا قيمة له إذ إن قانون الأحوال الشخصية هو خليط من المذاهب الإسلامية ومن بينها مذهب أهل البيت الذى يساق معتنقوه إلى السجن بتهمة ازدراء الأديان .

ألا يمثل كل هذا فضيحة أخلاقية وعقلية ومعرفية .

والواقع العلمى يقول إنه ليس هناك فى أرض الواقع الآن ومنذ عديد من القرون ما يمكن تسميته بمذهب أهل السنة والجماعة ، هناك من الناحية النظرية أربعة مذاهب معترف بها من الناحية الرسمية ، إلا أن نظرة واحدة على كتاب فقه السنة للشيخ سيد سابق تكفيك للخروج باستنتاج مفاده أن المذهب الفقهى السائد الآن هو مذهب (من كل بستان زهرة ومن كل كوب رشفة) من ناحية الفقه والأحكام الفرعية .

أما من ناحية الاعتقاد فهناك ما يمكن أن تسميه بمذهب العوام وهو المــذهب الراسخ فى الوجدان الشعبى المصرى والذى يميل إلى تنزيه الذات الإلهيــة عــن الصفات الزائدة ، أما الهراطقة القدامى والجدد مــن (أمــراء الركــب وأمــراء الجماعات) فهم فى كل واد يهيمون تارة وراء الأشعرى وتارة وراء الماتريــدى وأخيرًا وراء الاعتقادات الوهابية التجسيدية التى تفوقت على عقائد النصارى فــى تعدد الصفات الزائدة على الذات .

فمن هم يا ترى أهل السنة والجماعة وسط كل هذا التخبط والتيه ؟!

من أفتى بقتل السادات ؟

المشهور لدى رأينا العام المغيب عن الوعى أن من أفتى بقتل الســادات هــو الشيخ عمر عبد الرحمن ، والواقع أن الرجل هو من أفتى بسرقة ونهب محــلات الذهب العائدة للمسيحيين فى مناطق مختلفة ، وأن مثل هــذه الفتــوى السياســية الضخمة كانت تحتاج إلى شيخ من الوزن الثقيل ، وهى المهمة التى كلف بها فريق من هذه الجماعة ، سافر إلى المملكة أواخر السبعينيات والتقى الشيخ عبد العزيــز بن باز وحصل منه على الفتوى المطلوبة .

كان ذلك الوفد يضم ذلك السلفى الكبير الذى يرتبط بصلة مصاهرة بشــخص آخر يقيم معنا فى الزنزانة نفسها (توفاه الله بعد خروجه من السجن فــى ظــروف غامضة) وكان هذا الشخص الثانى وثيق الصلة بقيادات التنظيم الكبار ، فهم الذين ذكروا اسمه فى التحقيقات ونعنى على وجه التحديد ــ محمد عبد السلام فــرج ــ وهو الذى كشف لنا عن صاحب فتوى تكفير السادات ثم قتله ، فهو الذى سافر إلى ذلك البلد (الشقيق) ومعه صهره السلفى الكبير وهناك زاروا الشيخ وأخذوا منــه الفتوى بقتل السادات ، لا سواه ، وهذا هو سر أن كل من قتل من كبار المسئولين ممن كانوا على المنصة قتلوا عرضًا وأفلت غيرهم ممن هم أعلى منهم شأناً كونهم

لم يجرى تكفيرهم بالاسم من مفتى العميان وهذا هو سر الارتباط (الغامض الواضح ؟) بين التيارين منذ ذلك اليوم إلى يومنا هذا .

الرابط بين هذه الفرق

منذ أن تعرفنا إلى التيار الإسلامى الذى يتضمن كل تلك الفرق التى ذكرناها بدا واضحًا جليًا أن الفيلسوف المؤسس المنظر لكل تلك الجماعات هو من يسمى بشيخ الإسلام ابن تيميه ذلك الشيخ الذى تطبع كتبه وتوزع بآلاف النسخ على نفقة تلك الجهة إياها ، والتى أقر أصحابنا أنها تكفلهم كفالة كاملة من الناحية المادية والفكرية والمعنوية ، بل وحاول بعضهم عندما ظهرت على أعراض الانتماء لأهل البيت أن يلوح لى ببركات هذا الشيخ وفيوضاته المالية على الأتباع ، ولا يملك إخوان شارون حق الاعتراض على توزيع تلك الكراتين المكرتنة (على وزن القناطير المقنطرة) من المجلدات التكفيرية التى تستبيح أول ما تستبيح دماءهم هم ، بينما جاء فارسهم المغوار إلى بيتى عام ١٩٩٦ واستولى على ثلاثة أرباع مكتبتى ولا بأس فنحن ما زلنا نعيش فى حضانة الإنسانية ونتلقى درسًا يوميًا واحدًا هو (عمرو والمخبر) وبالرغم من أننا حفظناه واستوعبناه إلا أنهم ما زالوا يصرون على تلقيننا ذلك الدرس .

والثابت أن منظرى الإخوان ومنظرى الجهاد ومنظرى الجماعة الإسلامية وفيهم أولئك الذين يطلق البعض عليهم المعتدلين ، كل هؤلاء قد اتخذوا من ابن تيميه مرجعا فقهيًا لفتاواهم الدموية (انظر الفريضة الغائبة لمحمد عبد السلام فرج وفتوى الطائفة الممتنعة التى أصدرها شيخ الإسلام إياه وانظر كتب الشيخ القرضاوى) ذلك الفكر التكفيرى الدموى الذى ما زال يترعرع ويتمدد فى حماية هؤلاء الجهال المنتفخين المنتفشين الذين يصعب عليهم استيعاب أى من الدروس المؤلمة التى يتلقونها ولا يرون لزامًا عليهم أن يخففوا من حجم الكوارث المؤلمة التى تسببوا فيها للملايين ممن قتلوا على أيديهم وبموجب تلك الكلمة الدموية الخبيثة

التى أطلقها شيخ الإسلام المزعوم ، ومن لا يصدقنا فنحن نقدم له تلك الفتوى التكفيرية النموذجية التى توزع جهارًا نهارًا فى أرجاء مصر المعمورة على نفقة فاعل خير مقدمة بعنوان **توزع مجاناً ولا تباع :**

حكم تارك الصلاة

لفضيلة الشيخ/ محمد صالح العثيمين

اطلع عليها وأطلع عليها غيرك وشارك فى طباعتها نشرًا للفائدة وبراءة للذمة ومشاركة فى الأجر.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ... أما بعد : فإليك يا أخى المسلم هذه الورقة وبها سؤال ألقى على فضيلة الشيخ/ محمد بن عثيمين أثابه الله فإليك السؤال والجواب .

السؤال : ماذا يفعل الرجل إذا أمر أهله بالصلاة ولكنهم لم يستمعوا إليه هل يسكن معهم ويخالطهم أم يخرج من البيت ؟

الجواب : إذا كان هؤلاء الأهل لا يصلون أبدًا فإنهم كفار مرتدون خارجون عن الإسلام ولا يجوز أن يسكن معهم ولكن يجب عليه أن يدعوهم ويلح ويكرر لعل الله أن يهديهم لأن تارك الصلاة كافر والعياذ بالله بدليل الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والنظر الصحيح أما من القرآن فقوله عن المشركين (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين) ومفهوم الآية أنهم إذا لم يفعلوا ذلك فليسوا إخواناً لنا ولا تنتفى الأخوة الدينية بالمعاصى وإن عظمت ولكن تنتفى عند الخروج عن الإسلام .

و إذا تبين أن تارك الصلاة كافر فإنه يترتب عليه أحكام المرتدين وليس فى النصوص أن تارك الصلاة مؤمن أو أنه يدخل الجنة أو ينجو من النار ونحو ذلك مما يحوجنا إلى تأويل الكفر الذى حكم به على تارك الصلاة بأنه كفر نعمة أو كفر دون كفر ومنها **(أى من أحكام المرتدين)** :

أولا : أنه لا يصح أن يزوج فإن عقد له وهو لا يصلى فالنكاح باطل ولا تحل له الزوجة .

ثانيــاً : أنه إذا ترك الصلاة بعد أن عقد له العقد فإن نكاحه ينفسخ ولا تحل له الزوجة .

ثالثاً : أن هذا الرجل الذى لا يصلى إذا ذبح لا تؤكل ذبيحته لأنها حرام ولــو ذبح يهودى أو نصرانى فذبيحته يحل لنا أكلها فيكون ذبحه أخبث مــن ذبح اليهودى والنصرانى .

رابعاً : أنه لا يحل له أن يدخل مكة وحرمها لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنــوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا .

خامسًا : أنه لو مات أحد من أقاربه فلا حق له فى الميراث لحديث أسامة (لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم) .

سادسًا : أنه إذا مات لا يغسل ولا يكفن ولا يصــلى عليــه ولا يــدفن مــع المسلمين ، إذا ماذا نصنع به؟ نخرج إلى الصحراء ونحفر له وندفنــه بثيابه لأنه لا حرمة له وعلى هذا فلا يحل لأحد مات عنده ميت وهــو يعلم أنه لا يصلى أن يقدمه للمسلمين ليصلوا عليه .

فضيلة الشيخ/ محمد بن صالح بن عثيمين حفظه الله تعالى.

ملاحظة : صدر الإذن بطباعة هذه الرسالة من رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء برقم ٥/٢١٤١ بتاريخ ٣/١١/ ١٤٠٧ هجرية .

ولن نخوض فى الخلاف الفقهى حول حكم تارك الصلاة من الناحية العقائديــة وهل تركها كسلا أم جحودًا فالمسألة موضع لخلاف ومناظرات بين الفقهاء القدامى والمحدثين ، ومن أراد أن يستزيد فليرجع إلى فقه السنة للشيخ سيد سابق . والثابت أن ليس كل الأمور العقائدية يجرى ترجمتها إلى أحكام فقهية والثابــت أيضًــا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى على المنافقين وهو العارف بهم بعد أن غسلهم وكفنهم ثم دفنهم فى مقابر المسلمين ، بالرغم من أن أذاهم قــد لحــق بــه صلوات الله عليه ، والثابت أيضًا أن الإمام على بن أبى طالب قد أجــرى أحكــام

الإسلام على من حاربوه بالسيف فى واقعة الجمل والنهروان وصفين ، فمن أين جاء فقيهنا المجتهد فى تكفير الناس وسفك دمائهم بهذه الفتوى اللاإنسانية البشعة وتوابعها ، التى طبقها تلاميذه الطالبان على أكمل وجه من إلقاء الناس بثيابهم فى حفرة فى الصحراء . وماذا يصنع سكان مدينة المنصورة مثلا الذين تحيط بهم الأنهار من كل ناحية هل يلقون موتاهم فى نهر النيل فرع دمياط أم أن الرياح التوفيقى يفى بالغرض ؟ وما كل هذا التجرد من الدين والإنسانية حيث يحمل الابن أباه فى موكب مهيب ليلقى به فى الصحراء ... لماذا ؟ لأن ولى الله النفطى ابن عثيمين قد أمر بهذا .

والكارثة أن هذه الفتوى اللاآدمية تمثل منهجًا فكريًا واجتماعيًا وسياسيًا فى قواعد التعامل مع الآخر الذى يجرى تكفيره واستباحته عند اللزوم ، ومن لا يصدقنا فليسأل عما جرى فى أفغانستان المنكوبة بتلاميذ هؤلاء .

ملحوظة :

أفتى الشيخ محمد عثيمين بأن الشمس تدور حول الأرض وليس العكس لقوله تعالى (و ترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال) وقال إن كل ما ورد فى كتب العلوم والفيزياء هى أقاويل لا ترد صريح القرآن .

فى مثل هذا الجو الذى يخيم عليه الجهل لم يكن من الممكن الدخول فى أى حوار يتعلق بخط أهل البيت أو حتى بالثورة الإيرانية حيث يعتمد الجميع العقيدة الوهابية الطحاوية التى تخص أتباع أهل البيت بالتكفير باستثناء وجه واحد عايشته فى زنزانتى قرابة العشرة أشهر إنه " نافذ عزام " المتحدث الرسمى الآن باسم الجهاد الإسلامى لتحرير فلسطين فى قطاع غزة . ذلك المجاهد الذى رسخ فى قلبى حب القائد العظيم (روح الله الخميني) لقد كان ذلك المجاهد جزءًا من

مجموعة الشهيد ــ بعد ذلك ــ الدكتور فتحى الشقاقى التى رافقتنا فى تلك الرحلة حتى قرب نهايتها ، وما زلت أذكر كلماته عن ذلك الأمل الذى تمثله الثورة الإسلامية فى إيران بالنسبة للشعب الفلسطينى المظلوم ولقد كان الرجل من الصادقين فى توقعاته .

انتهت رحلة المعتقل يوم ٣١-١٠-١٩٨٢ حيث عدت مرة أخرى إلى بيتى الصغير وزوجتى التى تركتها بعد شهرين من زواجنا وكانت النتيجة الرئيسية لهذه الرحلة أنها رسخت فى نفسى ضرورة التغيير والخروج من تلك الدائرة المفرغة التى يعيش فيها قادة وأعضاء تلك التنظيمات من أصحاب الفكر المسلوق بالماء البارد ، والمليء بالثغرات والتساؤلات التى بقيت دون إجابات اعتمادا على أن هؤلاء الأعضاء ، أعنى أعضاء القطيع ، قد بايعوا على السمع والطاعة لإمام الجماعة المزعوم ، وكل أئمة الجماعات هم من المزعومين أيًا كان عَدد من بايع لهم حيث يقول تعالى : ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾ الرعد : ١٧.

لم يكن يعنى هذا بحال من الأحوال أننى أصبحت من الراضين بواقع الأمة البائس ، بل العكس هو الصحيح ، فما هو المنطق فى أن نسعى بجد واجتهاد من أجل أن ننتقل من واقع بائس إلى آخر أشد بؤسًا وشقاء على يد هؤلاء التلاميذ ، لمجرد أنهم من رافعى شعارات الإسلام البراقة ؟ ومن هنا فقد كانت نهاية هذه المرحلة تمثل انعطافا رئيسيًا فى رحلة البحث عن الحق والعدل والصراط المستقيم .

وكان مطلوبًا منا أن نضع النقاط على الحروف بحثاً عن الحقيقة المغيبة وراء ركام الجهل والتواطؤ ، ألا إلى الله تصير الأمور .

كيف نزل الغيث ؟
حوار حول المهدى المنتظر

التقيت ذات يوم من أيام فى عام ١٩٨٣ أحد الأصدقاء العائدين من بعثة علمية فى المملكة المتحدة وأخبرنى أنه التقى بعض الإيرانيين أثناء دراسته ودار بينه وبينهم حوار حول الثورة الإسلامية فى إيران ، وأخبروه أن هناك حديثاً اسمه (حديث الرايات السود) التى تأتى من قبل المشرق وأنها تمهد للمهدى أمره ، قلت له لا علم لى بمثل هذه الرواية فسكت ، والتقيت بأحد الأصدقاء " الأزاهرة " نسبة للأزهر الشريف ، فسألته عن حقيقة الأمر فلم يعطنى جواباً نافعًا كعادتهم فكل شيء عندهم فيه قولان وأحياناً ثلاثة وربما أربعة فلم أقتنع بكلامه وقلت أبحث بنفسي ، فوجدت الرواية فى كتاب الملاحم والفتن لابن كثير (إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة وإن أهل بيتى سيلقون بعدى بلاء شديدًا وتطريدًا حتى يأتى قوم من قبل المشرق يحملون الرايات السود يسألون الخير فلا يعطونه فيقاتلون فينصرون فمن أدركهم منكم فليأتهم ولو حبواً على الثلج فإن فيهم خليفة الله المهدى) وغيرها من الروايات المشابهة .

واصلت البحث والقراءة فوجدت الكثير من الروايات التى تمدح الشيعة التى امتلأت بها كتب (السنة) وهى روايات لا تقبل التأويل ولا التدجيل مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم الوارد فى تفسير سورة الجمعة : ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٣ ﴾ الجمعة : ٣ ، قال هذا وقومه وأشار إلى سلمان الفارسى وهى رواية موجودة فى تفسير ابن كثير والطبرى وغيرهما .

الكتب الصفراء

فى هذه الآونة (١٩٨٢-١٩٨٥) كانت الحرب العراقية الإيرانية على أشدها ، فجأة تحول جزء من النفط عن مساره المعهود فى تمويل آلة الحرب العراقية بلا قيد ولا شرط [وهم الذين أذلوا السادات وقبله عبد الناصر عندما كانوا يعطونهم ما سمى بالدعم العربى لمواجهة إسرائيل] أو تسخين الليالى الحمراء وتحويلها إلى ليال ملتهبة ، فتحولت بعض المنابر إلى " منابر حمراء " هى الأخرى فكل شيء بالدولار يدفع والناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معايشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون كما قال مولانا الإمام الحسين .

فى هذه الآونة أمطرت الساحة المصرية بوابل من الكتب الصفراء التى تتهجم على المسلمين الشيعة وانطلق ما يسمى بالتيار السلفى ليقوم بدوره المرسوم له فى (بيان بطلان عقائد الإمامية فضلا عن كفر الصوفية) . وأذكر ذات مرة أننى التقيت أحد هؤلاء السلفيين فلم أعرفه فقال أنا فلان فقلت له باسمًا أنت فلان الشيوعى ، وكان من ألد خصومنا أثناء فترة العمل الإسلامى الطلابى فاكفهر وجهه وأراد أن يغير اتجاه الحديث ، فقال تعال أعرفك على بطلان عقائد الشيعة وكفرهم فقلت له جزاك الله خيرًا !!

كان من الواضح أن هؤلاء ينفذون دورًا مرسومًا ومدعومًا وكانوا يحاولون الإيحاء لبسطاء الناس أن العنصرية الفارسية هى التى أنتجت التشيع لأهل البيت

فى مواجهة الإسلام العربى الأصيل الذى يدافع عنه دون شك (البعث العربى الاشتراكى الصدامي) وهى أطروحة تكشف بوضوح الرؤية البعثية العراقية التى امتطت هؤلاء الأماجد وامتطت غيرهم من أصحاب الطنين والرنين من أدعياء الدين ، واستخدمتهم أحط استخدام فى تصفية حساباتها مع الجناح السورى البعثى ، ودائمًا كان عهد الولاء والوفاء لحامى حمى البوابة الشرقية للأمة العربية يبدأ بسب الشيعة ولعنهم.

والغريب أن أحد كتاب الأهرام الكبار الذين كانوا على عهد الولاء لمقاومة خط أهل البيت حتى آخر أكذوبة فى جعبته النتنة ، قد طلع علينا بمقولة أن التشيع الإيرانى إنما هو مؤامرة أوربية لضرب الخلافة العثمانية الفقيدة يرحمها الله ، أى أنها أكاذيب حسب الطلب فالتشيع تارة مؤامرة فارسية وتارة أخرى أوربية ورابعة سبأية وخامسة من اختراع فقهاء الإمامية فى عهد الدولة العباسية وهلم جرًا والمعول على ضعف ذاكرة العربى العامى أو فقدانها من الأصل !

ولا بأس من الكذب عندما يكون بالدولار فهو كذب أبيض ، أما إن كان بالجنيه فهو كذب أسود ، أما الكذب ببلاش فهو عندهم كذب لوجه الله ، فالكذاب لا بد له أن يكذب ولو لم يجد من يكذب عليه فسيكذب على نفسه .

لماذا اخترت مذهب أهل البيت ؟

كنت فى زيارة عائلية فى أحد أيام صيف ١٩٨٤ فعثرت فى مكتبة البيت على كتاب عنوانه (لماذا اخترت مذهب أهل البيت) لصاحبه العلامة الأزهرى الشيخ السورى الأنطاكى .

استأذنت فى أخذ الكتاب فوافق أصحاب البيت فورًا فلم يكن أحد يعبأ به أو يعرف حتى محتواه !

أخذت الكتاب وقرأته وتعجبت مما فيه وقلت لنفسى كيف يمكن لعالم دين أزهرى هو الشيخ الأنطاكى أن يلتزم مذهب أهل البيت عليهم السلام ؟ أرقتنى هذه الفكرة فترة من الوقت وقلت في نفسى هذا الرجل له وجهة نظر ينبغى احترامها .

لم أقرر شيئا واحتفظت بالكتاب .

خلفاء الرسول الإثنا عشر

بعد عام واحد وفى المكان نفسه وفى التوقيت نفسه عثرت على كتاب آخر (خلفاء الرسول الإثنى عشر) قرأته وفهمته ولم أقرر شيئاً ...

لم يأت آنئذ أوان اتخاذ القرار ولكنه صار قاب قوسين أو أدنى.

التحول ـ الاستفزاز ـ الزندانى ـ حزب الله لبنان ـ حركة التوحيد الإسلامى فى طرابلس ـ الشيخ سعيد شعبان ـ سبتمبر أيلول ١٩٨٥ ـ الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم .

التقت هذه العناوين فجأة فى سبتمبر ١٩٨٥ كنت على وشك إنهاء رسالة الدكتوراه وكانت تسليتى الوحيدة فى أثناء العمل هى جهاز الراديو لنعرف منه أخبار العالم ومآسى المسلمين ، فجأة التهبت المعارك فى طرابلس –لبنان بين حركة التوحيد الإسلامية بقيادة الشيخ سعيد شعبان ، وهو حزب سنى وبين الأحزاب اليسارية ، والسبب أن الشيخ كان قد بدأ فى إقامة دولة إسلامية طالبانية فى طرابلس فالتهب القتال بين الفريقين وكانت معارك ساخنة قصف وحصار وقتلى .

فى هذه الأثناء كان هناك مؤتمر (الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم) الذى أشرفت عليه نقابة أطباء مصر الواقعة من يومها فى إطار النفوذ الإخوانى كنت أحضر المؤتمر وبعد انتهائه التقيت أحد الزملاء الذين يتحركون فى معية الشيخ عبد المجيد الزندانى ـ اليمنى اللاجئ للعربية السعودية آنئذ ، أحد زعماء التجمع اليمنى للإصلاح (الوهابى الإخوانى النزعة) وعضو مجلس الرئاسة اليمنى بعد ذلك .. اقترح على ذلك الزميل لقاء الشيخ ودعوته لإلقاء محاضرة عن الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم وهى مسألة كان وما زال لى فيها رأى مختلف ..

ليست مشكلة ، قلنا لا بأس فلنذهب لدعوة الشيخ ، صعدنا إليه فى غرفته الفاخرة المطلة على نيل القاهرة ، قمت بتوجيه الدعوة إليه لزيارة مدينة المنصورة وإلقاء درس فى مسجد مجمع الإيمان ، الذى كنت واحدًا ممن يلقون فيه الدروس والخطب ...

كان الرجل حريصًا على التفاخر بجواز سفره الدبلوماسى السعودى الذى يحمله بالرغم من كونه يمنيًا .

قبل أن أذهب إلى المحاضرة كنت قد استمعت إلى آخر الأخبار عن معارك طرابلس وحركة التوحيد المحاصرة من جميع الاتجاهات ، بعدما كادت القوى اليسارية اللبنانية المدعومة من الجيش السورى أن تفتك بها ، وعن تدخل الجمهورية الإسلامية الإيرانية لإنهاء الحصار وإنقاذ الشيخ سعيد شعبان (السني) وحزبه من الدمار ، وذهاب وفد من حزب الله إلى طرابلس لضمان أمن ، الشيخ وهو موقف هزنى من الأعماق ، وأسعدنى أن يكون هذا موقف الجمهورية الإسلامية ورئيسها آنئذ السيد على الخامنئى ، الذى هاتف الرئيس السورى حافظ الأسد لإنهاء الأزمة ، ثم ذهبت إلى المحاضرة وجاء الشيخ وقال ما عنده عن الأجنة والأفلاك وأن الإسلام حلو وجميل وزى العسل .

إنها ثقافة الاستهلاك العلمي وليست ثقافة الإنتاج العلمى ، التى تـأتى بـأفلام وشرائح علمية جرى تصويرها فى الغرب (الكافر) لتلميع صورة الوهابية ، وهذا هو سر امتعاضى من هذا الابتذال الدينى ، ناهيك عن أن ما يسمى بتفسير آيـات القرآن (علميًا) من قبل هؤلاء الجهال يصرف الكثير من الآيات عـن وجههـا الأصـلى الأخلاقى والاعتقادى والسياسى ، وبالتالى فهو تحريـف للكلـم عـن مواضعه .

جاء دور العشاء وكنت حاضرًا فأنا صاحب الدعوة ، وعلى المائدة جـاء دور الأسئلة الخاصة ، فسأله سائل عن إيران والخمينى والشيعة ، ويبدو أن الرجل لـم يكن يتوقع أى نوع من المعارضة فاتخذ موقفاً شـتائميًا منـذ اللحظـة الأولـى ، وذكرنى بما قاله ذلك الشيوعى السابق على طريقة يالك من قبرة بمعمر ألا خـلا لكى الجو فبيضى وصفرى ونقرى ما شئت أن تنقرى . وأخذ يعدد مثالب الشـيعة الأوغاد الذين يحاربون المجاهدين الأفغان وكيف أنهم كذبوا علـى الله ورسـوله وادعوا وجود اثنى عشر إمامًا فأبى الله إلا أن يخزيهم فغيب إمامهم الثانى عشـر وهم ينتظرونه عند السرداب ، إلى آخر لائحة الاتهامات التى يحفظها ويرددها كل صبيان الوهابية ؟!

انتشى الرجل بما قال وجلس يهز ذيله ولم يكن يتوقع أية معارضة لهذا الطرح العبقرى ولو كان ردا سياسيًا .

قلت له سبحان الله يا مولانا ما هذا الكلام الذى تقوله هل هذا أوان إشعال هذه المعركة والمسلمون الآن يواجهون أبشع أنواع العدوان من قوى الكفر العـالمى ، ولا ينبغى إطلاقاً أن نسمح بمعركة بين الإسلام السنى والإسلام الشيعى ؟ ثم سألته أين كانت الدول الإسلامية السنية وحركة التوحيد الإسـلامية السـنية تـذبح فـى طرابلس ؟

ولماذا لم يتدخل أحد إلا إيران الإسلامية الشيعية ؟ أليس هذا دليل على صحة ما أقول ؟

قال نعم ولكن هؤلاء رافضة ينبغى ألا نتعامل معهم ، ثم استدرك وقال ينبغى أن يكون التعامل معهم من خلال هيئة أمم إسلامية !

سكتُ وسكت الشيخ وتكلم الصمت .

لم تكن حركة التوحيد الإسلامية السنية هى الحالة الوحيدة التى تدخلت الجمهورية الإسلامية الإيرانية لإنقاذها من الدمار ، فما زال الدفاع عن مصالح المسلمين كل المسلمين همًا رئيسيًا لهذه الدولة الإسلامية ، بالرغم من وجود مثل هذا النوع من الأفاعى والديدان السامة فى كل مكان .

عدت إلى بيتى وأنا فى قمة الاستفزاز والانفعال ، فكيف يمكن أن تقوم هذه الثورة الإسلامية العظيمة على أكتاف أناس يؤمنون بمثل هذه العقائد الفاسدة ؟ولو كان هؤلاء الشيعة منحرفين فلعنة الله عليهم وأنا أول من يحاربهم أما إذا تبين العكس فتلك النازلة الكبرى التى ما بعدها نازلة وتلك قاصمة الدهر وتلك هى الخيانة العظمى .

بعد أيام قليلة كان هناك معرض للكتاب فى كلية الطب بجامعة المنصورة مررت به فوجدت كتابًا بعنوان (الإمام جعفر الصادق) من تأليف المستشار عبد الحليم الجندى ومن طباعة مجمع البحوث الإسلامية المصرى عام ١٩٧٧م قلت هذا كتاب مصرى سنى صادر من مؤسسة رسمية قبل قيام الثورة الإيرانية فأخذته وقرأته وتزلزل كيانى لما فيه من معلومات عن أهل البيت عليهم السلام طمستها الأنظمة الجائرة وكتمها علماء السوء فالقوم كما جاء على لسان الزهرى راوية بنى أمية لا يطيقون أن يذكر آل محمد بخير.

عدت إلى الكتابين السابقين وأخرجت ما فيهما من معلومات تثبت ولاية وإمامة أهل البيت ووجدتها جميعها من مصادر سنية قلت لعل هؤلاء الشيعة " الأوغاد الذين لم يترك الزنداني نقيصة إلا وألحقها بهم " قد كذبوا على القوم وأوردوا عليهم ما لم يقولوه وما لم يكتبوه فلنعد إلى هذه المصادر بأنفسنا وقمت بعملية جرد دقيقة لهذه المصادر سواء منها ما كان في مكتبتي الخاصة أو ما كان موجودا في مكتبة جمعية الشبان المسلمين بالمنصورة ، حيث يوجد الحاج يحيى شفاه الله الذي لم يبخل على بأية (كمية من المجلدات) وتحققت من صحة ما ورد في كتب الشيعة من معلومات وعرفت مدى المصداقية التي يتمتع بها الزنداني وإحسان إلهي ظهير وصلاح أبو إسماعيل[٩].

وهنا لا بد من إبراز نقطة بالغة الأهمية وهي أن هذه الكتب مقدسة عند القوم لأن صحة خلافة الخلفاء الثلاثة الأول مستمدة أولا من الأمر الواقع وثانيًا من الروايات التي وردت في تلك الكتب عن فضائلهم وهم يسلمون بكل ما فيها دون مناقشة تذكر ، ولذا وجب عليهم التسليم بما ورد فيها من فضائل أهل البيت وإمامتهم .

أما إذا قالوا بل ننظر في صحة الروايات والرواة فقد فتحوا باب النقد في مسلماتهم ، وعندها ستكر السبحة ويصبح من حقنا النقاش في صحة أسانيدهم وترجيح الدليل الأقوى وهو عين ما يتوخاه أي باحث عن الحق ، وعندئذ ستكتسب الروايات الواردة في إمامة أهل البيت عليهم السلام قوة مضاعفة ، أولا من قوة أسانيدها وثانيًا من الإجماع حولها باعتبارها واردة بأسانيد السنة والشيعة .

---

[٩] (كان الشيخ صلاح أبو إسماعيل ينتمي لجماعة الإخوان المسلمين وممن اقتحموا ساحة العمل السياسي حيث انضوى تحت لواء حزب الأحرار ، وعندما سئل في إحدى الندوات عن الطريق إلى تطبيق الشريعة الإسلامية قال الانضمام إلى حزب الأحرار ، وسئل مرة أخرى عن رأيه في الإمام الخميني والشيعة فقال عقيدتي أن الخميني كافر) .

والدليل الإضافى على ما أقول هى تلك الأزمة المتفجرة (مايو ويونيو ٢٠٠١) حول كتاب خليل عبد الكريم صاحب نظرية (الجذور النصرانية للبعثة المحمدية) وهى النظرية التى استقاها مما ورد فيما يسمونه (بصحيح البخارى) وهى رواية تتحدث عن ثلاث محاولات قام بها رسول الله صلى الله عليه وآله للانتحار نتيجة تأخر نزول الوحى ووفاة الراهب النصرانى ورقة بن نوفل .

بالأمس دار نقاش مع أحد المبهورين (بعظمة البخارى) فقلت له كيف سمح الرجل لنفسه أن يذكر تلك الرواية التى تزعم أن رسول الله صلى الله عليه وآله حاول أن يلقى بنفسه من رءوس شواهق الجبال ونصها ما يلى (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا خديجة ، ما لي . وأخبرها الخبر ، وقال : (قد خشيت على نفسي) . فقالت له : كلا ، أبشر ، فوالله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكلَّ ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق . ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وهو ابن عم خديجة أخى أبيها ، وكان امرأ تنصَّر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربي ، فيكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي ، فقالت له خديجة : أى ابن عمِّ ، اسمع من ابن أخيك ، فقال ورقة : ابن أخى ماذا ترى ؟ فأخبره النبى صلى الله عليه وسلم ما رأى ، فقال ورقة : هذا الناموس الذى أنزل على موسى ، ياليتنى فيها جذعاً ، أكون حياً حين يخرجك قومك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أو مخرجى هم) . فقال ورقة : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى ، وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزَّراً . **ثم لم ينشب ورقة أن توفى ، وفتر الوحى فترة حتى حزن النبى صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنا ، حزناً غدا منه مراراً كى يتردى من رءوس شواهق الجبال ، فكلما أوفى بذروة جبل لكى يلقى منه نفسه تبدَّى له جبريل ، فقال : يا محمد ، إنك رسول الله حقاً . فيسكن لذلك جأشه ، وتقرُّ نفسه ، فيرجع ، فإذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك ، فإذا أوفى بذروة جبل تبدَّى له جبريل فقال له مثل ذلك) ؟!**

فرد ذلك الفتى الهمام قائلا : إنها شبهات يلقى بها النصارى وقد قمت بـــالرد عليهم !

قلت له ماذا كان ردك ؟

قال : قلت لهم أن هذا كان قبل أن يصبح محمد نبيًا !

قلت له : إذا كان جبريل يقول له (إنك رسول الله حقا) فكيف تقول أنـــت إن هذا كان قبل النبوة ؟!

القضية إذاً أن القوم قاموا بوضع مجموعة من الثوابت والقواعد ما أنـــزل الله بها من سلطان والنتيجة هى هذا التخبط والتعثر المتواصل والانتقال من حفرة إلى حفرة .

ثم نعود إلى سرد القصة ....

لم تمض إلا أسابيع قليلة وكانت المسألة محسومة تمامًا من الناحية العقائدية ثم التقيت بواحد من الأصدقاء القدامى ووجدته على هذا الأمر . وبدأنا فـــى تـــدارس بعض الأحكام الفقهية اللازمة لتصحيح العبادات ، وكنت فى هذا الوقت مشـــغولا بإنهاء رسالة الدكتوراه ، حتى أننى أغلقت عيادتى وتفرغت للعمل بهذه الرســـالة التى قبلت فى نيسان أبريل عام ١٩٨٦ وبدأت أتأهب لدخول امتحانات الـــدكتوراه فى تخصص " الباطنة العامة " .

كنت منكبًا على القراءة العلمية وكانت راحتى ومتعتى الوحيدة ، إذا أصـــابنى الملل من القراءة فى الطب ، هى اللجوء إلى كتب أهل البيت عليهم السلام ، وبدأ النبأ يتسرب إلى الذين تعاهدوا فيما بينهم وقرروا مقاطعة العبد الفقير لا كـــلام ولا سلام ولا معاملة ، وبدأت حلقات الضيق تكثر حول شخصى المـــتهم بـــالانحراف الفكرى والعقلى .. لماذا ؟

كنت أتساءل بيني وبين نفسي عن سر هذا العداء الشرس في مواجهة كل من ينتمون إلى خط أهل بيت العصمة والنبوة عليهم السلام ، وما هي الجريمة التي ارتكبها أولئك المنتمون ؟

تارة يقولون (إنه انحراف عقائدي) ، أي انحراف عقائدي هذا؟ هل صار الإيمان بخلافة أبي بكر وعمر وعثمان جزءا متممًا لشهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، مثلما أضاف سيد قطب للشهادتين بند الحاكمية ؟ أفيدونا أفادكم الله .

هل يقصدون بهذه العقيدة إثبات الوجه واليد والرجل والأصابع لله عز وجل وهو ما يؤمن به السلفيون ومن يدينون بمذهبهم ، تعالى الله عما يقوله الواصفون والجاحدون علوًا كبيرًا .

لم يحاول أحد من هؤلاء أن يقنعني بركائز هذه العقيدة ومعالم الانحراف العقائدي التي حلت بالعبد الفقير ، ولم أكن في حاجة إلى من يعرفني ، فكتبهم موجودة في الساحة ويجري توزيعها بالطن دون مقابل على نفقة ذلك الفاعل المجهول الذي يسمونه فاعل خير .

اعتقال عام ١٩٨٧ ميلادية

في مايو ١٩٨٧ رمضان ١٤٠٨ انطلقت عدة رصاصات على وزير الداخلية المصري السابق حسن أبو باشا ، وعلى الفور أطلق الجنرال زكي بدر وزير الداخلية آنئذ حملة اعتقالات عشوائية على طريقة (عناقيد الغضب الإسرائيلية) فتوجست من هذه الحادثة ؛ فلي تجربة مريرة سابقة مع منطق المصلحة إياه الذي أملى اعتقالي سابقاً لمدة عام ، وبعد ثلاثة أسابيع من بدء حملة عناقيد الغضب ، جاء زوار الفجر وأخذوني خمس دقائق من إياهم إلى سجن الاستقبال ، ومنه مباشرة إلى ساحات الاستجواب والتعذيب.

ولا بأس برواية قصة محاولة اغتيال أبو باشا والتحقيقات التى جرت فى هذه القضية حتى ولو كانت تخرج عن إطار الموضوع .

فالذى أطلق الرصاص على الوزير السابق كان تنظيمًا جديدًا اسمه الناجون من النار ، ولم يكن للأمن معرفة به ، وبدأ الأمن يفتش فى دفاتره القديمة ويضاهى بعض البصمات التى عثر عليها فى موقع الحادث بما لديه من ملفات ، ومن هنا استقرت القرعة الأمنية على أبناء إحدى القرى القريبة من المنصورة ، وكان نجم هذه المسرحية الهزلية هو المدعو فاروق عاشور الذى لم يشاهد فى حياته بندقية ولا مسدسًا وجرى حياكة وتلفيق باقى أعضاء التنظيم لزوم الشغل وجرى (اعترافهم وإقرارهم) بارتكاب الجريمة ، ومن ثم سيقوا إلى النيابة العامة ، التى وقفت من هذه الفضيحة موقف المذهول والعاجز عن التصرف ، حتى ساق القدر الفاعلين الأصليين للوقوع فى قبضة الأمن ، وكان من نصيبى وحظى السعيد أن أشاهد بنفسى تلك المسرحية الهزلية التى تفوق فى روعتها مسرحية (شاهد ما شافش حاجة)

جرى تعصيبى وتقييدى من الخلف ويبدو أنها تكنولوجيا أمريكية جديدة لم يكن قد جرى استخدامها من قبل ..

ألقوا بى فى العراء على هذه الطريقة لمدة يومين ، وكعادتهم اللاآدمية أخذوا ملابسى ثم أعادونى إلى السجن وألقوا بى فى زنزانة فى الطابق الرابع بلا ماء ولا شبابيك ولا فراش ، وكان هذا فى بداية فصل الصيف ولم يؤنس وحشتى إلا أسراب بعوض الداخلية المتوحش ، ثم أعادونى إلى ساحة التعذيب والاستجواب بعد أسبوعين ، حيث بدأت حفلة التعذيب بالكهرباء بعد منتصف الليل وحتى الخامسة صباحًا لم يكن هناك هدف محدد لذلك الاستجواب باستثناء كونه غطاء

لممارســة التعذيب بالكهرباء وتوجيه صدمات كهربائية للمــخ وبــاقى الأمــاكن الحساسة ..

كان الأمر كله مجرد محاولة للتدمير بالاستفادة من مناخ الاعتقالات العشوائية التى أعلنها زكى بدر ، وزير الداخلية فى هذه الفترة ، وهو الذى ابتكــر سياســة الضــرب فى المليان ، فضلا عن أسلوبه الأثير فى السب والشــتم علنــاً وعلــى الهواء ، ثم أطلقوا سراحى بعد يومين آخرين ، ولم يكن لهم من هدف إلا ما أعلنه المحقق السفاح (سندفعك إلى الجنون وسنصيبك بكذا وكذا يا إبن كذا وكذا) ! .

﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الأنفال : ٣٠.

نماذج من الاستجواب الذى تم على إيقاع الصعق الكهربائى :

- لماذا حاولتم اغتيال أبو باشا ؟
- لم نحاول اغتيال أبو باشا .
- تعرف أسامة ؟.
- مين أسامة ؟!.
- يبقى تعرف أسامة ...
- لا أعرف أحدا اسمه أسامة .
- قول مين أسامة يا أبن كذا وكذا ...
- مين من أصدقائك لديه سيارة ١٢٨ حمراء ؟
- لا أعرف أحدًا لديه سيارة ١٢٨ حمراء .
- لا أنت تعرف قول يا ابن كذا وكذا .
- قل من أعضاء التنظيم ؟
- ليس لدى أى تنظيم ولست عضوًا فى أى تنظيم .

- نحن نعرف أنك لست عضوًا في أى تنظيم .. أنت شيعى أنت وصالح الوردانى !

أما صاحب الكلمات الأخيرة فكنت أعرفه من صوته وأدعو الله أن يشفيه من الشلل الذى أصابه قبل قرابة العشر سنوات ، أى بعد هذه الواقعة ببضع سنين ، وهو لما يصل إلى الخمسين من عمره (توفاه الله بعد ذلك وهو لم يكمل الستين من عمره)

خرجت من المعتقل مريضًا بالفعل ، ومضت عدة شهور قبل أن أسترد عافيتى ، ولكن التآمر أخذ بعدا آخر كان الهدف منه إخراجى من الجامعة من خلال حرمانى من النجاح فى الدكتوراه ، تلك المؤامرة التى جرى تنفيذها هذه المرة بواسطة (المتعاونين الشرفاء) الذين لا يمانعون فى ارتكاب أى جرم لإرضاء أسيادهم ، وهكذا جرى حرمانى من حقى فى الحصول على درجة الدكتوراه لمدة عشرة أعوام كاملة ، حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ، عام ١٩٩٢ ، لعل (الفاسدين) يتمكنون عبر الضغوط الوظيفية والمعاشية من إقناعى بالعدول عن عقيدتى الفاسدة ، وهو ما عجزت عنه الضغوط الكهربائية سالفة الذكر (لبئس المولى ولبئس النصير) سورة الحج .

التنظيم الشيعى ١٩٨٩

من الواضح أن النفوذ البعثى العراقى قد امتد إلى كافة أنحاء المنطقة ، خاصة مع نهاية الحرب العراقية الإيرانية ، التى نصب فيها صدام حسين نفسه زعيمًا للأمة العربية وحامى حمى البوابة الشرقية للأمة العربية بضم باء البوابة ، إلى آخر هذه الألقاب التى منحها له الإعلام الحاقد والمأجور ، وكان الهجوم على المسلمين الشيعة فى كل مكان أحد ملامح هذا التمدد الذى لما تكشف تفاصيله ، (فالتقيت فى العام ٢٠٠٤ بأحد الأصدقاء الصحفيين المهتمين بالشأن الشيعى وأكد لى صحة هذا

الاستقراء) والدليل على ذلك تقلص هذا العداء (وليس انتهاؤه) بتقلص دور ذلك المغرور سياسيًا صدام حسين .

لم تكن الأصابع البعثية بعيدة عن تمويل الحملة الإعلامية التي انطلقت لمهاجمة الشيعة في كل مكان وتشويه معتقداتهم ، ولا كانت بعيدة عن تلفيق القضايا للشيعة في الأعوام ١٩٨٧ ، ١٩٨٨ ، ١٩٨٩ م ومنها تلك القضية المفبركة التي جرى الزج باسمي فيها في ذلك العام ، حيث جرى حشد قرابة الثلاثين متهمًا من الشرق والغرب والقيام بتغطية إعلامية واسعة النطاق في الصحف والمجلات ، ثم انفض الجمع كما بدأ ، وكانت النتائج عكسية تمامًا حيث وجدنا من أحرار الأمة من يدافع عنا وقد كان منهم رجال من الجامعة ، وأخص بالذكر ذلك الرجل الفاضل الأستاذ الدكتور الشافعي بشير أستاذ القانون الدولي بجامعة المنصورة ، الذي قاد حملة الدفاع عنا داخل الجامعة بالإضافة إلى كثير من رجال الصحافة ومنهم جريدة الوفد في عهد الأستاذ جمال بدوي قبل أن يغير رأيه في الشيعة لأسباب لا يعلمها إلا الله . وفشلت الحملة السوداء التي تصورت أنه بمجرد النطق بكلمة الشيعة والتشيع سيقف الكل ضدنا وقفة رجل واحد ، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث ولن يحدث إن شاء الله في مصر الكنانة ، مصر الأزهر الشريف بالرغم من عتبنا عليه.

الأزهر الذي بناه المسلمون الفاطميون الشيعة ، مصر التسامح المذهبي والديني ، التي وسعت بين أرجائها المسلمين والمسيحيين بل وحتى اليهود ،فكيف يتخيل بعضهم أن هذا الشعب العظيم يمكن أن يحقق لهؤلاء أغراضهم ثم تكرار المهزلة نفسها في العام ١٩٩٦ وتكررت المسرحية الإعلامية نفسها ، وأذكر أنني بعد انتهاء ذلك العرض الأخير جمعني حوار مع أحد رجال أمن الدولة ، فقلت : له يا أخي أنتم تسيئون إلى أنفسكم وإلى مصر في كل مرة تمارسون فيها هذا العرض ، أكثر مما تسيئون إلينا . قال كيف ؟ قلت له : النظام المصري الآن يتعرض لحملة تشهير في الخارج تتهمه باضطهاد المسيحيين وأنتم باضطهادكم

للشيعة وبهذه التصرفات تؤكدون هذه التهمة فى حقكم ، وإذا كنتم عاجزين عن تحمل فريق من المسلمين تختلفون معه مذهبيًا فمن باب أولى أنكم لا تتحملون المختلفين معكم دينيًا من المسيحيين . سكت صاحبنا ولعله كتب تقريرًا بهذا الأمر إلى قيادته ولعلهم قد اقتنعوا بأن مثل هذه المسرحيات الهزلية بالغة الضرر والإساءة للنظام ولكل مصرى يحب بلده .

محاولة فاشلة للهجرة !!

يتصور البعض أن الكائن السياسى والعقائدى هو مخلوق مختلف عن بقية الناس ، وأنه كما يقول العامة (غاوى مشاكل) والغريب أننى حاولت مرارًا وتكرارًا الهروب من هذه المشاكل ومواصلة حياتى كبقية خلق الله ، إلا أن أصدقاءنا إياهم كانوا يصرون على ملاحقتى أينما ذهبت ! إنها على ما يبدو خصومة لا مفر منها !

فى العام ١٩٩١ ميلادية وبعد أن دخلنا فى العام التاسع دكتوراه وكانت بعض معالم التآمر قد نضجت ووصلت إلى مراحلها النهائية ، وهى محاولة نقل العبد الفقير إلى وظيفة إدارية أى خارج الكادر الجامعى لأنه (فشل) فى الحصول على الدرجة العلمية ؛ وهو ما ينص عليه قانون الجامعات ؛ المصرى الذى لا يفرق بين من انتهى من إعداد رسالة الدكتوراه مثلى خلال عامين ونصف ولكنه جرى إيقافه فى الامتحانات ، وبين من لم ينجز تلك الرسالة من الأساس ، وهى المرحلة التى يمنح بعدها طالب الدراسات العليا درجته العلمية فى الكليات غير الطبية ؛ ولذا فقد قررت التخلى عن كل ما بذلته من جهد والتوجه للعمل والعيش خارج البلاد .

الطريف أن محاولة الإقصاء هذه قد فشلت بسبب الصراعات القائمة بين أهل الإدارة وبسبب كراهية البعض منهم للظلم والظالمين !

لم أكن مكترثاً بشيء من هذه المحاولات بعد أن فوضت أمرى إلى الله لأن الله يدافع عن الذين آمنوا ولأنه سبحانه لا يحب كل خوان كفور ولا كل معتد أثيم .

قلت فلنترك لهم الجمل بما حمل ولنترك لهم مصر وأهلها فلسنا من الباكين على منصب ولا مغنم .

فى المرة الأولى أى فى أوائل ١٩٩١ ، ذهبت إلى إيران فى زيارة دامت أكثر من شهرين ، وكانت هذه هى زيارتى الأولى لإيران ، بالرغم من أن أجهزة بث الإشاعات قد (زورتنى هذا البلد) قبل هذا ورسمت سيناريوهات من نسج الخيال .

كنت أنوى الإقامة والاستمرار ، إلا أن الحنين الداخلى دفعنى للعودة وهذا شأن أغلب من يقررون الهجرة ، وعلى كل حال فقد كانت فرصة للتأمل بعيداً عن الأجواء الخانقة التى عشتها ، وقلت لنفسى فلنرجع ولنحاول الاستمرار لعل وعسى إلا أن شيئا لن يتغير وبقيت الضغوط النفسية والمعاشية على حالها .

المرة الثانية ذهبت إلى أبو ظبى عام ١٩٩٢ وتقدمت لامتحان ترخيص مزاولة المهنة قبيل امتحانات الدكتوراه بأسابيع قليلة واجتزته ، وفى انتظار التعاقد الفعلى قررت العودة وكانت الامتحانات على الأبواب .

المتغير الوحيد هذه المرة أن رئاسة القسم آلت إلى أحد الأساتذة المسيحيين ، ولعل القارئ الكريم يتمعن فى دلالة هذا الأمر ، وبالتالى فقد أزيلت واحدة من أخطر العقبات أمام حصولى على حقى الضائع وليس العكس ولن أفيض فى الشرح أو التفصيل .

المهم سارت الأمور سيرها كما هو معتاد واتخذ السادة (المسـلمون العـدول) قرارهم المجافى لكل منطق فى السنة العاشرة ، ولعل القارئ يعرف أن أصـحاب الحيثية يحصلون على هذه الدرجة من أول امتحان ، وفى فترة لا تتجاوز الثلاثـة أو الأربعة أعوام ، أما أنا فقد كنت فى عامى العاشر ونعم العدالة والمساواة ونعم دولة القانون والمواطنة !

فجأة وأثناء إبلاغى بالحكم الظالم والمعد سلفاً قبل المداولة ، ثـارت ثـائرتى وانطلقت أصرخ فى وجوههم كما أننى لم أذكر بعدها حرفاً واحدًا مما كنت أقول ، فحدث ما لم أكن أتوقعه وقرر الملأ التخلص من تلك الورطة التى وضعوا أنفسهم فيها وقرروا منحى الدرجة .

بعد انتهاء هذه المهزلة ببضع سنين التقيت بواحد ممن كنـت أسـميهم يومًـا (أساتذتي) وقلت له : أعرف جيدًا لماذا كنت أرسب فى الامتحان ولكننى لم أعرف حتى هذه اللحظة لماذا نجحت فى هذه المرة .. ؟

قال الرجل سأحكى لك :

عندما صرخت فى وجوههم انتابتهم حالة من الرعب خاصة أنهم كـانوا قـد نسوا أنهم من أطلق إشاعة التنظيم الإيرانى المسلح الذى تقوده ، فانتابتهم حالة من الرعب والهلع (خاصة أن جماعة الجهاد) كانت تقتل الناس فى الشوارع وقتها .. فقالوا فلنتخلص من هذه الورطة وقرروا حل المشكلة ومنحك الدرجة !

إنه نموذج فاضح للطريقة المزاجية التى تدار بها شئون العباد ولا حـول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وبرغم حصولى على الدرجة العلمية كان عندى من المرارة ما يكفى بسبب هذه الخسائر المعنوية والمادية الهائلة التى تحملتها ، وكان هذا دافعًا لأن أقرر الرحيل عن هذا العالم الذى كان وما زال لا يطاق بالنسبة لي.

سافرت بالفعل إلى أبو ظبى لاستلام عملى ، وحاولت قبلها الحصول على إجازة للعمل فى الخارج ، مثلما حصل أغلب زملائى الذين لم يعانوا شيئاً مما عانيته أنا ، إلا أن القرار الظالم واللا إنسانى كان جاهزًا ومعدًا برفض منحى تلك الإجازة .

قلت فلأخرج دون إجازة وليصدروا قرارًا بالفصل فأهلا وسهلا بالانفصال عن هذه القرية الظالم أهلها .

فى آخر ١٩٩٢ ذهبت للعمل فى مستشفى (السلع) وهى مدينة صغيرة على أطراف الإمارات وتبعد عن أبو ظبى بأكثر من ٣٥٠ كيلومتر إلى الغرب ولا يزيد سكانها آنئذ على خمسة آلاف نفس .

وبدأت المراسلات بينى وبينهم هم يطالبوننى بالعودة وأنا مُصر على القطيعة النهائية معهم ومع القرية الظالم أهلها .

ذهبت إلى هناك لأجد الوجوه نفسها التى تتبرع بالأذى والشر من أبناء هذه القرية الظالمة ، ولأجد محاولات الوقيعة نفسها والفخاخ المنصوبة ، ولكننى قررت الصبر والتحمل حتى جاءت الطعنة الغادرة بعد عام أى فى (ديسمبر ١٩٩٣) بإنهاء عقدى تلك الضربة التى خسرت فيها أغلب ما كنت ادخرته من أموال خلال هذا العام ، وقررت العودة حيث كان هناك فخ آخر فى انتظارى إلا أن الله عز

وجل أيدنى بنصره وعدت إلى عملى فى الجامعة فيما يشبه الخرافة التى لا تصدق ، ورجعتُ !

كم قلت إنى غير عائد إلى بلدى ولكنى رجعت إلى المعاناة والقلم والقرطاس والحديث مع الناس ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

ليس كل شيء على ما يرام الآن إلا أن الحصار والتضييق الذى تعرضت له قد أدى إلى نتيجة مغايرة بصورة مطلقة لتلك التى أرادها المخططون الكبار وهى أننى وجدت فرصة كبيرة لا تتوفر لزملائى الذين لا هم لهم إلا جمع الأموال وهى القراءة والكتابة ، حيث ألفت الكثير من الكتب ، فضلا عن مقالاتى التى تنشر فى جريدة القاهرة الأسبوعية منذ أوائل عام ٢٠٠٢ وحتى الآن ، تلك الجريدة التى تصدرها وزارة الثقافة المصرية والتى يرأس تحريرها الأستاذ صلاح عيسى ، ذلك المفكر الكبير الذى يحتضن الرأى الحر ويقدر قيمة العلم .

ويبقى السؤال هو لماذا كل هذا العداء والإصرار على ملاحقة العبد الفقير وليس فيما كتبته أو أكتبه حض على الكراهية أو تحريض على قتل أحد من بنى الإنسان أياً كان دينه أو مذهبه .

ولماذا تضيق صدور هؤلاء القوم بأصحاب الفكر المغاير ؟!

كان من الممكن أن أكون من بين من يهللون للقتل وسفك الدماء فى أفغانستان والعراق ، وكان هؤلاء القادة معى أو كنت معهم فى سجن واحد عام ١٩٨١ ، ولكنى وعلى العكس من هؤلاء استفدت من تجربتى المرة واستخلصت العبر ، وقرأت تاريخ هذه الأمة المنكوبة وخرجت بنتيجة مغايرة لتلك التى يهزج بها القوم

صباح مساء ، وهى أننا نحن المسلمين مسئولون عن أغلب مشـاكلنا بـدءًا مـن احتلال فلسطين وصولا إلى غزو العراق ، وأن علينا أن نبدأ الإصلاح من الداخل بدلا من إلقاء العبء على الآخرين والصياح صباح مسـاء فـى وجـه أمريكـا وإسرائيل .

كان من الممكن أن أبيع قدراتى وإمكاناتى الفكرية والثقافية كما صنع الكثيرون لمن يدفع أكثر ، ولكنى لم ولن افعل شيئاً من هذا.

كان بإمكانى أن أجنى آلاف الجنيهات من عملى الطبى كمـا صـنع أغلـب زملائى ممن يسكنون الآن فى قصور فاخرة ولكننى لم ولن أفعل .

فهلا أخبرنا هؤلاء السادة عن سر تحاملهم علينا وبخسهم حقوقنا ؟!

حوارات مع السلفيين

لم يكن أحد يعرف من هم المسلمون الشيعة ولا أى شيء عن التشيع لأهل البيت قبل الثورة الإسلامية الإيرانية ، وربما كان من الممكن التماس العذر لكل من وقفوا من الشيعة موقفاً سلبيًا فالحقيقة غائبة ولا سبيل إليها إلا بمصادفة كالتى تعرضت لها ؛ لأكتشف فى النهاية أن الشيعة هم أناس مسلمون يؤمنون بالله خالقاً تجب عبادته وإطاعة أوامره وحده لا شريك له والانتهاء عن معاصيه ويؤمنون بمحمد (صلى الله عليه وسلم) نبيا مرسلا هاديا ويؤمنون بيوم المعاد (القيامة) ويؤمنون بالقرآن الموجود بين أيدينا اليوم كتابًا منزلا على الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأن الله سبحانه وتعالى قد حفظ هذا الكتاب من أى تحريف أو نقص أو زيادة . والمنصف هو من يعود إلى كتبهم العقائدية والفقهية ليطلع على أفكارهم وعقائدهم لا أن يتعرف إليهم من كتب خصومهم التى تحتوى على الافتراءات والأكاذيب بما لا يرتضيه دين ولا يقر به عاقل منصف .

لو قرأ أولئك الناس كتب التراث الإسلامى لتغيرت نظرتهم وصارت أكثر عمقاً ولكن هيهات هيهات !

فلماذا يقرأون وقد صاروا زعماء سياسيين ودينيين لمجرد أنهم قرءوا الصحف والمجلات وبعض قصاصات فكان أن فتحت لهم كل الآفاق والمجالات خاصة بعد أن انتقلنا إلى عصر الفضائيات القادرة على أن تصنع من الفسيخ شربات يشربه الناس فيطلقون الآهات ويطلبون المزيد من الكاسات ، ولو ساروا فى الأرض كما أمرهم الله عز وجل لوجدوا أن المسلمين الشيعة فى طول الأرض وعرضها يحملون المصحف نفسه يقرأونه ويتعبدون به لله الواحد الأحد ولكن الهوى لا دواء له.

يوم أن التزمت منهج أهل البيت كنت ما زلت أخطب الجمعة وأعطى الدروس فى المساجد ، إلا أن إضافة الصلاة على الآل إلى الصلاة على النبى جعلتنى فى موقع الشك والشبهة من الإخوة الذين يزعمون الآن أنهم يحبون أهل البيت حبًا حقيقيًا على عكس الشيعة الذين يحبون أهل البيت حبا زائفا !

أو كما قال !

المهم انكشف أمر العبد المسكين يوم أن دخلت فى مناقشة مع أحدهم ردًا على من قال (إيه يعنى أهل البيت ؟ زيهم زى غيرهم) وتم توجيه تهمة التشيع للعبد الفقير بصورة رسمية !!

المهم جاء وفد من الحمقى إلى بيتى يرغى ويزيد ويهدد ويتوعد وعندما طلبت منهم مغادرة البيت قائلا : ﴿ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ ﴿٢٨﴾ ﴾ النور : ٢٨ .

رد كبير الحمقى قائلا : مش بمزاجك !

قلت له لو كان فى الدين شىء بمزاجى فسيكون هذا الشىء !

اخرجوا فلا أريدكم فى بيتى ..

المهم أن هذا الأحمق قام بعد ذلك بتأديب طفلة صغيرة تنتمى لجماعته لا يتجاوز عمرها تسع سنوات ، لأنها ضبطت متلبسة بخلع النقاب فى حر الصيف ، بالضـــرب حتى الموت بل وبعد الموت وهو يقبع الآن فى أحد السجون!!

وتوالت التهديدات والشتائم ...

جاءنى أحدهم وكان من زملاء الاعتقال عام ١٩٨١...

قرأ الرجل أحد كتب المقبور (إحسان إلهى ظهير) وجلس يتلو على ما حفظه رغم أنه لم يكن يفهم حرفاً واحدًا مما يقول..

قال : المشكلة ليست فى أهل البيت .. المشكلة فى الغلو فى أهل البيت !

قلت له : القضية بسيطة للغاية ..

الغلو فى أهل البيت فرع على الاعتقاد فى إمامتهم ..

الغلو فى أهل البيت لا ينفى إمامتهم كما أن الغلو فى عيسى عليـــه الســـلام لا ينفى نبوته ولكنه ينفى ألوهيته ، وبالتالى لو أردت أن تنفى إمامة أهل البيت عليك أن تتوجه إلى الأدلة التى يستدل بها الشيعة على إمامة أهل البيت وتنفيها واحدا تلو الآخر ، ومن ثم تحل المشكلة القائمة بيننا وبينكم على الفور ومن ثم فلا ، حاجـــة لنفى الغلو أو حتى الحديث عن الغلاة !

سكت الرجل ولاذ بالصمت وعاد كما جاء !

عندما تكاثرت التهديدات والمضايقات تركت الخطابة فى المساجد وآثـــرت أن أبتعد عن هذه الأماكن التى أصبحت وللأسف الشديد بالغة الخطورة بسبب هـــؤلاء الحمقى !

ندوة كتاب الشيعة والتشيع

في نوفمبر ٢٠٠٦ صدر كتابى (الشيعة والتشيع لأهل البيت) وهو الكتاب الذى حظى بإشادة من الأستاذ أحمد بهجت والأستاذ أنيس منصور فى عموديهما فى جريدة الأهرام .

وحسب معلوماتى فقد حقق الكتاب نجاحًا لا يستهان به إذ صدرت منه ثلاث طبعات فى أشهر قليلة للغاية .

عقدت مكتبة الشروق ندوة عن الكتاب فى مقرها بقلب القاهرة حضرها عدد كبير من المثقفين وأساتذة الجامعات من شتى الاتجاهات وجاء الإخوة الوهابيون كعادتهم يحملون منشوراتهم التكفيرية سعيًا للإثارة والاستفزاز على طريقة (خناقة لله يا محسنين) !!

ولما فشلت الخطة بسبب كثرة الحضور من المؤيدين لنا طلعت بعض الصحف المؤيدة لهم بأخبار ملفقة عن خناقة وتبادل للسب والشتم وكلها خرافات من صنع خيالهم المريض .

فى ندوة عقدت فى الرياض فى الفترة نفسها قام هؤلاء بما لم يقدروا على القيام به فى القاهرة .

الخبر :

تحولت ندوة ثقافية عقدت فى مدينة الرياض تحت عنوان " أزمة الثقافة العربية " إلى مواجهة ساخنة بين المفكر السعودى المثير للجدل عبد الله الغذّامى وحشود من شباب التيار الإسلامى فى السعودية ، الذين حضروا مبكرًا إلى مقر

انعقادها ، فى قاعة المحاضرات الكبرى بكلية اليمامة شمال العاصمة السعودية ، فى إطار ما يسمى " أسبوع اليمامة الثقافى " .

واتهم الشباب الذين حضروا الندوة الغذامى ـ الشهير بآرائه الصادمة حول العديد من القضايا الإسلامية ـ بأنه من أهل البدع الذين لا يجب الاستماع إليهم ولا السكوت عن باطلهم ، وحاولوا مقاطعته مرارًا ، وانتهى بهم الأمر إلى قبول الدخول فى مناظرة خاصة مع المفكر السعودى فى غرفة خاصة ، قبل أن ينطلق الطرفان مغادرين إلى الباب الخارجي .

وكانت البداية الساخنة للأحداث قد بدأت قبل انطلاق ، الندوة عندما أثار الشباب من أصحاب التيار الإسلامى الذين توافدوا بكثرة إليها مشكلة مع المنظمين ، بسبب وجود النساء فى شرفات مطلة على القاعة ، واعتبروا ذلك مقدمة لإشاعة الاختلاط فى المجتمع بما يخالف تعاليم الإسلام ، ورفضوا قبول رد المنظمين الذين أشاروا إلى وجود زجاج مظلل على شرفات النساء يمثل ساتراً كافياً .

وبعد بداية الندوة تحدث الغذامى الذى كان أول المحاضرين شارحًا بعض ما يراه عوارض أزمة الثقافة العربية ، فذكر من ذلك تحول المجتمع من " التعدد " إلى " فرض النموذج الأوحد " بما ينتج الصراع والتوتر ، ضاربًا العراق مثالا لذلك ، وأشار فى هذا الخصوص إلى أن الزواج كان يجمع السنة بالشيعة والمسلمين بالمسيحيين فتحول الحال اليوم من العائلة الواحدة المتسامحة إلى حرب طائفية مدمرة.

وأدى الرأى السابق الذى أدلى به الغذامى إلى إثارة غضب أحد الحاضرين الذى قاطعه قائلا إن " هذا النوع من العلاقات الزوجية محرم وغير جائز

شرعا " ، فحاول الغذامى إيضاح أن ما يقدمه هو وصف لما جرى وليس تبيانا لحكم شرعى .. واستمر الشاب فى مقاطعة المحاضر رافضًا الاستماع إليه ، كما فشلت جهود عميد الكلية الدكتور أحمد العيسى الذى كان يرأس الجلسة فى إسكاته ، وهنا واصل الغذامى كلمته غير عابئ بالمقاطعات ، فانقسم الحاضرون فى القاعة بين داعم لموقف الغذامى وداعم للشاب المعترض عليه ، وقام مؤيدو الغذامى بالتصفيق لإسكات الإسلاميين الأمر الذى أثار غضب هؤلاء واعتبروه سلوكاً محرمًا لا يليق بغير النساء فما كان من الغذامى نفسه إلا أن شارك فى التصفيق ردًا على الشباب المعارضين له معتبرًا التصفيق شكلا من أشكال التعبير يجب عدم منعه .

وفى أول تعقيب على كلمة الغذامى قال الشاب الذى حاول مقاطعته خلال الكلمة إنه فعل ذلك " من باب عدم جواز الاستماع إلى أهل البدع ، ولا السكوت على إلقاء الباطل على أذهان الناس ".

وبدوره أكد الكاتب المصرى صلاح فضل فى الندوة على أهمية المناخ الليبرالى لتجاوز أزمة الثقافة العربية ، وضرورة التمييز بين الدين والسياسة ، مشيراً إلى أن بواعث المعترضين على تصريحات وزير الثقافة المصرى فاروق حسنى حول الحجاب لم تكن دينية على الإطلاق وإنما سياسية ، وردّ أحد المداخلين الإسلاميين على ذلك بأن نمو الفكر الليبرالى يوهن السلطات الدينية والسياسية . ومن جانبه علق محمد الفراج ، المحاضر السابق بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، على وصف الدكتور صلاح لحقوق الإنسان بأنها متوافقة مع الإسلام ، قائلا إن حقوق الإنسان سيف تسلطه الجمعيات والدول التى وصفها بـ " الكافرة " على أهل الإسلام .

جدير بالذكر أن الندوة كادت تتطور إلى الأسوأ حين حاصر مجموعة من الشباب

المفكر عبد الله الغذامى خارج قاعة المحاضرة ، وانتهى الأمر بقبولهم باقتراحه عليهم أن ينتخبوا أحدًا لمناقشته ، فدخل الاثنان قاعة جانبية لم يسمح لأحد بدخولها ، وبعد بضع دقائق خرج كل منهما متجهًا إلى الباب الخارجي دون أن يتضح ماذا دار فى نقاشهما[١٠]

هذا هو منطقهم فى الجدل والحوار مع الدنيا بأسرها ولا عجب أن يكون هذا أسلوبهم المفضل مع الشيعة !

أسلوب التهييج والصراخ والسب والشتم والتكفير ..

لا عقل ولا نقل ولا دليل ولا برهان ...

هؤلاء من يزعمون أنهم أصحاب الإسلام الصحيح رغم أن الله تبارك وتعالى حض مرارا وتكرارًا فى محكم كتابه على مجادلة أهل الكتاب بالتى هى أحسن وليس بالسب والشتم !

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ النحل : ١٢٥.

﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾
العنكبوت : ٤٦.

هذا هو أسلوبهم وهذا هو منهجهم الذى يفتى به شيوخهم ودونك تلك الفتوى العجيبة التى أصدرها الشيخ بن جبرين :

" **السؤال – ٢٨** : لدى سؤال طالما أشغلنى حيث إننى أحد موظفى أرامكو ، وحديث عهد بهذه الوظيفة ، ولكن ما أشغلنى أننى أعمل مع رافضة فى نفس

[١٠] http://www.alsakher.com/vb٢/showthread.php?t=١٠٦٥٩٣

القسم ، وجرت العادة على الاشتراك في واجبات الطعام ، خلال وقت الدوام ، ويكون الأكل جماعياً ، وما قد يتخلل ذلك من الضحك والمزاح ، مما قد يضعف عند المسلم قضية الولاء والبراء ، والغيرة على هذا الدين ، مع العلم أننى أحدث واحدًا فيهم ، ورئيسى المباشر منهم ، مما قد يضطرهم إلى مضايقتى فى العمل إذا أحسوا منى بغضهم . أفيدونا رعاكم الله ، فإننى فى حيرة من أمرى ، لما يترتب على ذلك إن أنا قاطعتهم ، وجعلت علاقتى معهم مجردة فيما يتعلق بالعمل ، ولكن قد يضايقوننى كما أسلفت " . ص٢٦

"**الجواب – ٢٨** : عليك أن تحاول الانتقال إلى جهة أخرى لا يوجدون بها ، أو لا يكون لهم سلطة فيها ، فإن لم تجد قريباً **فعليك أن تظهر لهم المقت والاحتقار ، والسخرية منهم ، وأن لا يكون لك انبساط معهم ، ولا انشراح صدر** ، وإذا رأيت منهم مضايقة خاصة فسجل كلماتهم واكتب بها إلى المسئولين فى الشركة ، حتى يلقوا جزاءهم ، كما أن عليك محاولة إقناعهم ببطلان معتقدهم ، وصحة ما أنت عليه ، فإن رجع أحد منهم وإلا قامت عليهم الحجة ، والله أعلم " . ص٢٦-٢٧

سؤال آخر وفتوى أخرى :

"**السؤال – ٤٣** : ما حكم دفع زكاة أموال أهل السنة لفقراء الرافضة (الشيعة) وهل تبرأ ذمة المسلم الموكل بتفريق الزكاة إذا دفعها للرافضى الفقير أم لا ؟

الجواب – ٤٣ : لقد ذكر العلماء فى مؤلفاتهم فى باب أهل الزكاة أنها لا تدفع لكافر ، ولا لمبتدع ، فالرافضة بلا شك كفار لأربعة أدلة.

الأول : طعنهم فى القرآن ...

الثانى : طعنهم فى السنة وأحاديث الصحيحين ...

الثالث : تكفيرهم لأهل السنة ... فنحن نكفرهم كما كفرونا وأولى .

الرابع : شركهم الصريح بالغلو فى على وذريته ... ثم إنهم لا يشتركون فـــى جمعيات أهل السنة ، ولا يتصدقون على فقراء أهل السنة ، ولو فعلوا فمع البغض الدفين ، يفعلون ذلك من باب التقية ، فعلى هذا من دفع إليهم الزكاة فليخرج بدلها ، حيث أعطاها من يستعين بها على الكفر ، وحرب السنة ، ومن وكل فـــى تفريـــق الزكاة حرم عليه أن يعطى منها رافضياً ، فإن فعل لم تبرأ ذمته ، وعليه أن يغرم بدلها ، حيث لم يؤد الأمانة إلى أهلها ، ومن شك فى ذلك فليقرأ كتب الرد عليهم ، ككتاب القفارى فى تفنيد مذهبهم ، وكتاب الخطوط العريضة للخطيـــب ، وكتـــاب إحسان إلهى ظهير وغيرها ، والله أعلم "[١١]. ص٣٩-٤١

بينما يوصينا رب العزة بحسن معاملة أهل الكتاب يوصـــى هـــؤلاء أتبـــاعهم بإظهار البغض والاســـتهزاء والسخرية من الشيعة وعدم التصدق علـــى الفقيـــر الشيعى ، رغم أن المال مال الله وليس مال ابن جبرين ولا ابن عبد الوهاب.

يزعم هؤلاء السلفيون أو إن أردت الدقة الوهابيون أنهم أهل العلـــم والبحـــث والتدقيق عن الصحيح وأنهم لا ينقلون عن رسول الله إلا ما هو ثابـــت وصـــحيح والأمر كله لا يعدو شنشنة وطنطنة لا أصل لها من الواقع .

كيف يكون من أعرضوا عن علوم أهل البيت ليأخذوا دينهم من ســـمرة بـــن جندب والمغيرة بن شعبة وعكرمة طلاب حق أو حقيقة أو باحثين عـــن الهدايـــة والصواب ؟!

يزعم القوم أن الصحابة كلهم عدول وأنهم يمثلون المرجعية الدينية العليا للأمة والملجأ والملاذ !

---

١١ http://www.d-sunnah.net/forum/archive/index.php/t-٢٤٧٢٥.html

لن نخوض فى قضية عدالة الصحابة فليس هذا موضعها ، ولكننا نقطع باستحالة هذا ونقول إن الأمر كله لا يعدو كونه التصاقاً بمجموعة الآراء والفتاوى التى أطلقها ابن تيميه وتلميذه ابن عبد الوهاب ولا شيء أكثر من هذا .

وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد كثر الكذابون عليه ، حتى أن البخارى جمع عشرات الآلاف من الروايات المنسوبة إلى رسول الله ولم يدرج منها فى كتابه إلا ستة آلاف فقط لا غير ، بغض النظر عن رأينا فى حكمه على هذه الروايات بالصحة والبطلان ، فأين هى بقية الروايات والأحاديث ولماذا استبعدها الشيخ البخارى ؟!

لقد كثرت الروايات الصحيحة والمكذوبة عن رسول الله وهو فرد واحد معصوم ولا ينطق عن الهوى ، فلماذا لا يكذب الجيل الثانى من الرواة على الجيل الأول من الصحابة وعددهم يقدر بالآلاف والجيل الثالث على الثانى وهكذا تتسع قابلية الكذب والافتراء وفقاً لنظرية الاحتمالات لتصل إلى عدة ملايين .

فكيف يزعم هؤلاء القوم أنهم سلفيون أى يؤمنون بمرجعية آلاف الصحابة ويستقون من فيض علمهم مع استحالة هذه المرجعية استحالة مطلقة !

وهكذا فالإيمان ببقاء الدين صحيحًا لا يكتمل إلا بالإيمان بمرجعية أهل البيت وإمامتهم ، وأن الإمام فى كل عصر وزمان هو شخص واحد ، وهو حجة الله على خلقه ، وهو الذى يبين للناس ما اختلفوا فيه ، وهو الذى يفضح الكاذبين على الله ورسوله ، وقد أدى أئمة أهل البيت هذا الدور ، فكان أن بلغنا عنهم ومن نبعهم الصافى الإسلام الصحيح ، الذى لا يغنى عنه ماء البرك والمستنقعات .

الشيعة فى مصر ٢٠٠٧

جرت كثير من الأحداث منذ صدور الطبعة الأولى لهذا الكتاب عام ١٩٩٧ أى بعد خروجى من آخر القضايا التى لفقت للشيعة فى مصر منذ سبعة أعوام .

تغير المزاج الأمنى وبدأ يتجه نحو الضربات الصغيرة المحدودة هنا وهناك ، وآخرها قضية اعتقال بعض الشيعة فى البحر الأحمر ديسمبر ٢٠٠٣ عشية اللقاء الذى جمع الرئيسين المصرى والإيرانى في جنيف ، وهى القضايا التى رصدها أحد مراكز حقوق الإنسان والتى سنوردها بنصها فى آخر الكتاب .

ذلك اللقاء الذى استبشر به البعض خيرًا ظناً منهم أن السبب الكامن وراء الاضطهاد الذى يعانى منه الشيعة المصريون ، يرتبط بتوتر العلاقات المصرية الإيرانية ، وهو تصور من صنع الوهم والخيال ، إذ إن هذا الاضطهاد الذى عانى منه الشيعة المصريون هو اضطهاد قديم قدم التاريخ الإسلامى ذاته ، وقد تناولنا هذا السرد التاريخى فى كتاباتنا المختلفة عن التاريخ الأموى والعباسى والأيوبى .

الآن يبدو الأسلوب الأمنى فى التعامل مع الشيعة واعتبارهم أعداء مفترضين للنظام آخذاً ، فى التغير ، نحو أساليب أخرى ربما تختلف من ناحية الشكل عن الفترة السابقة ، ولكنها لا تختلف كثيرًا فى المضمون .

لا شك أن النظام العربى المنغمس فى تحالفات مضادة للشيعة والتشيع لا يريد أن يرى تحولا رئيسياً فى الخريطة الفكرية والمذهبية السائدة فى المجتمع .

كما يبدو واضحًا أن النظام المصرى يعتمد على بعض التحالفات الاستراتيجية الداخلية مع التيارات الوهابية المعادية لمذهب أهل البيت ، وقد بدا هذا واضحًا فى

إفساح المجال واسعًا أمام التيارات الوهابية لممارسة أنشطتها التحريضية من خلال المساجد ، وربما من خلال بعض الفضائيات المصرية التـــى أنشـــئت خصيصـــا لمهاجمة الشيعة والتشيع لأهل البيت .

•

يمكن لمن أراد أن يتعرف على حقيقة هذه الإستراتيجية أن يذهب إلى معرض القاهرة الدولى للكتاب ؛ ليرى بأم عينيه ذلك العدد الهائل من دور النشر الوهابيـــة التى لا هم لها إلا إصدار كتب تسب وتلعن الشيعة وتتهجم عليهم وعلى عقائدهم !

ولأننا نعرف جيدًا أن الحصول على ترخيص دار للنشر ليس بالأمر اليســـير فى بلد تتحكم فيه الأجهزة الأمنية فى كل صغيرة وكبيـــرة ، يمكننـــا أن نســـتنتج بسهولة أن إفساح المجال أمام ، هؤلاء لم يكن مجرد ضربة حظ أو رمية من غير رام ، بل هو منهج مدروس ومخطط يهدف إلى تحصين الرأى العام (من وجهـــة نظر هؤلاء) ضد انتشار مذهب أهل البيت !

•

ربما كان الدافع وراء تغيير التكتيك المتبع فى مواجهة التشيع نابعًا من بعض التحولات الداخلية والخارجية والرغبة فى تحسين صـــورة النظـــام ، بـــدلا مـــن الإصرار على إعادة السيناريوهات المشينة نفسها ، التى احترفت تلـــك الأجهـــزة تقديمها على مسرح السياسة الدولى والمحلى وبعد أن أصـــبحت مســـرحية إلقـــاء القبض على تنظيم شيعى وتقديمه (للعدالة) على وقع صرخات رؤساء تحريـــر الصحف (الكبرى) من أمثال عوكل واللنبي١ واللنبي٢ والتصايح فـــى مواجهـــة الخطر الإيرانى دون بينة ولا دليل عملا قميئاً وقبيحا وممجوجًا ومستهجناً ، مـــن قبل الأوساط الدولية والمحلية التى لم تعد تتقبل تكرار هذا النوع من المســـرحيات الهزلية .

فى قضية العام ١٩٩٦ اتهمنا الأمن على صفحات الجرائد ، بأننا حصلنا على تمويل إيرانى قيمته مائة ألف جنيه بالتمام والكمال ، ولم يكن لهذا المبلغ الحقير أثر فى التحقيقات الرسمية ، بينما ذكرت الصحافة العالمية فى تلـك الفتـرة أن إدارة عموم الوهابية قد أنفقت أكثر من سبعين مليار من الدولارات لترويج هـذا الفكـر العفن ، والمقارنة واضحة بين المبلغ المزعوم وما أنفق من أجل محاربة التشـيع لأهل البيت عليهم السلام ، ناهيك عما أنفقه النظام الصدامى البائد على الغـرض نفسه .

أما على المستوى الداخلى فلا شك أن الجهد الـذى بذلـه بعـض الفـدائيين المضحين ، من أجل تعريف من لا يعرف ماذا يعنى الانتماء لمدرسة أهل البيت ، مدرسة الإسلام الحضارى الأخلاقى الذى لا يكفر أحدًا ولا يقتل أحدا قد أعطـت نتائجـها الأكيدة مهما كانت درجة بطئها بسبب انعدام الإمكانـات وعـدم تكـافؤ الفرص .

فويل للمطففين

ولكى نعطى للقارئ الكريم فكرة عن الطريقة التى ما زلنا نعامَل بها ، أذكـر أنه قد جاءنى استدعاء أمنى فى (يناير ٢٠٠٤) فذهبت لأستجلى الخبر ، فوجدت أسلوبا عاصفاً فى النقاش كدت أن أنساه وانتهى الأمر بسؤال غامض ، عن زائـر من الإمارات ، فأبديت اندهاشى خاصة وأننى كنت قبلها بفترة وجيزة ، فى سفرة لإيران ، لحضور ما يسمى بالمجمع العالمى لأهل البيت المنعقد فـى طهـران ، والتقيت هناك بالعديد من الشخصيات الشيعية البارزة من كافة أرجاء العالم ، فمن يكون هذا الإماراتى الغامض الذى يجرى تضييق الخناق على العبد لله من أجـل الإقرار بعلاقة مزعومة معه ؟!

إنه إذا أسامة بن لادن أو أبو مصعب الزرقاوى !

ولما كنت قد عرفت اللعبة التى يجرى من خلالها تلفيق القضايا للشيعة ، وهو قانون الازدراء فخرجت من هذا اللقاء لأطلب من أحد المحامين ، تقديم طلب للسيد وزير الداخلية من أجل الاعتراف بالطائفة الشيعية فى مصر ، على طريقة (ردوا الحجر من حيث جاء فإن الشر لا يدفعه إلا الشر)

صحيح أننا لم نكمل المشوار إلى منتهاه ، ولكن الاهتمام العالمى والمحلى بهذا الخبر ، الذى تناقلته وكالات الأنباء العالمية والمحلية والصحف الأمريكية ، شكل عندى انطباعًا بأهمية أن يرفع المظلوم عقيرته فى وجه الظلم .

ما هى حكاية قانون الازدراء وقضايا الازدراء ؟

لقد وضع القانون المصرى رقم ١٥ الصادر ١٩٢٧ قاعدة الاعتراف بالطوائف الدينية ، وأغلب الظن أن المشرع المصرى وضع هذه المادة من أجل التعامل مع الطوائف الدينية المسيحية غير الأرثوذكسية ، التى توافدت على مصر فى تلك الحقبة ، والتى تلزم هذه الطوائف بالتقدم بطلب للاعتراف ، لوزير الداخلية الذى يتعين عليه بحث الطلب والبت فيه ، أو اللجوء للقضاء ، أما الطوائف غير المعترف بها ، فتعتبر خارجة عن القانون ، ويتعين ملاحقتها وفقاً للمادة ٩٨ من قانون العقوبات المصرى .

وبالتالى يمكن للقارئ النجيب أن يفسر سر تلك القضايا التى اخترعتها وزارة الداخلية طيلة هذه الفترة ، والسر الأهم فى أن أيا من تلك القضايا لم يذهب إلى القضاء ، ليس من قبيل كرم الأخلاق أو الإنسانية المحضة ، بل لعلم هؤلاء السادة المبجلين ، أن دخول أى من هذه القضايا إلى ساحة القضاء سيؤدى إلى عكس المطلوب تماما هو خروج الشيعة من هذه القضايا باعتراف رسمى ، ولذا فالأفضل أن تبقى المسألة فى إطار قانون الطوارئ سيئ الذكر .

المطار وحفلات التفتيش

كلما عدت من سفرة إلى الخارج استوقفنى الأمن أولا لفترة تطول أو تقصر ، وبعد أن أستلم جواز السفر تبدأ رحلة أخرى من المعاناة تستغرق عدة ساعات هى حفلة التفتيش .

لدى عودتى من طهران فى سبتمبر ٢٠٠٦ استمر هذا الحفل ثلاث ساعات ، لم يترك فيها رجال الجمارك ثقباً فى حقائبى إلا أطلوا عليه وفتشوه .

كان من بين الغنائم المفترضة قاعدة خشبية للوحة زجاجية تحمل شعار المؤتمر الذى كنت فيه ، يبدو حجمها مقاربًا لحجم ورقة المائة دولار ، فأخذ مفتش الجمارك يتفحصها بحثاً عن المخبوء فيها ولما لم يتمكن من العثور على شيء تركها بعد أن كاد أن يقوم بثقبها !

عندما ذهبت لأمن الدولة بعدها قلت لهم : الحمد لله أن الرجل لم يقم بتحطيم قاعدة أرشميدس بحثا عما فى داخلها !!

فى أول أبريل عام ٢٠٠٧ كنت فى زيارة إلى ليبيا وكان معى مجموعة من الأصدقاء..

أوقفنى الأمن كالعادة وفى تلك الأثناء أخذ رفاق السفر أمتعتى مع أمتعتهم وكان كل ما فيها بعض الملابس...

خرجت إلى حفلة التفتيش المفترضة ولم يكن معى إلا حقيبتى التى أحملها فى يدى ...

أصابتهم صدمة عاطفية شديدة وسألوا أين أمتعتك قلت لهم هذا كل ما معى أما ملابسى فهى مع زملائى ...

لم يكن أمامهم إلا هذه الحقيبة الصغيرة التى لا تحتاج إلى تفتيش من الأساس ويكفى نظرة واحدة للتأكد من خلوها من كل شيء مسموح أو ممنوع ولكنها استغرقت ربع ساعة .

فى تلك الأثناء جاء صاحبى قائلا حقائبك معى !

بدا الغضب والامتعاض على وجه قائد فرقة التفتيش ولكنه لم يجد بدًا من إنهاء حفل التفتيش بعد أقل من ربع ساعة .

ويا للكارثة التى نزلت بهم لأنهم لم يتمكنوا من تكديرى على الوجه الأتم والأكمل كما أمرهم بذلك أبونا الذى فى المباحث !.

ورحم الله شاعرنا العظيم أمل دنقل إذ يقول :

أبانا الذى فى المباحث ، نحن رعاياك

باق لك الجبروت ، باق لك الملكوت

وباق لمن تحرس الرهبوت

تفرّدت وحدك باليسر

إن اليمين لفى خسر

أما اليسار ففى عسر

إلا الذين يماشون

إلا الذين يعيشون ..

يحشون بالصحف المشتراة العيون فيعيشون

إلا الذين يوشون

إلا الذين يوّشون ياقات قمصانهم برباط السكوت

الصمت وشمك ..

والصمت وسمك

والصمت أنى التفتّ

يرون ويسمك

والصمت بين خيوط يديك المشبكتين المصمغتين

يلف الفراشة والعنكبوت

التشيع فى مصر
عودة للجذور أم مؤامرة إيرانية ؟

تصـــر الأجهزة الأمنية على محاولة تلويث سمعة الشيعة فى مصـــر ، من خلال ربطهم المزعوم بالجمهوريـــة الإســـلامية الإيرانية ، وتصـــوير التشـــيع لأهل البيت باعتبـــاره مـــؤامرة فارسية ، وهو زعم باطل يدحضه ما يعلمه الجميع مـــن تشـــيع مصر لأهل البيت عليهم السلام ، على عهد الدولـــة الفاطميـــة ، وغلبة هذا المذهب على أهلها ، ولما كانت هذه الحجة التاريخية يصعب دحضها فقد سخَّر القوم بعض كتّابهم للقول بأن التشـــيع لأهل البيت جاء صحبة هذه الدولة ، وانتهى بانتهائها وإن المدعو يوسف بن أيوب (أعاد مصر للمذهب السني) حيث يقول أحـــد الكذابين الكبار أن إعادة المذهب السنى جـــاء (بإجمـــاع الآراء المصرى الشهير) حيث لم ينتطح فى هذه العودة عنزان ، وهى أكذوبة أخرى لا تقل فجورًا عن كل ما سبقها ، ولنرجـــع إلـــى مصادر التاريخ لنعرف الحقيقة .

التشيع لأهل البيت كان فى مصر قبل الدولة الفاطمية

لنأخذ بعض الأمثلة من تاريخ مصر فى الفترة التى سبقت مباشرة بداية العصر الفاطمى ، أى على وجه التحديد ما قبل بعد عصر يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة للهجرة النبوية المباركة ، اليوم الذى دخل فيه جوهر الصقلى قائد الفاطميين إلى مصر .

روى الكندى فى كتاب ولاة مصر فى أحداث(٢٤٢) (وليها يزيد بن عبد الله من قبل المنتصر وأمر يزيد بضرب رجل من الجند فى شيء وجب عليه فضربه عشرة ، فاستحلف يزيد بحق الحسن والحسين إلا عفا عنه فزاده ثلاثين درة فرفع ذلك صاحب البريد إلى المتوكل ، فورد كتاب المتوكل إلى يزيد بضرب ذلك الجندى مائة سوط إضافية ، فضرب الجندى . ثم حمل إلى العراق لثمان خلون من شوال سنة ثلاث وأربعين) ص ٢٢٩ .

(وظهر يزيد فى شعبان سنة ثمان وأربعين على رجل يقال له محمد بن على بن الحسن بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب يعرف بأبى حدرى بويع له فبعث يزيد إلى الموضع الذى هو فيه فأحرقه فأخذه فأقر على جمع من الناس بايعوه ، فأخذ بعضهم فضربوا بالسياط ، ثم أخرج العلوى هو وجميع من معه إلى العراق فى شهر رمضان سنة ٢٤٨) .

(ثم ورد كتاب الخليفة المنتصر بأن لا يقبل علوى ضيعة ، ولا يركب فرسا ولا يسافر من الفسطاط إلى طرف من أطرافها ، وأن يُمنعوا من اتخاذ العبيد إلا العبد الواحد ، ومن كانت بينه وبين أحد من الطالبيين خصومة من سائر الناس ، قبل قول خصمه فيه ، ولم يطالب ببينة ، وكتب المنتصر إلى العمال بذلك) كتاب ولاة مصر للكندى ص ٢٣٠.

ولك أن تتأمل المبررات والهواجس التى دفعت العباسيين لاتخاذ هذه الفرمانات القراقوشية ، التى سبقت قراقوش الأصلى عبد يوسف بن أيوب ، تلك القـــرارات التى تبرر ضرب جندى مصرى مائة وأربعين سوطاً مهلكة ، لأنه تجرأ وتشـــفع بحق الحسن والحسين عليهما السلام ، لينجو من عقاب أليم وجائر .

ولك أيضاً أن تتأمل تلك القرارات الأكثر جورًا تجاه العلويين ، التى تمنعهم مـــن ركوب الخيل ، وتحظر عليهم حق تملك العقار والعبيد ، وتجعل منهم ملطشـــة أمـــام محاكم النظام العباسى الجائر ، الذى أعلن (مراغمة لأنف القرآن) أن أهـــل البيـــت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيـــرًا مـــدانون .... مـــدانون يـــا ولـــدى وخصومهم ليسوا فى حاجة لإثبات ما يدعونه قبلهم ، من تهم كبيرة كانت أم صغيرة ، وهم دائما على حق ، وهو نموذج مـــن الشـــريعة الإســـلامية الأمويـــة العباســـية القراقوشية ، التى يبشرنا البعض بإقامتها على أجسادنا ، بل ونموذج لطريقة الحـــوار الفكرى الدائر من ذلك اليوم ، بين شيعة أهل البيت وخصومهم فى الرأى وكما يقولون من شب على شيء شاب عليه وقد اعتاد هؤلاء على أنهم لا يحتاجون إلى حجـــة ولا بينة فى إثبات رأيهم .

و لنرجع مرة أخرى إلى كتاب ولاة مصر وحقبة ما قبل الدولة الفاطمية : (ثم كانت فتنة ابن قريش وذلك أنه أنكر أن يكون أحد خيرًا من أهل رسول الله صـــلى الله عليه وآله وسلم ، فوثبوا عليه فضرب بالسياط ، يوم الجمعة فى جمادى الأولى عام ٢٨٥ فمات بعد يومين) ص ٢٦٧ .

وفى عام ٣٠٣ هـــ ولى مصر ذكا الأعور من قبل الخليفة العباسى المقتـــدر بالله و(فسد ما بين ابن ذكا والرعية وذلك أن الرعية كتبوا على أبـــواب المســـجد ذكر الصحابة والقرآن بما لا يليق (؟!) فرضيه جمع من الناس وكرهه آخرون ، وكان محمد بن طاهر صاحب الشرطة معيناً لأهل المسجد على ذلـــك ، فـــاجتمع

الناس لأربعة عشرة من رمضان سنة خمس وثلاثمائة ، إلى دار ذكا بالمصلى القديم ، يتشكرونه على ما أذن لهم فيه ، فوثب الجند بالناس ، وحرضهم على ذلك إسماعيل بن مخلد ، فنهب قوم وجرح آخرون ، وأقبل بن مخلد من الغد إلى المسجد ، فلم يترك شيئا مما كتبه الناس إلا ومحاه ، ونهب الناس في المسجد والأسواق وأفطر الجند يومئذ ، وعزل بن ذكا محمد بن طاهر عن الشرط وجعل مكانه وصيفاً الكاتب) ص ٢٩٢ المصدر السابق .

والغالب على ظننا أن ما كتب على أبواب المسجد كان ذكرًا لأهل البيت عليهم السلام ولفضلهم ، أو لأسماء أئمة أهل البيت عليهم السلام ، مما يعتبر في عرف هؤلاء المصابين بالسعار المعادى للتشيع (سبًا للصحابة وتحريفاً للقرآن) بما يستدعى استخدام الشرطة والأمن المركزى والسلب والنهب والقتل أو الضرب حتى الموت ، كما فعلوا بابن قريش ، ثم ينتهى الحوار الفكرى كما هو معلوم برفع الشعارات الأيوبية ، التى عرضناها سابقاً وتدمير المكتبات والسجن مدى الحياة ، في السلاسل والأغلال ، وتهجير الباقين إلى الهند والسند ، وأقاصى الصعيد و(عفت الآثار القديمة واستأنفت السنن الكريمة والله أكبر ولله الحمد وجاء الحق وزهق الباطل ولا صوت يعلو فوق صوت المعركة !)

أما آخر الولاة على مصر من قبل الخلافة العباسية وقبيل مجيء الدولة الفاطمية فكان (أبو الفوارس أحمد بن على بن الإخشيد) حيث يقول الكندى : (وأجمع الرأى بعد وفاة كافور الإخشيد الذى ملك مصر والحرمين ، ولم يدم ملكه سوى مائة يوم على تولية أحمد بن على ، فحسنت سيرته ، وأمر برفع الكلف والمؤن وتعطيل المواخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ونقص النيل وكثر الغلاء فى أيامه ، واشتد حتى أكل الناس الجيف والكلاب ، وجاء القائد جوهر إلى الفسطاط ، فخرج الناس للقائه (أى أن أحدًا لم يخرج لقتاله ولم تمتنع مصر من الدخول فى طاعة الفاطميين) فدخل بعد عصر يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، وخطب للمعز يوم الجمعة على المنابر

بمصر ، وجلس جوهر للمظالم ، وأحسن السيرة ، وجاء المعز من المغرب إلـى الديار المصرية ، فدخل يوم الثلاثاء السادس من رمضان سنة ٣٦٢) الكندى ص ٣١٥ .

أما بعد انتهاء الدولة الفاطمية فقد تعددت الثورات الشيعية ، التى حاولـت إقصـاء المرتزقة الأيوبيين عن السلطة إلا أنها لم تسفر عن نتيجة ، ودونكم واحـدة مـن هـذه الثورات .

ثورة الكنز :

ثورة شيعية فى الجنوب المصرى جرى قمعها بواسطة مرتزقة آل أيوب

روى أبو شامة نقلا عن ابن شداد : (الكنز إنسان مقدم من المصريين كان قد نزح إلى أسوان وأقام بها ، ولم يزل يدبر أمره ويجمع السودان عليه ، ويخيل لهم أنه يملك البلاد ويعيد الدولة المصرية ، وكان فى قلـوب القـوم مـن المهـاواة للمصريين ما تستصغر هذه الأفعال عنده ، فاجتمع عليه خلق كثير وجمع وافر من السودان ، وقصد قوص وأعمالها ، فانتهى خبره إلى صلاح الـدين ، فجـرد لـه عسكرًا عظيمًا شاكين السلاح ، من الذين ذاقوا حلاوة ملـك الـديار المصـرية ، وخافوا فوت ذلك منهم وقدم عليهم أخاه سيف الدين ، حتى لقى القوم فكسرهم وقتل منهم ، خلقا عظيما واستأصل شأفتهم وأخمد ثائرتهم .

أما مدينة طود فاحتمت عليهم ، فأسرعت فيها البلية وأتى السيف على أهلهـا وباعت بعد عزها بذلها) . أبو شامة ٦٠٢.

إذاً فالذى نعتقده أن التشيع فى مصر هو عودة إلى جذور ضـاربة فـى عمـق التاريخ الوجدانى للإنسان المصرى ، وما زال هناك الكثير من الآثار والشواهد الدالـة على عمق هذا الارتباط ، ومن بينها احتفال المصريين بليلة النصف من شعبان وهـى

ليلة ميلاد المهدى المنتظر ، رغم أن شيوخنا يزعمون أنها ليلة تحويل القبلة جاهلين أو متجاهلين أن تحويل القبلة جرى نهارًا وليس ليلا.

إسلام واحد أم إسلامان ؟

لم ولن أغير موقعى المدافع عن الإسلام فى مواجهة أعدائه ، ولن يصبح هذا الموقع يومًا ما موقع المدافع عن طائفة ضد أخرى ، أو موقف المعادى لأهل مذهب انطلاقاً من مذهب آخر ، ومازال الصراع الحقيقى بين الإسلام والكفر وبين العدل والظلم ، وليس بين السنة والشيعة ، أو حتى بين الإسلام والمسيحية ، أو بين الإسلام واليهودية ، سيبقى الصراع بين الحق والباطل ، بين العدل والبغى ، بين المستضعفين والمستكبرين ، ولكن شيئاً من هذا لا ينفى أهمية ووجوب قراءة الإسلام فى العمق وصولاً لمعرفة حقائق الدين والتاريخ ، بدلا من الاكتفاء بمقولات فارغة بلهاء .

كيف يمكن لأمة أن تحلم بإقامة دولة إسلامية ، وهى لا تمتلك مشروعا فقهياً أو فقهاء مجتهدين ؟! الجميع يعلمون أن المسلمين الشيعة وحدهم هم الذين يمتلكون هذا البناء الفقهى ، وهذه المدرسة المتكاملة التى أقاموها على مدى التاريخ عبر العذابات والجراحات ، وهى مدرسة تستند إلى فهم آل البيت المعصومين للكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة ، ودائمًا كان دليلهم الأقوى ، وكانت فتاواهم هى الأصوب .

مثلا : أجمع فقهاء أهل البيت على أن (حج التمتع) أفضل وأنه فرض للبعيد عن المسجد الحرام أخذاً بقوله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ
ٱلْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ
أَوْ نُسُكٍ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا

رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ﴾ البقرة : ١٩٦ .

أهل البيت يرون ذلك فرضًا أما الشيخ سيد سابق فيرى ذلك (مجرد مذهب) لابن عباس وأبى حنيفة ، استدل عليه بآية فى كتاب الله ، وهو بهذا يجعل الدليل القرآنى مساويًا لآراء الصحابة والتابعين ، هل هذا دين ؟! ثم يقولون لنا إن المسائل الفقهية محسومة ، وأن لا اجتهاد فى النص أليس هذا استهزاء بالنص القرآنى ؟!

منذ عدة سنوات اقترح الكاتب الصحفى أحمد بهاء الدين عليه رحمه الله ، تعديل قوانين الميراث ، والأخذ بالمذهب الجعفرى ، الذى ينص على أن الأنثى تحجب كالذكر ، وقال إن الأخذ بهذه المادة القانونية يحل الكثير والكثير من المصائب والمشاكل الاجتماعية ، فقامت الدنيا ولم تقعد ، وانهال الهجوم على الرجل ، والكل يتحدث بمنطق العصبية البغيض ، (مذهبنا ومذهبهم) ورحمة الله على رجال من نوعية الشيخ محمد أبو زهرة والشيخ محمود شلتوت الذين حاولوا تحريك هذه البرك الراكدة ، فلم يفلحوا.

يروون عن أئمة المذاهب الأربعة أنهم قالوا : (إذا صح الدليل فهو مذهبي) فهل استثنى هؤلاء وقالوا : (إلا ما جاء من ناحية أهل البيت وشيعتهم فلا تأخذوا به فهو باطل وإن صح) !؟

فأين هى حرية الفكر وحرية العقل ؟

لماذا ضاعت هذه الشعارات وسط بريق النفط الأسود؟

وهل للنفط بريق إلا لمن عميت بصائرهم ، وماتت ضمائرهم ، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور .

تجربتى

ينقل عن بعض الفقهاء قوله : (أينما وجدت المصلحة فثم شرع الله) ، وأنا أقول أينما وجد العدل الحقيقى فثم الدولة الإسلامية ، وما زاد على ذلك فهو فضل من الله .

العدالة أولا وقبل كل شيء ، فلولا إيماننا بالعدل الإلهى ، لما قام الإنسان بأى عمل صالح أو نافع (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال ذرة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) الأنبياء .

فأين المسلمون من هذه العدالة ؟

هل يمكن لأحد أن يزعم أن الطريقة التى عومل بها الشيعة طيلة فترات التاريخ تحمل أى قدر من العدالة ؟.

وهل الطريقة التى عومل بها الشيعة فى مصر عامة ــ والعبد لله شاهد على هذا الظلم البين ــ يمكن وصفها بالعدالة.

الجواب معلوم وهو أن الظلم هو (قانون الأمة الإسلامية التاريخى السائد) حتى الآن .

الأمر الآخر أن ليس الشيعة وحدهم هم من تعرض للظلم ، والأمر لم يكن قاصرًا عليهم بأية حال ، لأن الظلم الواقع على الشيعة كان من ناحية فرعى على ، الظلم الذى تعرض له الرسول الأكرم وأهل بيته الأبرار ، ومن ناحية أخرى فقد ظلم السواد الأعظم من أمة لا إله إلا الله ، بل وظلم غير المسلمين نتيجة للخلل الحادث فى النظام العام.

ولذا فأنا لا أعتقد أن الحل يمكن أن يأتى للشيعة دون غيرهم ، بل لا بد من رفع شعار العدالة للجميع ، وحيثما وجدت العدالة وجدت الشريعة الإسلامية ، ووجد الدين فى صورته الحقيقية ، وحيثما غابت العدالة وجد الكفر الحقيقى (لطالما كاد الفقر أن يكون كفرًا) كما قال الإمام على بن أبى طالب .

فى النهاية ، أسجل رؤيتى لقضية الإمامة : أولا ، رؤية نقدية لمرويات أهل السنة فى هذا الموضوع ، وثانيًا قراءة عقلية للنص القرآنى والأحاديث الواردة فى مسألة الإمامة .

على طريق الإمامة

لم تكن قضية الإمامة تحظى بقدر كبير من الاهتمام فى صفوف الحركات الإسلامية المعاصرة ، بيد أن قيام الثورة الإسلامية فى إيران ، بقيادة آية الله العظمى روح الله الموسوى الخمينى (رحمه الله) قد ألقى عدة أحجار فى البحيرة الراكدة ، وفرض على الكثير من العلماء والمفكرين وأصحاب القلم إعادة التفكير والنظر فى مسلمات الأمس القريب ، فى حين اختار بعضهم موقف المعاداة لكل ما جهلوا ، وصدق الله العلى العظيم ، حيث يقول ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ (٣٩)﴾ يونس : ٣٩ ، وهناك من قام بإعمال فكره وعقله فى النصوص وفى الواقع بهدف الحصول على الحقيقة بغض النظر عن الاستنتاج النهائي ، وبغض النظر عن قوى الواقع التى كرست بممارساتها الفكرية والسياسية الأطروحة نفسها التى ذمها

القـــرآن الكـــريم ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الزخرف : ٢٢ ، حيث لا تجرؤ تلك القوى على فتح نقاش حول المشاكل الفكريـة الحقيقية التى ضعضعت وجود الأمة الإسلامية ، عندما فرضت عليهـا أطروحـة سياسية ليست من الله فى شيء ، تلك الأطروحة التى كرست فى أذهان المسـلمين حتمية الخنوع والركوع لكل من غلب ، وركب وأسماه الظالمون أمير المؤمنين ، ثم جاءت الكارثة العظمى عندما تبنت الحركات الإسلامية التى كان يفترض فيهـا أن تمهد لتغيير حقيقى فى مناخنا الثقافى المضمحل ، تلك النظريات الطاغوتيـة ، ومزجت بينها وبين مخلفات الفكر الخوارجى .

من هنا كانت رؤيتى لأهمية طرح مدرسة أهل البيت فى الساحة ، لا علـى أنها مجرد مذهب خامس ينبغى الاعتراف به ، فالبعض من خصوم مدرسة أهـل البيت لا يمانع فى تقديم مثل هذا التنازل بوصفه حلاً وسطاً يهدف فى النهاية إلـى حصر أطروحة أهل البيت فى إطار لجنة تشريعية ، وإنما كانت رؤيتـى لأهـل البيت ولمدرستهم باعتبارهم قادة الأمة وطليعة التضحية والتغيير المستمر ، وهـذا هو تاريخ الأئمة الذين لم تستغرقهم أبدًا تلك المناقشات السوفسطائية ، حول بعض القضايا الخلافية ، مثل جواز نكاح المتعة والجمع بين الصلاتين ، ولا أقلل بحـال من قدر الأمور الفقهية ، ولكن الثابت أن الإمام على عليه السلام قد ترك بعـض هذه المسائل الجزئية ، على ما كان عليه فى زمن من سبقوه قـائلا ، (والله لـو استوت قدماى من هذه المداحض لغيرت كذا وكذا) . تلك الرؤية التـى لا تتـرك الساحة لأولئك المتعجرفين الجهلة الذين يقطعون عليك الطريق قائلين وبماذا تستفيد الأمة من طرح تلك القضايا التاريخية التى ولت وانتهت ؟!

الإجابة وماذا استفادت الأمة من مسيرها على غير بصيرة وراء الذين ضـل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا ؟ ولماذا لم يحاول هؤلاء أن يدرسوا ويستفيدوا من خبرات المدرسة الثورية الأولى فى التاريخ الإسـلامى

مدرسة محمد وعلى والحسن والحسين ؟ بدلا من مدرسة (العطارين الثورية التجريبية الابتدائية) التى لم ينجح منها أحد حتى الآن ؟

من هنا تبرز أهمية قضية الإمامة الحقيقية لا المزيفة ، تلك القضية التى تعددت الدراسات حولها وكثرت ، إلا أن أغلب ما كتب لم يطرح فى إطار عقلى ، والأسلوب السائد أن كل طرف يأتى بما يؤيد وجهة نظره من الروايات ، ويتحدث عن أسانيدها ورواتها وثاقتهم ، الأمر الذى دفعنى لاستخدام المنطق العقلى فى هذه الدراسة ؛ لأن ما يتناقض مع العقل هو المستحيل بعينه ، وهو المرفوض دراية ، ومن ثم رواية ، دون حاجة لسرد أسماء الرواة والمحدثين ، وما يتفق مع العقل ينبغى قبوله والتسليم به ؛ لأن أحكام الدين وشرائعه تتكامل ولا تتناقض ، وما نعنيه بالعقل هنا هو عرض الأدلة الفردية على الأدلة الكلية الجامعة ، فإذا كان الله تبارك وتعالى يأمر بالعدل ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ ﴿٩٠﴾ ﴾ النحل : ٩٠ ، لا يعقل أن يأمر بطاعة (فاقد العدل) وإلا لأمر سبحانه بالشيء ونقيضه (العدل ـــ الجور) ، وهذا محال على الله سبحانه وتعالى .

إلى جانب إيماننا بذلك ، فإننا نؤمن بالتكامل فى الشريعة الإسلامية الغراء ، بمعنى أن قواعد الإسلام العظيم مرتبة بعضها على بعض ، فالقرآن الكريم تحدث عدة مرات عن قاعدة " الاصطفاء " ، وأنها محصورة فى الذرية والآل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ آل عمران : ٣٣ ، ثم نص سبحانه وتعالى على تحميل هؤلاء المصطفين الأبرار مسئولية هداية البشرية وتعريفها بالحق ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ فاطر : ٣١ - ٣٢، وهذه قاعدة عامة لم تشذ عنها أمة من الأمم ، فلماذا تشذ عنها الأمة الإسلامية ؟ وكيف يزعم هؤلاء أن قاعدة انتقال مسؤولية حفظ الرسالة والدين التى سلمت دائمًا فى كل الأمم من الأنبياء إلى أوصيائهم من الذرية والآل قد خرقت فى

أمة لا لإله إلا الله وأنها قد انتقلت من النبى إلى الأصحاب ثم استقرت عند (مستودع الحكمة والعلم والرسالة) بنى أمية عليهم لعنة الله ؟ فالله تبارك وتعالى يحكى عن أنبيائه ورسله الذين حضرهم الموت ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ البقرة : ١٣٢ - ١٣٣ ، فلماذا تشذ الأمة الإسلامية ؟ ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ الأحقاف : ٩.

وأخيرًا هناك قضية حجية السنة ، فالمعادون لمدرسة أهل البيت عليهم السلام عندما تضيق بهم السبل يلجئون إلى حجة بالغة الغرابة وهى الدفع بعدم ورود إمامة أهل البيت عليهم السلام وخلافتهم للنبى (صلى الله عليه وسلم) فى القرآن الكريم ، وهو ما لا سبيل إلى القبول بمناقشته ونحن نعلم أن حجية السنة المتواترة تمامًا كحجية الكتاب ، فصاحب السنة هو متلقى الوحى من رب السماوات والأرض ، ولعنة الله على من كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله ، ليموه على الناس دينهم وهؤلاء الكذابون من أدعياء التقوى والورع هم الذى ألقوا ظلالا من الشك على حجية السنة المطهرة ، وهى أوامر الله ونواهيه ، التى جاء بها المعصوم محمد بن عبد الله عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم السلام ، والتشكيك فى حجية السنة لا يختلف فى شيء عن التشكيك فى حجية القرآن.

نقول أيضًا إن انتقال النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى عام ١١هجرية/٦٣٢م ، لم يصاحبه انتقال السلطة والنظرية ، إلى يد أمينة قادرة على الإمساك بالأمرين معا (الإمساك بزمام السلطة فى الدولة الإسلامية ، والحفاظ على مصالح العباد الآنية والمتجددة ، والحفاظ على النص الدينى وفهمه الصحيح وتطبيقه فى أرض الواقع) حيث كنا كثيرًا ما نسمع تلك المقولة لولا على لهلك عمر ، ومعضلة ولا أبا حسن لها ، ثم تفاقم الأمر مع مجيء الدولة الأموية الأولى زمن عثمان بن ، عفان ثم ازداد الطين بلة واتسع الخرق وتكرس

بالاستيلاء النهائى للأمويين على السلطة ، على يد ابن آكلة الأكباد معاوية بن أبى سفيان ، ذلك الاستيلاء الذى أكد هذا الانفصال وأعطى خصوم الإسلام (السابقين) فرصة تشكيل النظرية الإسلامية خاصة فى شقها السياسى ، بما يتلاءم مع رؤاهم ومصالحهم ، وقد جرى هذا على يد الأجهزة الإعلامية والسياسية الأموية ، التى نفذت خطة متكاملة لتحريف رؤية المسلمين لدينهم ، تلك الخطة التى تضمنت السب المتواصل لإمام الحق على بن أبى طالب على المنابر طوال العهد الأموى ، ناهيك عن الدور الخبيث الذى لعبوه فى اختلاق الأحاديث والروايات ونسبتها إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم توثيقها بيد خدامهم ، وأخيرًا تدوينها بيد من تربى على نهجهم .

ومن هنا كان عهد النبى الأكرم (صلى آله عليه وسلم) لعلى بن أبى طالب يوم غدير خم بقوله : (من كنت مولاه فعلى مولاه) وقوله يوم سار إلى غزوة تبوك ، وكانت الدولة الإسلامية يومها قائمة (أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى)

لقد انتقلت الخلافة النبوية إلى من انتقلت إليه (برأى) من المسلمين لا بالنص الشرعى ، إلى أولئك الخلفاء الذين تفاوتت قدراتهم فى استيعاب النصوص ومعرفتها ، ومن هنا ظهر هذا الاختلاف فى التعبير عن النظرية ، وإن أمسكوا بالسلطة فى أيديهم ، وكانت ثمرة تلك المرحلة التى سبقت خلافة أمير المؤمنين أن انتقال السلطة إلى الإمام على عليه السلام ، لم يكن هادئاً ولا مستقرًا إلى (إمام منصوب من الله عز وجل) ، وهو ما أدى لاحقاً إلى تفلت خيوط القوة من بين يديه ، ووصولها غنيمة باردة إلى بنى أمية ، وهو انتقال رسخ الوضع الآتى :

١- سلطة لم تستمد قوتها من شرعية إلهية ، وإنما من الغصب والعدوان ، وهو ما عبر عنه معاوية بن أبى سفيان فى خطاب استلام السلطة : (إنى والله ما

قاتلتكم لتصلوا ولتصوموا ولا لتزكوا ولا لتحجوا إنكم لتفعلــون ذلــك وإنمــا قاتلتكم لأتأمر عليكم وقد أعطانى الله ذلك وأنتم كارهون).

٢- نظرية يفترض أنها (الإسلام) ولكنها من الناحية الواقعية (الإسلام الأســير) فى يد أقوام جعلوا إحدى شعائر صلاة الجمعة لعن أمير المؤمنين على المنابر ، وهذه مسألة متواترة ناهيك عن باقى موبقاتهم وجرائمهم .

فى ظل هذا الواقع السلطوى البائس جرت صياغة نظريــات الســلطة . بــل وتمادى هؤلاء إلى ما هو أسوأ طعناً فى مقام النبوة ، حيث ادعوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أنه حاول الانتحار ثلاث مرت (انظر روايــة نــزول الوحى فيما يسمى بصحيح البخارى) وادعوا عليه أنه قد أشار بعدم تأبير النخل ، مما أدى إلى خراب نخل المدينة حتى اضطر للاعتذار والقول (أنتم أعلم بشــئون دنياكم)

لقد دونت كتب الصــحاح التى يتحدثون عنها بعد قرنين من رحيــل النبــى الأكرم ، ولذا جاءت مدونات هذه الكتب خليطاً مــن النصــوص المبتــورة عــن مواضعها ، والظروف المحيطة بها ، بالرغم من صحتها وتلك النصوص المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وآله ، وتلك النصوص المنتقاة التى لا ترقى إلــى مرتبة النص الشرعى ، مثل مقولات عبد الله بن عمر الشهيرة ، التى تتمشى مــع المصالح الأموية ، ومع رغبات كل النظم الحاكمة إلى يومنا هذا ، والأهم من هذا وذاك تلك المساحات البيضاء التى تركت فارغة ، ولم يدون شيء بشأنها فى كتب (الأحاديث) واقتصر تدوينها على كتب التاريخ ، ولذا فإننا سنقوم بتجميــع تلــك النصوص والتعليق عليها سعياً لإيضاح الحقيقة ، التى لا يستطيع أحد أن يدعى أنه صاحبها دون سواه ، وأن على الجميع الإذعان لرؤيته التفسيرية مهما هدد وتوعد أو أرغى وأزبد .

حدود الإمامة :

يقول الإمام على عليه السلام (لا بد للناس من أمير بر أو فاجر يعمل فى إمرته المؤمن).

ويقول ابن أبى الحديد فى شرح النهج : (فأما طريق وجوب الإمامة فإن مشايخنا البصريين رحمهم الله فيقولون : إن طريق وجوبها الشرع ، وقال البغداديون وأبو عثمان الجاحظ من البصريين : إن العقل يدل على وجوب الرئاسة وهو قول الإمامية ، إلا أن الوجه الذى يوجب منه أصحابنا الرئاسة غير الوجه الذى توجب منه الإمامية الرئاسة ، وذاك أن أصحابنا يوجبون الرئاسة على المكلفين ، من حيث إن فى الرئاسة مصالح دنيوية ودفع مضار دنيوية ، والإمامية يوجبون الرئاسة من حيث كان فى الرئاسة لطف منه وبعد للمكلفين عن مواقعة القبائح العقلية)

وأياً كان طريق وجوب الإمامة ، أو الإمرة فالحقيقة أنها واجبة ، ولكن هناك تباين حول الوجه الذى يوجب الإمامة ، هل هو قاصر أو مرتكز على حفظ المصالح الدنيوية ، أم أن المسألة أعمق وأشمل من ذلك ، وأنها كما يرى المسلمون الإمامية لطف من الله وبعد للمكلفين عن ممارسة القبائح العقلية .

وفى اعتقادنا أن طبيعة الرئاسة أو الإمرة وهل هى معنية أساسًا بحفظ المصالح الدنيوية ، أم أنها ينبغى أن تكون أكثر اعتناء بحفظ المصالح الدنيوية ، هذه الطبيعة تتفاوت بتفاوت الأمة ، موضع الرئاسة ، وطبيعة الرسالة ، التى تحملها هذه الأمة، وبالتالى فإن مهام الرئاسة فى الأمة الإسلامية لا يمكن أن تتطابق مع مهام الرئاسة فى الأمة الأمريكية مثلا ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ ص : ٢٨.

ومن هنا فإننا نرى أن طبيعة رئاسة الأمة الإسلامية تكتسى وتعنون بالعناوين المدونة فى كتاب الله وفى سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسها ،وأن المواصفات المطلوبة فى إمامة الأمة الإسلامية هى القدرة على حمل هذه الأعباء ، وأن أى خلل فى قدرات القيادة المسلمة على أداء هذه المهام الجسام تطرح العديد من التساؤلات حول أهلية هذه القيادة وأحقيتها لهذا الدور ،ودونكم بعض الأمثلة من كتاب الله :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ النحل : ٩٠.

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ ص : ٢٦.

﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ التوبة : ٢٩.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر :٩.

إن إقامة العدل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومنع الفواحش وتطهير الأرض من الشرك والظلم والبغى ومقاتلة دول البغى والشرك والحفاظ على حرمات المسلمين ، وقبل كل هذا ، الحفاظ على كيان الدين نصًا وروحًا ، هى مهام من صميم الواجبات الإسلامية الدينية ، بل هى دون أدنى شك امتداد لمهام النبوة ، التى لا تزيد على هذا إلا بالتبليغ وتلقى الوحى من رب السماوات .

ونضيف إلى هذه الواجبات الشرعية واجبًا فى غاية الأهمية وهو الحفاظ على وحدة المسلمين من التفكك أيًا كان المسوغ أو المسمى وذلك قوله تعالى : ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ الشورى : ١٣. ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن

سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ الأنعـام : ١٥٣. ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ آل عمران : ١٠٣.

فكيف يقال إذن إن اختلافهم رحمة أو أنه لا يوجد مذهب صحيح أو متفق عليه ؟

أو أن كل المذاهب على تناقضها وتضاربها هي مذاهب صحيحة واجبة الاتباع ؟

إننا إذا تأملنا في كلمات الإمام علي عليه السلام ، وهو يذم اختلاف العلماء في الفتيا فيقول : (ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه : ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله : ثم يجتمع القضاة بذلك عند الإمام : الذي استقضاهم فيصوب آراءهم جميعًا وإلههم واحد! ونبيهم واحد! وكتابهم واحد! أفأمرهم الله سبحانه بالاختلاف فأطاعوه! أم نهاهم عنه فعصوه ! أم أنزل عليهم قرآناً ناقصًا فاستعان بهم على إتمامه! أم كانوا شركاء له فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى ؟ أم أنزل الله ديناً تامًا فقصر رسول الله عن تبليغه وأدائه والله سبحانه يقول ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ الأنعام : ٣٨ . وفيه تبيان لكل شيء وذكر أن الكتاب يصدق بعضه بعضا،وأنه لا اختلاف فيه فقال سبحانه : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ النساء : ٨٢ . وإن القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق ، لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ، ولا تكشف الظلمات إلا به .

إن كلمات أمير المؤمنين علي (عليه السلام) تحصر أسباب تعدد اجتهادات العلماء في المدارس الفقهية في عدة افتراضات ليس من بينها أن اختلافهم وتشتتهم رحمة ، كما يروي بعض الرواة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فهذه الأسباب الافتراضية لا تخرج عن عدة احتمالات:

أولها : أن الله تبارك وتعالى أمر الناس بالاتفاق فعصوا ، وهذا أصح الاحتمالات.

ثانيها : أن الله سبحانه أمرهم بالاختلاف فأطاعوه ، وهذا فرض مستحيل لأن الله لا يأمر بالفحشاء .

ثالثها : أن الدين جاء من عند الله ناقصًا ، وأن الناس أكملوه بآرائهم ، وهذا أيضًا فرض مستحيل.

أما الفرض الرابع والأخير أن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) قد قصر فى ابلاغ ما أوحى إليه من ربه .

وهذا أيضًا فرض مستحيل ، فلا يبقى أمامنا إلا الفرض الأول وهو الصحيح ، فالله تبارك وتعالى أمر المسلمين بالاتفاق ، فعصى أمر الله وشذ بعض الناس عن طاعة ربهم ومولاهم ، ولا بأس أن نقرر بداية أن المخالفة لأمر الله بدأت من قضية الإمامة وهى الأصل ، وامتدت لتشمل فروع الدين ، حتى وصلت الأمة إلى هذه الحالة المزرية التى نعيشها الآن .

الإمامة ضرورة قرآنية

جاء الحديث عن الإمامة فى القرآن الكريم فى غير موضوع ، منها ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ البقرة : ١٢٤.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ الفرقان : ٧٤ .

﴿ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ ﴾ الإسراء : ٧١ .

﴿ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ التوبة : ١٢.

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۖ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ الأنبياء : ٧٣.

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ ﴾ القصص : ٥ .

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ السجدة : ٢٤.

إن الآيات تدلنا على عدة مفاهيم قرآنية :

أولاً : وجود نوعين من الإمامة ، إمامة الحق وإمامة الضلالة.

ثانياً : أن أئمة الحق مختارون من عند الله (وجعلنا منهم أئمة) ، (قال إني جاعلك للناس إمامًا).

ثالثاً : أن أئمة الحق مختارون وفقاً لقاعدة الاصطفاء الإلهي.

رابعاً : أن أئمة الحق يهدون ويحكمون بأمر الله لا بأهوائهم ولا باجتهادهم ولا بفهم يصيب ويخطئ (يهدون بأمرنا) .

خامسًا : أن الناس يحشرون يوم القيامة تبعًا لأئمتهم ، إما إلى الجنة أو إلى النار (يوم ندعو كل أناس بإمامهم) .

قاعدة الاصطفاء الإلهى

لقد خضعت الرسالات السماوية لعدة قوانين ربانية سواء فيما يتعلق بشخصية الرسل عليهم السلام أم فيما يتعلق بمسار الدعوة وقبول الأمم لها أم رفضها أم التاريخ الطبيعى للأمة بعد الاستجابة لرسل الله ، وصدق الله العلى العظيم ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ ﴾ الأحقاف : ٩ ، ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾ الإسراء : ٧٧ ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم (لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع) .

وإحدى أهم هذه القواعد هى قاعدة الاصطفاء أو الاجتباء ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ آل عمــــــــران : ٣٣ ــ ٣٤ . ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾ ص : ٤٧ . ﴿ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ﴾ الأنعـام : ٨٧ . ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ الصـــــافات : ١٣٠ . ﴿ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ هود : ٧٣.

إن هذه القاعدة تعنى أن شخصيات الرسل أو الأئمة كما أسلفنا ، إنمــا هــى شخصيات معدة ومنتقاة سلفاً ، والناس فى عالم ، الذر وأن هذه النطف الطاهرة قد انتقلت من رحم مؤمنة طاهرة إلى رحم مؤمنة طاهرة دون أن تمر علــى أرحــام المشركين أو أصلابهم ، ولم يحدث أن اصطفى رب العزة واحدا من عامة النـــاس للقيام بهذه المهام الجسام ، أو أنها انتقلت من يد نبى إلى أحد أصحابه ، وإنما هى تجرى فى الذرية والآل :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ الحديد : ٢٦ .

﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ النساء : ٥٤ .

إننا لسنا فى حاجة إلى أن نؤكد عمومية القواعد السابقة وانطباقها على محمد وآل محمد .

وحسبنا صيغة الصلاة الإبراهيمية التى نقولها فى كل صلاة (اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك علــى محمــد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم) .

إننا نؤكد أيضًا على حقيقتين ثابتتين تنطلقان من قاعدة الاصطفاء:

الحقيقة الأولى : أن اختيار الرسل والأنبياء والأئمة عليهم الصلاة والسلام إنما هو محصور فى ذرية الرسل والأنبياء ﴿ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ ﴾ آل عمران : ٣٤ .

وأن مخالفة هذه القاعدة بالادعاء بأن هذا الاختيار يمتد إلى عموم أصحاب النبى أو إلى عامة أمته هو تعسف لا يقوم عليه أى دليل.

الحقيقة الثانية : أن هذا الاصطفاء قد انتقل إلى النبى وآل بيته عليهم أتم الصلاة وأفضل التسليم تطابقاً مع قوله تعالى ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾ الإسراء : ٧٧.

فالنبى محمد وآله فى الدرجة الرفيعة من آل إبراهيم ، وقد خصهم ربنا عز وجل بالمدح فى غير موضع من القرآن الكريم ، ولنضرب بعض الأمثلة على هذا.

آية التطهير

قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ الأحزاب : ٣٣ . أورد ابن كثير فى تفسيره برواية أحمد بن حنبل عن أم سلمة ذكرت " أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان فى بيتها فأتته فاطمة رضى الله عنها ببرمة فيها خزيرة فدخلت عليه بها فقال صلى الله عليه وآله إدعى زوجك وابنيك فقالت فجاء على وحسن وحسين رضى الله عنهم فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من الخزيرة وهو على منامة له وكان تحته صلى الله عليه وآله كساء خيبرى قالت وأنا فى الحجرة أصلى فأنزل الله عز وجل هذه الآية ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ . قالت رضى الله عنها فأخذ النبى (صلى الله عليه وسلم) فضل الكساء فغطاهم به ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتى وخاصتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا ، قالت فأدخلت رأسى البيت فقلت وأنا معكم يا رسول الله؟ فقال (إنك إلى خير إنك إلى خير) . وقد أورد ابن كثير فى كتابه تفسير القرآن العظيم) أكثر من ستة عشر رواية بهذا المعنى فى تفسيره هذه الآية بما يقطع بصحة هذا التفسير ونزول الآية فى آل بيت النبوة عليهم السلام خاصة دون غيرهم ، وهذا يقطع بصحة ما نعتقده من أن منزلة محمد وآله هى نفس منزلة إبراهيم وآل إبراهيم سواء فى فضلهم أو فى دورهم إن لم تزد ﴿ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ النساء : ٥٤.

آية المودة فى القربى

قوله تعالى ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ ﴾ الشورى : ٢٣ . أخرج ابن كثير فى تفسيره عن البخارى وغيره عن سعيد بن جبير ، ما معناه أنه قال ، (معنى ذلك أن توادونى فى قرابتى أى تحسنوا إليهم وتبروهم) ، وقال السدى عن أبى الديلم قال : (لما جيء بعلى بن الحسين رضى الله عنه أسيرًا على درج دمشق قام رجل من أهل الشام فقال : الحمد لله الذى قتلكم واستأصل شأفتكم وقطع قرن الفتنة . فقال له على بن الحسين رضى الله عنه : أقرأت القرآن ؟ قال : نعم . قال : أقرأت ال "حم" ؟ قال : قرأت القرآن ولم أقرأ ال "حم" . قال أما قرأت ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ ﴾ ؟ قال : وإنكم لأنتم هم؟ قال : نعم) .

إننا عند هذه النقطة من البحث بحاجة إلى أن نتوقف لمراجعة التصور الإجمالى لقضية الإمامة ، قبل أن ننتقل إلى مرحلة التحديد والقطع باستنتاجات محددة .

أولا:

إن قضية الإمامة على خطورتها القصوى لم تعالج بصورة متجردة ، وإنما عولجت فى إطار محاولة إخضاع النصوص للواقع السياسى المفروض على الأمة المسلمة ، خاصة وأن هذه القضية تمس مشروعية النظم السياسية التى حكمت العالم الإسلامى فى الصميم وأن أية محاولة لاستنطاق النص بصورة واضحة كانت تمثل جريمة (محاولة قلب نظام الحكم) وهو ما كان يسمى آنئذ (شق عصا الطاعة ومفارقة الجماعة) ، ناهيك عن أن حكام الأمس كانوا يحرصون على إبقاء غلالة رقيقة من الادعاءات الدينية والانتساب إلى الإسلام .

ثانيا:

" الإسقاط العمدي " والتغافل عن بعض النصوص وثيقة الصلة بأطروحة الإمامة ، كهذه التى وردت عن الإمام الحسين عليه السلام ، أثناء مواجهته لجبابرة بنى أمية ، أو تلك الواردة عن الإمام الحسن عليه السلام ، تفتح باب التساؤل عن

المصلحة الكامنة وراء هذا ، فلا يمكن أن يتعلل رواة السنن بضعف الأسانيد وكفى ، فليس من المعقول أن حادثاً جليلا كهذا مر على الأمة مرور الكرام دون أن تسجل فيه خطبة من خطب الإمام الحسين ، أو استناد منه إلى كتاب الله وسنة رسوله ، في هذه المواقف الفاصلة بين الحق والباطل .

ثالثا:

"الإثبات المنحاز " لبعض (النصوص) التي لا يمكن أن ترقى أصلا إلى مرتبة النص الشرعي المتعبد به ، ولكنها تخدم النظرية الأموية التي يتبناها كثير من المسلمين وعلمائهم ، حتى هذه اللحظة باعتبارها (مذهب أهل السنة والجماعة) ، وخير شاهد على ما نقول هو مرويات عبد الله بن عمر في (صحيح البخاري) إثباتاً لوجوب البيعة لعبد الملك بن مروان أو إنكارًا لثورة أهل المدينة من أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار على يزيد السكير ، وكلها لا ترقى حتى لرتبة المرفوعات ، ولكنها كانت على قلوبهم المريضة بردًا وسلامًا .

رابعًا :

افتقار النصوص المطروحة للتناسق والوضوح يقطع بوجود حلقة مفقودة لا بد من البحث عنها وإثباتها .

خامسًا :

انقطاع العلاقة بين بعض النصوص المطروحة وبين التصور القرآني لدور الأمة الإسلامية ، خاصة ذلك التناقض الغريب بين محاولة إسباغ الشرعية على سلاطين الجور الغاصبين للخلافة وبين طبيعة الرسالة الإسلامية وحرصها على إقامة العدل ومحاربة الاستكبار ونصرة المستضعفين ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ ﴾ القصص : ٥.

سادسًا :

افتقاد الترابط بين بعض النصوص المطروحة في كتب السنة وقانون الاصطفاء الإلهي ، كما ذكرنا في الصفحات السابقة من هذا الكتاب.

الإمامة فى الكتاب والسنة

قلنا من قبل : إننا سنقدم ما نعتقد أنه الصورة الحقيقة لقضية الإمامة ، ولكى نتمكن من تقديم هذا التصور كان علينا ، ألا نقيد أنفسنا بما أورده أصحاب السنن فى باب الإمامة ، وألا نتقيد بمصدر واحد ، وإنما علينا أن نفتش فى مصادر السنة المختلفة المتاحة لدينا.

وقلنا أيضا : إننا سنلتزم بالقواعد القرآنية المحكمة التى لا يأتيها الباطل وخاصة قاعدة الاصطفاء الإلهى ، وأن حمل أمانة الدين والدنيا محصورة فى ذرية الأنبياء والآل لا غير ، إلا إذا قام لدينا دليل قاطع يقول غير هذا ، ولا نظن أن الذين ادعوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه حاول الانتحار ثلاث مرات يمكن أن يزد كلامهم صريح القرآن .

وهناك ملاحظة مهمة وهى أننا لن نتعرض لأسانيد الأحاديث ورجاله ورواته فمعظم الأحاديث التى سنوردها قد فرغ فيها القول وحققت أسانيدها وأصبح مقطوعًا بصحتها .

كما أننا لن نحرص على استقصاء جميع الروايات المتعلقة بالمسألة ، فهذا أمر شرحه يطول ، وإنما سنركز على عدد قليل من الروايات ، التى ذكرتها كتب أهل السنة وصحاحهم ، وكلها تؤدى إلى ما نريد وتزيد .

حديث الغدير

أخرج أصحاب السنن واللفظة لابن المغازلى عن زيد بن أرقم قال : (أقبل نبى الله من مكة فى حجة الوداع حتى نزل بغدير الجحفة بين مكة والمدينة ، فأمر بالدوحات فقم ما تحتهن من شوك ثم نادى الصلاة جامعة فخرجنا إلى رسول الله (

صلى الله عليه وسلم) فى يوم شديد الحر وإن منا لمن يضع رداءه على رأسه وبعضه على قدميه من شدة الرمضاء حتى انتهينا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فصلى بنا الظهر ثم انصرف إلينا فقال : الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، الذى لا هادى لمن أضل ولا مضل لمن هدى ، وأشهد أن لا إله إلا الله ومحمدًا عبده ورسوله ، أما بعد أيها الناس ، فإنه لم يكن لنبى من العمر إلا نصف عمر من قبله ، وإن عيسى بن مريم لبث فى قومه أربعين ، سنة وإنى قد أسرعت فى العشرين ، ألا وإنى أوشك أن أفارقكم ألا وإنى مسئول وأنتم مسئولون ، فهل بلغتكم فماذا أنتم قائلون ؟ فقام من كل ناحية من القوم مجيب يقولون : نشهد أنك عبد الله ورسوله قد بلغت رسالته وجاهدت فى سبيله وصدعت بأمره وبلغته حتى أتاك اليقين ، جزاك الله عنا خير ما جازى نبيًا عن أمته . فقال : ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق وتؤمنون بالكتاب كله ؟ فقالوا : بلى . قال : فإنى أشهد أن صدقتكم وصدقتمونى ألا وإنى فرطكم على الحوض فأسألكم حين تلقونى عن ثقلى كيف خلفتمونى فيهما . فأعيل علينا ما ندرى ما الثقلان حتى قام رجل من المهاجرين قال : بأبى أنت وأمى يا نبى الله ما الثقلان ؟ فقال صلى الله عليه وآله الأكبر منهما كتاب الله سبب طرفه بيد الله وسبب طرفه بأيديكم فتمسكوا به لا تضلوا ، والأصغر منهما عترتى من استقبل قبلتى وأجاب دعوتى فلا تقتلوهم ولا تقهروهم ولا تقصروا عنهم فإنى قد سألت لهم اللهم اللطيف الخبير فأعطانى ناصرهما لى ناصر وخاذلهما لى خاذل ووليهما لى ولى وعدوهما لى عدو ، ألا وإنها لم تهلك أمة حتى تتدين بأهوائها تتظاهر على نبوتها وتقتل من قام بالقسط ، ثم أخذ بيد على بن أبى طالب فرفعها ، ثم قال : من كنت مولاه فعلى مولاه ومن كنت وليه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . قالها ثلاثًا)

خطبة حجة الوداع

روى الترمذى فى الباب (٣٢) تحت عنوان " مناقب أهل البيت " حديث رقم " ٣٧٨٦ " بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصارى (رأيت رسول الله صلى الله عليه

وآله فى حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول : أيها الناس إنى تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتى أهل بيتى)

وفى حديث رقم "٣٧٨٨ " للترمذى أيضًا عن زيد بن أرقم قال " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أحدهما أعظم من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتى أهل بيتى ولن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفونى فيهما)

حديث المنزلة

روى البخارى وغيره من أصحاب السنن عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لعلى بن أبى طالب : (أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى)

حديث أنا مدينة العلم وعلى بابها

روى ابن المغزلى الشافعى عن جابر بن عبد الله قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بضبع على وقال (هذا أمير البررة وقاتل الكفرة منصور من نصره ومخذول من خذله ، ثم مد بها صوته ، فقال أنا : مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأت الباب) (وأخرجه الحاكم بهذا السند فى مستدركه على الصحيحين : (أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأت الباب) كما روى ابن المغازلى عن جرير عن على قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا مدينة العلم وعلى بابها ولا تؤتى البيوت إلا من أبوابها) .

حديث براءة

روى ابن كثير فى تفسيره عن الإمام أحمد عن أنس بن مالك (أن رسول الله بعثه ببراءة مع أبى بكر فلما بلغ ذا الحليفة قال لا يبلغها إلا أنا أو رجل من أهل

بيتي فبعثها مع على بن أبى طالب) . ورواه الترمذى فى التفسير وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن على : (لما نزلت عشر آيات من براءة على النبى صلى الله عليه وسلم دعا أبا بكر فبعثه بها ليقرأها على أهل مكة ثم دعانى فقال أدرك أبا بكر فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه . ورجع أبو بكر إلى النبى فقال : يا رسول الله نزل فى شيء ؟ فقال : لا ولكن جبرائيل جاءنى فقال لن يؤدى عنك إلا أنت أو رجل منك .) . وروى عبد الله أيضًا عن علي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى لا بد أن أذهب بها أو تذهب بها أنت فقال فإن كان ولا بد فسأذهب بها أنا . قال : انطلق فإن الله يثبت لسانك ويهدى قلبك .. قال : ثم وضع يده على فيه) وروى ابن كثير أيضًا عن إسرائيل عن زيد بن يثيغ قال لما رجع أبو بكر قال نزل فى شيء ؟ قال : لا ولكن أمرت أن أبلغها أنا أو رجل من أهل بيتي) وروى أيضًا " لما نزلت سورة براءة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤدى عنى إلا رجل من أهل بيتى)

أحاديث أخرى

روى أبو نعيم فى حلية الأولياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله عهد إلى عهدًا فى على فقلت : يا رب بينه لي . فقال : اسمع . فقلت سمعت : فقال : إن عليًا راية الهدى وإمام أوليائى ونور من أطاعنى ، وهو الكلمة التى ألزمتها المتقين ، من أحبه أحبنى ومن أبغضه أبغضنى ، فبشره بذلك . فجاء على ، فبشرته ، فقال : يا رسول الله أنا عبد الله وفى قبضته فإن يعذبنى فبذنبى وإن يتم لى الذى بشرتنى به فالله أولى بى . قال قلت : اللهم أجل قلبه واجعل ربيعه الإيمان . فقال الله : قد فعلت به ذلك . ثم إنه رفع إلى أنه سيخصه بشيء من البلاء لم يخص به أحدًا من أصحابى فقلت : يا رب أخى وصاحبى . فقال : إن هذا شيء قد سبق أنه مبتلى ومبتلى به .)

حديث آخر .. (من سره أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويتمسك بالقضيبة من الياقوت التى خلقها الله تبارك وتعالى بيده ثم قال لها كونى فكانت فليتمسك بولاية على بن أبى طالب) رواه أبو نعيم وأحمد بن حنبل.

حديث آخر

(والذى نفسى بيده لولا أن تقول طوائف من أمتى فيك ما قالت النصارى فى عيسى بن مريم لقلت فيك مقالا لا تمر بملأ من المسلمين إلا أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة) رواه أحمد .

حديث آخر

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " يا أنس أسكب لى وضوءًا ثم قام فصلى ركعتين ثم قال : يا أنس أول من يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين وسيد المسلمين وقائد الغر المحجلين وخاتم الوصيين . قال أنس : قلت : اللهم اجعله رجلا من الأنصار وكتمته ، إذ جاء على فقال (صلى الله عليه وسلم) من هذا يا أنس؟ فقلت : على فقام مستبشرا فاعتنقه ثم جعل يمسح عرق وجهه بوجهه ويمسح عرق على بوجهه . فقال علي : يا رسول الله لقد رأيتك تصنع شيئاً ما صنعت بى من قبل؟ قال : وما يمنعنى وأنت تؤدى عنى وتسمعهم صوتى وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدى .) .

حديث

(من سره أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ويسكن جنة عدن التى غرسها ربى فليوال عليًا من بعدى ، وليوال وليه وليقتد بالأئمة من بعدى ، فإنهم عترتى خلقوا من طينتى ورزقوا فهمًا وعلما فويل للمكذبين من أمتى القاطعين فيهم صلتى ، لا أنالهم الله شفاعتى .) .

مناقشة الأحاديث السابقة

حديث الغدير .. أشـــهر من أن يعرف رواه معظم أصحاب السنن ،إلم نقل كلهم ، وصححوه ولقد ذكرنا في الصفحات السابقة موارد ذكر هذا الحديث في صحاح أهل السنة وواقعة (غدير خم) معروفة الزمان والمكان ، حدثت أثناء عودة المسلمين من حج بيت الله الحرام فيما عرف بحجة الوداع قبيل موت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقليل أي في العام العشـــر للهجرة الموافق ٦٣١ ميلادي . فإذا كانت الحجة عرفت بأنها حجة الوداع فكلمات رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كانت وصية الوداع من رسول وصفه القرآن بأنه رءوف رحيم : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ التوبة : ١٢٨. إنها كلمات تحمل أقصى درجة من الأهمية والخطورة بالنسبة لمصير الأمة ومستقبلها.

لقد كانت هذه الوصية بأمر الله سبحانه وتعالى ، وقد جاء فـــي أســـباب النـــزول للنيسابوري وغيره من المفسرين أن قوله تعالى : ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ ﴾ المائدة : ٦٧ . نـــزل يـــوم غدير خم وأن هذا التبليغ كان أمرًا حيويًا متممًا ومكملاً للرسالة الإسلامية ككـــل ، وإلا لما قال القرآن الكريم : (وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) ، فمـــا هـــو ذلـــك الجزء الذي يتمم الكل فيجعله تامًا ؟

توضح كلمات الخطبة هذه المعاني فتقول : (ألا وإني أوشك أن أفارقكم وإني مسئول) ، إذًا فالرسالة في غاية الأهمية إنها المسئولية أمام الله عن الثقلين كيـــف خلفتموني فيهما ؟ أول الثقلين أو الثقل الأكبر هو كتاب الله .

القضية إذن قضية منهج وليست مجرد عاطفة شخصية إنه رسول يوشـــك أن يفارق أمته فيوصيهم لا بالأولاد كما يفعل عوام الناس ولا بتنمية مالـــه والحفـــاظ

على ثروته بل يوصيهم بالحفاظ على المنهج ثم يحدد لهم وسيلة الحفاظ على المنهج موضحًا أن هذا لا يكون إلا بمتابعة الثقلين الكتاب والعترة ، إتباع منهج وقيادة لا على سبيل العاطفة أو المودة فحسب .

فناصر الكتاب وأهل البيت هو ناصر لرسول الله ، وخاذل الكتاب والعترة خاذل لله ولرسوله .

إنها وصية مركزة ومحددة تحدد المنهج وهو الكتاب أو النص بشقيه القرآني والنبوى ، وتحدد القيادة وهى قيادة أهل البيت الأقدر على حفظ النص والأقدر على فهم النص وتطبيقه ، ومطابقة السلوك مع المنهج ، فكيف إذن يمر الناس على هذا الحديث المتواتر مرور الكرام ، هذا إذا مروا به أصلا ولم يلجأوا إلى التحريف المتعارف عليه فيما بينهم ويقولون (كتاب الله وسنتي) ، أما إذا اضطروا إلى الوقوف عند الحديث لجأوا إلى سياسة التمييع الذى لا يصدر إلا من أناس أكثر تميعًا فيقولون (ولا ننكر الوصاة بهم) ..

هل كان رسول الله فى حاجة إلى أن يجمع المسلمين ليوصيهم بحسن معاملة ذريته وكفى ؟

لا نظن هذا .

ثم يلجأ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إلى مزيد من التحديد حينما يطرح ولاية أمير المؤمنين عليه السلام بصورة واضحة فيقول : (من كنت وليه فهذا وليه)

يدعي بعض المتفيهقين : أن هذا الكلام لا يعني ولاية الأمر أو قيادة الأمة وإنما يعني النصرة والمحبة ، وهذا كلام عجيب ؛ فماذا كانت تعني ولاية رسول الله للأمة ؟ ألم تكن ولاية القيادة والتشريع " من كنت مولاه فهذا مولاه " إنها ولاية من ولاية ، إنها من الجنس نفسه والنوع والمعنى ، وليس هناك أى دليل أو قرينة لغوية تفصل بين الولايتين بل على العكس إنها قضية الامتداد تطرح في وقتها الملائم (إني أوشك أن أفارقكم ، من كنت مولاه فعلى مولاه)

بقي أن نقول إن هناك معنى عظيما في هذا الحديث نراه في قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض) ، وهذا النص يعني أن هذه القيادة ستستعصى على محاولات التغييب والطمس والإلغاء ، وهو عين ما عانت منه قيادة أهل البيت ، التي تعرضت على مدار التاريخ الإسلامي إلى التآمر المستمر قتلا وسجناً وسمّا ولكنها بقيت حاضرة في وجدان الأمة وضميرها ، حضور الكتاب في حياة الناس حتى آخر الدنيا ، ثم إن هذه القيادة تحتفظ بصوابية الكتاب الكريم نفسها ، إذ العترة عدل الكتاب ورفيقه في طريق الحق ، وحاشا لكليهما من الزيغ والضلال .

والعجيب أن الترمذي وحده قد ذكر أن الوصية باتباع الكتاب والعترة قد جاءت في خطبة الوداع وهو ما أغفلته (أجهزة النقل الأموية الأمينة) التي أسقطت هذه العبارة من ثنايا خطبة حجة الوداع ، حيث نص فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المعنى نفسه : (تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي) ، إذاً فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله حريصا على أن يكرر الوصية والإعلان في فترات متقاربة وفي وسط أكبر عدد من جموع المسلمين ، التي اجتمعت في حجة الوداع ، ثم كان حديثه في " غدير الجحفة " تفصيلا وتأكيدًا لوصيته يوم عرفة ، ثم إنها فوق كل هذا وصية مودع وصية ﴿ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ التوبة : ١٢٨.

أما " حديث المنزلة " وقد قاله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قبيل مغادرته المدينة إلى غزوة تبوك فى رجب من العام التاسع من الهجرة ٦٣٠ ميلادى وتبوك موقع فى شمالى جزيرة العرب ، ولما انطلق النبى (صلى الله عليه وسلم) إلى الغزو استخلف عليًا (عليه السلام) على المدينة فكانت هذه الكلمات : (أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبى بعدى (فماذا كانت منزلة هارون من موسى؟ فلنقرأ القرآن : ﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ الأعراف : ١٤٢ . إذاً لقد كانت منزلة الخلافة على الأمة (اخلفنى فى قومي) ثم نص القرآن على واجبات الخلافة (وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين)

وهل كان اختيار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) للإمام على لحمل آيات براءة مجرد مصادفة خاصة وأنه (صلى الله عليه وسلم) كان قد أرسل غيره حاملا للرسالة ثم نزعها منه وأعطاها للإمام؟ لقد كانت رسالة البراءة كما يلى : (أيها الناس إنه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فهو إلى مدته)

إن هذه المهمة التى أرسل فيها أمير المؤمنين على هى من مهام " القيادة العليا " بالتعبير السياسى الحديث مهمة إبرام المعاهدات أو نقضها ، مهمة وضع سيادة الدولة الإسلامية فى إطارها النهائى ، ومن ثم كان اختيار الإمام على لهذه المهمة متلائمًا مع دوره المقبل فى قيادة الأمة الإسلامية فى المرحلة المقبلة ، وإنه فى هذه اللحظة كان يمثل ما تعارف عليه الناس بمصطلح " النائب الأول " وهذا المعنى واضح فى كلمات الرسول (صلى الله عليه وسلم) : (لا يؤدى عنى إلا أنا أو رجل من أهل بيتى) .

أما حديث السفينة فهو يحمل المعنى نفسه الوارد فى حديث الثقلين ، إنه يربط بين النجاة وبين التمسك بمنهج أهل البيت وولايتهم : (مثل أهل بيتى فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك) ، وهل كان ركوب سفينة نوح متاحًا للمؤمن والكافر أم أنه كان متاحًا للمؤمنين من الصابرين دون غيرهم من المعاندين ؟.. إنها كانت هدية الله لمن آمنوا وصدقوا ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ هود : ٤٠ – ٤١ . إنها سفينة النجاة تسير بأمر الله مجراها ومرساها ، لا بأهواء الناس ولا بضحالة علمهم ﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ ﴾ هود : ٤٢ ثم هى بعد ذلك الوسيلة الوحيدة للنجاة من مهالك الدنيا والآخرة .

ويبقى بعد هذا حديث مدينة العلم ، هذا الحديث الذى شبه فيه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ، علمه بالمدينة التى لا يجوز دخولها إلا من أبوابها وبابها هو أمير المؤمنين عليه السلام ، ولطالما تأملت فى قوله تعالى ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ البقرة : ١٨٩. وهل نزلت هذه الآية لتعالج مشكلة تسلق أسوار البيوت فحسب؟! .. ربما !!

ولكنى لا أعتقد أن هناك مشكلة اجتماعية بهذا الحجم تستدعى نزول قرآن كريم لمعالجتها ، والشاهد أن المدلول الأخطر والأهم ، هو تنظيم الهيئة الاجتماعية وعلاقتها بالدين ، ووضع القيادة العلمية للأمة فى موضعها الصحيح ، إنها الباب أو المدخل الصحيح لأى تحرك وعلى كل من يريد الدخول أن يأتى البيوت من أبوابها .

فإذا لم يكن للعلم والدين أسوار وحدود ونظام وأصبح حق الدخول وإدارة المدينة متاحًا لكل من هب ودب ، وادعى العلم والمعرفة ، وأسماه أشباه الناس عالما وليس به ، فلا شك أن هذه الحالة هى عين الفوضى الاجتماعية والسياسية والعلمية والأخلاقية ، وهو عين ما تعانى منه الأمة الإسلامية فى واقعها الراهن ، وهو ما تفسره كلمات الإمام على : (نحن الشعار والأصحاب والخزنة والأبواب ، ولا تؤتى البيوت إلا من أبوابها ، فإن من أتى البيوت من غير أبوابها سمى سارقاً)

معنى الولاية

أسفرت المناظرات التى جرت بيننا وبين القوم على شاشات التلفاز عن اعترافهم وإقرارهم بصحة حديث الثقلين وحديث من كنت مولاه فعلى مولاه .

ولكن القوم يلجئون إلى استخدام سلاح التأويل والزعم بأن الموالاة لا تعنى شيئاً سوى الحب والنصرة !

ورغم أن القوم (لم يقصروا فى إظهار حبهم لآل رسول الله) حتى لقد وصف الشاعر دعبل الخزاعى حالهم مع الأمة فى أبياته

لم يبق حى من الأحياء نعلمه ... من ذى يمان ولا بكر ولا مضر
إلا وهم شركاء فى دمائهم ... كما تشارك أيسار على جزر
قتلا وأسرا وتخويفاً ومنهبة ... فعل الغزاة بأرض الروم والخزر
أرى أمية معذورين إن قتلوا ... ولا أرى لبنى العباس من عذر

ولذا فالاحتجاج بأن الولاية لا تعنى شيئاً إلا الحب هو هراء لا معنى له ؛ لأننا لم نر دليلا واحدًا على وجود هذا الحب ! وفى المقابل رأينا آلاف الأدلة على البغض المتأصل فى نفوس القوم لأهل البيت !.

الولاية والحب

الولاية هى خط مستقيم يصل بين السماء والأرض ، وهى حبل الله المتين وصراطه المستقيم الذى أمرنا أن نتمسك به ..

﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) ﴾ آل عمران : ١٠٣.

الولاية خط مستقيم وهى أقصر وآمن الطرق الموصلة إلى الله ، وهى الضمان الإلهى لئلا تتفرق بنا السبل فنضل عن سبيل الله وينتهى بنا الأمر إلى التيه كما تاه من قبلنا بنو إسرائيل بإعراضهم وكفرهم وصدهم عن سبيل الله ..

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣) ﴾ الأنعام : ١٥٣.

معنى الولاء

يقول الراغب الأصفهانى فى مفردات القرآن : الولاء والتوالى هو الارتباط والتلازم بين شيئين يتبع أحدهما الآخر من حيث المكان ، ومن حيث النسبة، ومن حيث الدين ، ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد (أى أن الولاية هى الارتباط والمتابعة) ، والولاية : النصرة (قال الفراء : وكسر الواو فى الولاية أعجب إلى من فتحها؛ لأنها إنما تفتح إذا كانت فى معنى النصرة ، وكان الكسائى يفتحها ويذهب بها إلى النصرة . (معانى القرآن ١/٤١٨)

والولاية : تولى الأمر ، والولى والمولى يستعملان فى ذلك كل واحد منهما يقال فى معنى الفاعل أى : الموالِي ، وفى معنى المفعول أى : المـوالَى ، يقال للمؤمن : هو ولى الله عز وجل ولم يرد مولاه ، وقد يقال : الله تعالى ولى المؤمنين ومولاهم .

قال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ البقرة : ٢٥٧ ، ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾ الأعراف : ١٩٦ ، ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ آل عمران : ٦٨ ، ﴿ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ﴾ الأنفال : ٤٠ ، ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ الحج : ٧٨ ، قال عز وجل : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ ﴾ الجمعة : ٦ ، ﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ ﴾ التحريم : ٤ ، ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ ﴾ الأنعام : ٦٢.

الولاية علاقة فى اتجاهين الأول هو رعاية الوالى للموالى والثانى هو طاعة الموالى للوالى .

وهكذا الولاية الإلهية لمن أخلص إيمانه ودينه لله وطلب منه وحده العون والتسديد والإرشاد ، فهو سبحانه يتولى الصالحين ، وهو مولى الذين آمنوا أى ناصرهم ، ومن يأخذ بيدهم إلى الهداية والرشاد ، وهو يخرجهم من الظلمات إلى النور ، أما الكافرون فلا مولى لهم ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ ﴾ محمد : ١١.

الولاية أيضًا مكانة ومنزلة يمنحها الله لمن يرضى عنهم من صالح المؤمنين ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ التحريم : ٤ ، حيث أثبتت هذه الآية الكريمة الاشتراك

فى الولاية ونصرة الحق والعدل والدين بين الله سبحانه وجبريل وصالح المؤمنين ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) ﴾ التوبة : ٧١ .

علاقة الولاية هى أشمل وأعم من علاقة السمع والطاعة فالعبد يسمع ويطيع سيده ، والجندى يطيع قائده ولكنه ربما كره أمره وسبه وشتمه إذا غاب عنه كما أن علاقة السمع والطاعة ربما كانت علاقة قهر وإذعان وإذلال ، أما رباط الولاية فهو سمع وطاعة ومتابعة قائمة على الحب بين القائد والمقود أو الوالى والموالى ، هذا معنى ولاية الله للذين آمنوا وهذا معنى ولاية رسول الله وولاية أمير المؤمنين وأئمة أهل البيت من بعده .

فضلا عن الحب فالموالاة تقوم على الوثوق المطلق فى الوالى وأهليته وكفايته لهذه المكانة وقدرته على حمل أمانة إرشاد تابعيه (انْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ ، وَاتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدىً ، وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدىً ، فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا ، وَإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا ، وَلاَ تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا ، وَلاَ تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا) ٩٦ نهج البلاغة .

الولاية مراتب ودرجات فالمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ومع ذلك فإن ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران : ٦٨ ، و﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ الأحزاب : ٦ ، و(من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) !

الولاية هى أيضًا خط وصل ورابط بين المؤمنين وهى وصف دقيق لعلاقة التعاضد والتراحم وقوة اللحمة بينهم .

ولاية أولياء الله هى خط تواصل بين السماء إلى الأرض يحقق رضا الخالق على المخلوقين ويجعل علاقة المؤمنين بربهم علاقة صحيحة غير قابلة للتحريف أو الانحراف:

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ المائدة : ٥٥ ـ ٥٦.

فـ (الذين آمنوا ، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) هم على بن أبى طالب عليه السلام وهو ما ذكره المفسرون والمحدثون فى هذا الشأن:

* ذكر ابن جرير الطبرى فى تفسير الآية قال : اختلف أهل التأويل فِى الْمَعْنِيّ ، فَقَالَ بَعْضهمْ : عَنَى بِهِ عَلِي بْن أَبِي طَالِب وَقَالَ بَعْضهمْ : عَنَى بِهِ جَمِيع الْمُؤْمِنِينَ .

قَالَ : ثنا عُتْبَة بْن أَبِي حكيم فِي هَذِهِ الْآيَة قَالَ : عَلِي بْن أَبِي طَالِب . حَدَّثَنِي الْحَارِث ، قَالَ : ثنا عَبْد الْعَزِيز قَالَ : ثنا غَالِب بْن عُبَيْد اللَّه ، قَالَ : سَمِعْت مُجَاهِدًا يَقُول فِي قَوْله : {إِنَّمَا وَلِيّكُمْ اللَّه وَرَسُوله} قَالَ : نَزَلَتْ الآيَة فِي عَلِي بْن أَبِي طَالِب ، تَصَدَّقَ وَهُوَ رَاكِع.

* أما القرطبى فزاد الأمر إيضاحًا فقال : قَالَ اِبْن عَبَّاس : نَزَلَتْ فِي عَلِي بْن أَبِي طَالِب رَضِيَ اللَّه عَنْهُ؛ وَقَالَهُ مُجَاهِد وَالسُّدِّيّ ، وَحَمَلَهُمْ عَلَى ذلك أَنَّ سَائِلًا سَأَلَ فِي مَسْجِد رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يُعْطِهِ أَحَد شَيْئًا ، وَكَانَ عَلِي فِي الصَّلَاة فِي الرُّكُوع وَفِي يَمِينه خَاتَم ، فَأَشَارَ إِلَى السَّائِل بِيَدِهِ حَتَّى أَخَذَهُ . قَالَ الْكِيَا الطَّبَرِيّ : وَهَذَا يَدُلّ عَلَى أَنَّ الْعَمَل الْقَلِيل لَا يُبْطِل الصَّلَاة فَإِنَّ التَّصَدُّق بِالْخَاتَمِ فِي الرُّكُوع عَمَل جَاءَ بِهِ فِي الصَّلَاة وَلَمْ تَبْطُل بِهِ الصَّلَاة ، وَقَوْله : " وَيُؤْتُونَ الزَّكَاة وَهُمْ رَاكِعُونَ " يَدُلّ عَلَى أَنَّ صَدَقَة التَّطَوُّع تُسَمَّى زَكَاة؛ فَإِنَّ عَلِيًّا تَصَدَّقَ بِخَاتَمِهِ فِي الرُّكُوع ، وَهُوَ نَظِير قَوْله تَعَالَى : ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ الروم : ٣٩ . وَقَدْ

إِنْتَظَمَ الْفَرْضِ وَالنَّفْل ، فصَارَ اِسْمِ الزَّكَاة شَامِلًا لِلْفَرْضِ وَالنَّفْل ، كَاسْـمِ الصَّـدَقَة وَكَاسْمِ الصَّلَاة يَنْتَظِمِ الْأَمْرَيْنِ . قُلت: فَالْمُرَاد عَلَى هَذَا بِالزَّكَاةِ التَّصَدُّق بِالْخَـاتَم ، وَحَمْلُ لَفْظِ الزَّكَاة عَلَى التَّصَدُّق بِالْخَاتَم فِيهِ بُعْدٌ؛ لِأَنَّ الزَّكَاة لَا تَـأْتِي إِلَّـا بِلَفْظِهَـا الْمُخْتَصّ بِهَا وَهُوَ الزَّكَاة الْمَفْرُوضَة عَلَى مَا تَقَدَّمَ بَيَانه فِي أَوَّل سُورَة الْبَقَرَة . وَقَالَ اِبْن خُوَيْز مَنْدَاد قَوْله تَعَالَى : " وَيُؤْتُونَ الزَّكَاة وَهُمْ رَاكِعُونَ " تَضَمَّنَتْ جَوَاز الْعَمَل الْيَسِير فِي الصَّلَاة وَذَلِكَ أَنَّ هَذَا خَرَجَ مَخْرَج الْمَدْح ، وَأَقَلُّ مَا فِي بَاب الْمَـدْح أَنْ يَكُون مُبَاحًا؛ وَقَدْ رُوِي أَنَّ عَلِيّ بْن أَبِي طَالِب رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَعْطَى السَّائِل شَـيْئًا وَهُوَ فِي الصَّلَاة .

* كما روى الثعلبى فى تفسيره : أخبرنا أبو الحسن محمد بن القاسم الفقيه قال حدثنا عبد الله بن أحمد الشعرانى قال أخبرنا أبو على أحمد بن على بن رزين قال : حدثنا المظفر بن الحسن الأنصارى قال : حدثنا السرى بن على الوراق قـال : حدثنا يحيى بن عبد الحميد الجمانى عن قيس بن الربيع عن الأعمش ، عن عباية بن الربعى قال : حدثنا عبد الله بن عباس رضى الله عنه وهو جالس بشفير زمزم يقول قال رسول الله إذ أقبل رجل معتم بعمامة فجعل ابن عبـاس لا يقـول قـال رسول الله إلا وقال الرجل قال رسول الله . فقال له ابن عباس سألتك بالله من أنت؟ قال : فكشف العمامة عن وجهه وقال يا أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا جندب بن جنادة أبو ذر الغفارى سمعت رسول الله بهاتين وإلا فصمتا ورأيته بهاتين وإلا فعميتا يقول : على قائد البررة وقاتل الكفرة ، منصـور مـن نصره ، مخذول من خذله . أما إنى صليت مع رسول الله يومًا من الأيام صـلاة الظهر فسأل سائل فى المسجد فلم يعطه أحد فرفع السائل يده إلى السماء وقـال : اللهم اشهد أنى سألت فى مسجد رسول الله فلم يعطنى أحد شيئاً ، وكان على راكعًا فأومأ إليه بخنصره اليمنى ، وكان يتختم فيها فأقبل السائل حتى أخذ الخـاتم مـن خنصره وذلك بعين النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما فرغ من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم إن موسى سألك فقال : رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى واجعل لى وزيرًا من أهلى هـارون

أخي ، اشدد به أزرى ، وأشركه فى أمرى . فأنزلت عليه قرآناً ناطقــاً : سنشــد عضدك بأخيك ، ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا . اللهم وأنا محمــد نبيك وصفيك ، اللهم واشرح لى صدرى ويسر لى أمرى ، واجعل لى وزيرًا مــن أهلى عليًا اشدد به ظهرى . قال أبو ذر : فما استتم رسول الله (صلى الله عليــه وآله وسلم) الكلمة حتى نزل عليه جبرائيل من عند الله تعالى فقال : يا محمد اقرأ قال : وما أقرأ قال : قال : اقرأ : إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون.

* وعن الجمع بين الصحاح الستة ، لزرين من الجزء الثالث فى تفسير سورة المائدة : قوله تعالى : " إنما وليكم الله ورسوله " : من صحيح النسائى عــن ابــن سلام : قال أتيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلنا : إن قومنا حادونــا لما صدقنا الله ورسوله ، وأقسموا ألا يكلمونا فأنزل الله تعالى : " إنما ولــيكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون " الآية . ثم أذن بلال لصلاة الظهر فقام الناس يصلون فمن بين ساجد وراكع وسائل إذ ســائل يسأل ، وأعطى على خاتمه وهو راكع فأخبر السائل رسول الله (صلى الله عليــه وآله وسلم) فقرأ علينا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : " إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ـــ الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومــن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون " .

* وعن مناقب ابن المغازلى الشافعى فى تفسير قوله تعالى : " إنما وليكم الله ورسوله " الآية : قال : أخبرنا محمد بن أحمد بن عثمان قال : أخبرنا أبــو بكــر أحمد بن إبراهيم بن شاذان البزاز قال : حدثنا الحسن بن على العدوى قال : حدثنا سلمة بن شبيب قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا مجاهد عن ابن عباس : فى قوله تعالى " إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكــاة وهم راكعون " قال : نزلت فى على .

* وعنه قال : أخبرنا أحمد بن محمد بن طاوان قال : أخبرنا أبو أحمد عمر بن عبد الله بن شونب قال : حدثنا محمد بن العسكرى الدقاق قال : حدثنا محمد بن عثمان بن أبى شيبة قال : حدثنا عبادة قال : حدثنا عمر بن ثابت عن محمد بن السائب عن أبى صالح ، عن ابن عباس قال : كان على راكعًا فجاءه مسكين فأعطاه خاتمه فقال رسول الله : من أعطاك هذا؟ فقال : أعطانى هذا الراكع . فأنزل الله هذه الآية : " إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا .. " إلى آخر الآية .

* وعن الخطيب الخوارزمي في جواب مكاتبة معاوية إلى عمرو بن العاص قال عمرو بن العاص : لقد علمت يا معاوية ما أنزل فى كتابه من الآيات المتلوات فى فضائله التى لا يشركه فيها أحد كقوله تعالى : " يوفون بالنذر، إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله " ، وقد قال الله تعالى : " رجال صدقوا ما عاهدوا الله " ، وقد قال الله تعالى لرسوله : " قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة فى القربى " .

* وعنه بإسناده إلى أبى صالح عن ابن عباس قال : أقبل عبد الله بن سلام ومعه نفر من قومه ممن قد آمن بالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالوا : يا رسول الله إن منازلنا بعيدة ، وليس لنا مجلس ولا متحدث دون هذا المجلس ، وإن قومنا لما رأونا قد آمنا بالله ورسوله وقد صدقناه رفضونا ، وآلوا على أنفسهم ألا يجالسونا ولا يناكحونا ولا يكلمونا ، وقد شق ذلك علينا فقال لهم النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) : " إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون " . ثم إن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) خرج إلى المسجد والناس بين قائم وراكع ، وبصر بسائل ، فقال له النبي : (صلى الله عليه وآله وسلم) هل أعطاك أحد شيئا؟ قال : نعم خاتم . فقال له النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) : من أعطاكه؟ فقال : ذلك القائم . وأومأ بيده إلى على بن أبى طالب ، فقال النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) : على أى حال أعطاك ؟ قال :

أعطانى وهو راكع . فكبر النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قـرأ : " ومـن يتول الله ورسوله فإن حزب الله هم الغالبون " فأنشأ حسان بن ثابت يقول :

أبا حسن تفديك نفسى ومهجتـى — وكل بطيء فى الهدى ومسارع
أيذهب مدحى والمحبين ضـائعا — وما المدح فى ذات الإله بضائع ؟
فأنت الذى أعطيت إذ كنت راكعًا — فدتك نفوس القوم يا خيـر راكـع
بخاتمك الميمون يا خيـر سـيد — ويا خير شار ثم يـا خيـر بـائع
فـأنزل فيـك الله خيـر ولايـة — وبينها فـى محكمـات الشـرائع

وروى الحاكم فى المستدرك

حدثنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن تميم الحنظلى ببغداد وحدثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشى وحدثنا يحيى بن حماد وحدثنى أبو بكر محمد بن بالويـه وأبو بكر أحمد بن جعفر البزار قالا حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنى أبـى حدثنا يحيى بن حماد وحدثنا أبو نصر أحمد بن سهل الفقيه ببخارا وحدثنا صـالح بن محمد الحافظ البغدادى حدثنا خلف بن سالم المخرمى حدثنا يحيى بـن حمـاد حدثنا أبو عوانة عن سليمان الأعمش قال حدثنا حبيب بن أبى ثابت عن أبى الطفيل عن زيد بن أرقم رضى الله تعالى عنه قال : لما رجع رسول الله صلى الله عليـه وسلم من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن ثم قال :

كأنى قد دعيت فأجبت إنى قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله تعالى وعترتى فانظروا كيف تخلفونى فيهما فإنهما لن يتفرقا حتى يردا علـى الحوض . **ثم قال : إن الله عز وجل مولاى وأنا مولى كل مؤمن ثم أخذ بيد على رضى الله تعالى عنه فقال من كنت مولاه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه** . وذكر الحديث بطوله هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجـاه بطوله شاهده حديث سلمة بن كهيل عن أبى الطفيل أيضًا صحيح على شرطهما .

[٤٥٧٧] حدثناه أبو بكر بن إسحاق ودعلج بن أحمد السجزى قالا : أنبأ محمد بن أيوب حدثنا الأزرق بن على حدثنا حسان بن إبراهيم الكرمانى حدثنا محمد بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن أبى الطفيل عن بن واثلة أنه سمع زيد بن أرقم رضى الله تعالى عنه يقول : نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة عند شجرات خمس دوحات عظام فكنس الناس ما تحت الشجرات ثم راح رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية فصلى ثم قام خطيبًا فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ فقال ما شاء الله أن يقول ثم **قال : أيها الناس إنى تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن اتبعتموهما وهما كتاب الله وأهل بيتى عترتى . ثم قال :أتعلمون أنى أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ ثلاث مرات . قالوا : نعم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كنت مولاه . فعلى مولاه** وحديث بريدة الأسلمى صحيح على شرط الشيخين .

[٤٥٧٨] حدثنا محمد بن صالح بن هانئ حدثنا أحمد بن نصر أخبرنا محمد بن على الشيبانى بالكوفة حدثنا أحمد بن حازم الغفارى وأنبأ محمد بن عبد الله العمرى حدثنا محمد بن إسحاق حدثنا محمد بن يحيى وأحمد بن يوسف قالوا حدثنا أبو نعيم حدثنا بن أبى غنية عن الحكم عن سعيد بن جبير عن بن عباس عن بريدة الأسلمى رضى الله تعالى عنه قال : غزوت مع على إلى اليمن فرأيت منه جفوة فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت عليًا فتنقصته فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتغير ، فقال : **يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قلت : بلى يا رسول الله . فقال : من كنت مولاه . فعلى مولاه** وذكر الحديث هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

الولاية عند الشيعة هى المتابعة النظرية والعملية لأولياء الله الصالحين . من لدن آدم عليه السلام إلى أئمة أهل بيت محمد ، وهى ليست اختراعًا بل هى نهج تربوى رسالى لا يقوم على الاقتباس النظرى ، كما يفعل أولئك الذين يزعمون أنهم أهل سنة النبى ، ممن يأخذون ببعض ما نسب إلى النبى من أقوال (ليس كلها)

بعضها صحيح وبعضها لا يمت إلى الصحة بسبب أو نسب ثـم يطبقونهـا وفقـاً لأهوائهم .

الدين دون ولاية يصبح مجرد قراطيس أى نصوصًا مكتوبة فى أوراق ، يمكـن لوعاظ السلاطين والوعاظ المتنسكين أن يظهروا منها ما يوافق أهواءهم وأن يكتمـوا منها ما لا يرضى أربابهم ، الذين يُعبَدون من دون الله من المفسدين فى الأرض ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ الأنعام : ٩١.

لقد أصبح الدين بالفعل مجرد قراطيس (تبدونها وتخفون كثيرًا) منذ أن نحيت ولاية أهل البيت وحجبت عن أعين الناس فكان أن أخفـى (المحـدثون) الكثيـر والكثير من الوصايا الإلهية والنبوية ، التى تحض على لزوم طاعة أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، وكان أن تابعهم خطباء المنابر الجهلة الذين لا يرجعون إلى أصول دينهم ، وإنما يتلقفون معارفهم الأفواه من دون فحص ولا تدقيق ولا تمييز .

الإمامة فى قريش؟!

روى البخارى ومسلم : (الناس تبع لقريش فى هذا الشأن مسلمهم لمسـلمهم وكافرهم تبع لكافرهم) ، (الناس تبع لقريش فى الخير والشر) ، (لا يزال هـذا الأمر فى قريش ما بقى من الناس اثنان)

وروى البخارى عن معاوية بن أبى سفيان ، عندما بلغه أن عبد الله بن عمرو يحدث أنه سيكون ملك من قحطان فقال : (بلغنى أن رجالا منكم يحدثون أحاديث ليست فى كتاب الله ولا تؤثر عن رسول الله فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم يقول : إن هذا الأمر فى قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين)

الأئمة اثنا عشر كلهم من قريش .. روى البخارى ومسلم : (إن هذا الأمر لا ينقضى حتى يمضى فيهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش) ، (لا يزال الإسلام عزيزا إلى اثنى عشر خليفة كلهم من قريش)

هلاك الأمة على يدى أئمة قرشيين ...

روى البخارى فى باب الفتن عن عمرو بن سعيد قال (أخبرنى جدى قال كنت جالسًا مع أبى هريرة فى مسجد النبى صلى الله عليه وآله بالمدينة ومعنا مروان بن الحكم ، قال أبو هريرة : سمعت الصادق المصدوق يقول هلاك أمتى على يد غلمة من قريش . فقال مروان : لعنة الله عليهم من غلمة . فقال أبو هريرة : لو شئت أن أقول بنى فلان وبنى فلان لفعلت فكنت أخرج مع جدى إلى بنى مروان حين ملكوا الشام فإذا رآهم غلماناً أحداثا قال لنا : عسى هؤلاء أن يكونوا منهم . قلنا أنت أعلم)

هذه الروايات وردت فى أهم كتب الحديث المعتمدة لدى أهل السنة بعد كتاب الله ويستفاد منها عدة معان :

أ- إن الإمامة محصورة فى قريش ..... إمامة الأبرار للأبرار وإمامة الفجار للفجار.

ب- إن الأئمة الأبرار عددهم اثنا عشر قرشيًا .

ت- إن إمامة الحق ليست مشاعًا فى قريش بل هى محصورة فى الصالحين منهم ، فى هذا الحى من بنى هاشم ، ومحرمة على الظالمين منهم لأنه لا يعقل أن تعطى الإمامة لمن يهلكون الأمة ، والرواية الثالثة تحذر منهم .

إن هذه الروايات تحتاج إلى دراسة هادئة واعية فليس من المعقول أن تكـون معرفة هؤلاء الأئمة متروكة للتجربة واحتمال الصواب والخطأ ، مع مـا يترتـب على ترك هذا الأمر غامضاً من آثار مدمرة وضارة لمجموع المسلمين ، فلو كان الناس على يقين من ضلال بعضهم لوجب إبعادهم عن تولى أى منصب قيادى فى هذه الأمة ، فما بالك بالإمامة العظمى التى هى عمود الدين والدنيا .

الأمر الآخر المريب هو صمت أبى هريرة عن تسمية أئمة الضـلال ، فيقـول السندى شارح البخارى تعليقاً على هذه العبارة (كان يعرف أسماءهم ، وكان ذلك مـن الجراب الذى لم يبثه) ومعلوم أن القوم يعتبرون أبا هريرة هو كـاتم أسـرار الأمـة الإسلامية وهم يزعمون (أنه حفظ عن رسول الله صلى الله عليه وآله جرابين من علم بث أحدهما وكتم الآخر وقال : لو بحت به لقطع هذا البلعوم .) وهذا اعتراف صريح بأن الرجل قد كتم الكثير مما لديه من معلومات حفاظاً على بلعومـه الثمـين ، الـذى استخدمه خير استخدام على موائد بنى أمية ، حتى لقب بشيخ المضيرة ، فضلا عـن اعترافه بأن المصلحة كانت هى الدافع لكتمانه وهذه المصلحة معروفة على أية حـال إنها مصلحة بنى أمية الذين استخدموه وأعطوه من وظائفهم ومن أموال المسلمين مـا جعله يرى أن مصلحة الدين هى مصلحته الذاتية البلعومية ، هى أيضًا مصلحة الناس جميعًا .

ومن أراد أن يستزيد فليقرأ ما كتبه الشـيخ الراحل محمود أبو رية فى كتابيه (أضواء على السنة المحمدية) و(أبو هريرة شيخ المضيرة)

والغريب أن المقريزى روى عن أبى هريرة فى كتاب (التنازع والتخاصم) تسمية بنى الحكم فى حديث مروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله (رأيت فى النوم بنى العاص ينزون على منبرى كما تنزو القردة فما رؤى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مستجمعًا ضاحكاً حتى توفي) ، كما روى المقريـزى الروايـة

نفسها عن سعيد بن المسيب "رأى النبى صلى الله عليه وسلم بنى أمية على منبره فساءه ذلك فأوحى إليه إنما هى دنيا أعطوها فقرت عينه هى تفسير قوله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ ﴾ الإسراء : ٦٠ ، أى بنى أمية .

وقد روى أيضًا أن رجلا قام إلى الحسن بن على بعد صلحه مع معاوية بن أبى سفيان فقال : يا مسود وجه المؤمنين . فقال : لا تؤنبنى رحمك الله فإن رسول الله قد رأى بنى أمية يخطبون على منبره رجلاً رجلا فساءه ذلك فنزلت ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ ﴾ الكوثر : ١ ، ونزلت ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ ﴾ القدر : ١ - ٣ . وهذه المدة الواردة فى السورة الكريمة هى مدة ملك بنى أمية (ألف شهر لا تزيد ولا تنقص) كما روى أيضًا عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى : أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : (إذا بلغ بنو العاص أربعين رجلا اتخذوا مال الله دولا وعباده خولا ودين الله دخلا)

وعلى الرغم من كل تلك الروايات التحذيرية فقد نجح بنو أمية فى الاستيلاء على السلطة بعد ثلاثين عامًا من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وضربوا بكل تلك التحذيرات عرض الحائط .

وفى الوقت الذى يجهد فيه بعض الكتاب والرواة فى تلميع صورة بنى أمية على الرغم من كل ذلك فإننا نلاحظ إغفالا متعمدًا لسيرة أهل البيت ، وهنا نود أن نتوقف أمام حدثين مهمين من أحداث التاريخ الإسلامى المهمة وهما :

الأول ...صلح الإمام الحسن بن على مع معاوية بن أبى سفيان .

الثاني .. . حادثة استشهاد الإمام الحسين بن على عليهما السلام على يد جنود يزيد بن معاوية فى كربلاء سنة ٦١- هجرية .

أولا :

صلح الإمام الحسن بن على عليه السلام مع معاوية بن أبى سفيان

روى ابن أبى الحديد فى كتابه (شرح نهج البلاغة) عن أبى الفرج الأصفهانى ، أن سفيان بن أبى ليلى قال : " أتيت الحسن بن على حين بايع معاوية بن أبى سفيان فوجدته بفناء داره ، وعنده رهط ، فقلت : السلام عليك يا مذل المؤمنين . قال : السلام عليك يا سفيان . انزل فنزلت ، فعقلت راحلتى ثم أتيته فجلست إليه ، فقال ، كيف قلت : يا سفيان ؟ قلت : السلام عليك يا مذل المؤمنين . فقال : ما جر هذا منك إلينا؟ فقلت : أنت والله بأبى أنت وأمى أذللت رقابنا حين أعطيت هذا الطاغية البيعة وسلمت الأمر إلى اللعين ابن اللعين ابن آكلة الأكباد ومعك مائة ألف كلهم يموت دونك ، وقد جمع الله عليك أمر الناس.

فقال : يا سفيان ، إنا أهل بيت إذا علمنا الحق تمسكنا به ، وإنى سمعت عليًا يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : لا تذهب الأيام والليالى حتى يلى أمر هذه الأمة رجل واسع السرم ضخم البلعوم يأكل ولا يشبع لا ينظر الله إليه ولا يموت حتى لا يكون له فى السماء عاذر ولا فى الأرض ناصر ، وإنه لمعاوية ، وإنى عرفت أن الله بالغ أمره . ثم قال لى : ما جاءنا بك يا سفيان؟ قلت : حبكم ، والذى بعث محمدًا بالهدى ودين الحق . قال : فأبشر يا سفيان فإنى سمعت عليا يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يرد على الحوض أهل بيتى ومن أحبهم من أمتى كهاتين يعنى السبابتين ولو شئت لقلت يعنى السبابة والوسطى إحداهما تفضل على الأخرى ، أبشر يا سفيان فإن الدنيا تسع البر والفاجر حتى يبعث الله إمام الحق من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

هذه هى رؤية الإمام الحسن سلام الله عليه لتطور الأوضاع فى الأمة الإسلامية وأنه سلام الله عليه لم يسلم الخلافة لمعاوية بن أبى سفيان لأنه يعتبره قيادة شرعية للأمة واجبة السمع والطاعة ، بل فعل هذا فى مواجهة ضرورة

قاهرة ، أملتها ضغوطات الواقع وتخاذل المتخاذلين ، كما أملتها معرفته بما ستئول إليه الأمور : وأن قراره بوقف القتال لم يتحول إلى إقرار بشرعية الغصب والعدوان ، وهاهو يرد على ابن آكلة الأكباد حين خطب خطبته الفاجرة التى افتتح بها دولته قائلا : (إنى والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتزكوا ولا لتحجوا إنكم لتفعلون ذلك وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم وقد أعطانى الله ذلك وأنتم كارهون)

فيرد عليه الإمام الحسن عليه السلام (إن الخليفة من سار بكتاب الله وسنة نبيه وليس الخليفة من سار بالجور ، ذاك رجل ملك ملكاً تمتع به قليلا ثم يتنخمه ، تنقطع الذمة وتبقى تبعته ، وإن أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين)

لقد كانت الأمة فى حاجة إلى هذا الخطاب الواعى من إمام الحق الذى يشخص الواقع ، لا أن يصبح جزءًا منه ومن أدواته كما فعل وعاظ السلاطين ، وهذه هى مهمة العلماء فإذا قام الأئمة والعلماء من بعدهم بدورهم بقيت التبعة على الذين خذلوا الحق وأيدوا الباطل .

والسؤال هو : لماذا أغفل الشيخ البخارى هذه الحقائق وهذا التاريخ ، وحرص على أن يتحفنا بمرويات عروة بن الزبير عن نزول الوحى واللجوء المزعوم ، من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الراهب النصرانى ورقة بن نوفل ، ومحاولاته المتكررة للانتحار ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا ، ناهيك عن مرويات ابن عمر فى وجوب السمع والطاعة لأئمة الجور ؟!

هل كان هؤلاء أعظم شأنًا وأكثر صدقًا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا ؟

لماذا لم يرو هؤلاء القوم شروط الصلح الذى أبرمه الإمام الحسن بن على مع معاوية وهى شروط تنبه المسلمين إلى أنه مهما كانت ضغوط الواقع وجبروت الفراعنة فإنه لا يجوز إسباغ الشرعية أبدًا على حكومات الجور والعدوان.

ونقرأ هذه الشروط كما رواها الشيخ الصدوق رحمة الله عليه قال (بايع الحسن بن على صلوات الله عليه معاوية على أن لا يسميه أمير المؤمنين) ولا يقيم عنده شهادة ، وعلى ألا يتعقب على شيعةٍ على شيئاً ، وعلى أن يفرق فى أولاد من قتل مع أبيه يوم الجمل ويوم صفين ألف ألف درهم .) . أى إنه مجرد وضع للقتال وليس تسليمًا للرقاب من غير قيد ولا شرط ، إنه رجل تملك ملكاً تمتع به قليلا ثم (يتنخمه) جملة تنقطع الذمة وتبقى التبعة.

لم يحدثنا التاريخ بأن الحسن بن على عليه السلام قد سعى فى تثبيت ملك بنى أمية وتوعد من خالفهم بالويل والثبور وعظائم الأمور وكيف يعقل أن ينتقل الحال بإمام عظيم هو الحسن بن على عليه السلام من قيادة المواجهة ضد المد الأموى ليصبح ذيلا تابعًا فى نظام يتخذ من السلطة هدفاً لا وسيلة لإقامة العدل ؟ ولذا فنحن نعتقد أن تلك الروايات التى امتلأت بها كتب القوم تحض على السمع والطاعة لأئمة الجور ، ما لم يروا ما يسمونه كفرًا بواحاً ليس لهم من الله فيه سلطان ، ليست سوى خلط للأوراق ومزج للحق بالباطل ، والله يشهد أن هؤلاء لكاذبون ومزيفون .

ثانيا

استشهاد الإمام الحسين عليه السلام

واقعة أخرى بالغة الأهمية فى التاريخ الإسلامى تجاهلها الشيخ البخارى وهو يؤسس لما أصبح يعرف فيما بعد بالفقه السياسى لأهل السنة والجماعة ، ولا أدرى فى أى موقع أو فى أية فرقة جرى تصنيف سيد شباب أهل الجنة وخامس أهل

الكساء ؟ فإن قالوا كان يدين بالسمع والطاعة لبنى أمية والجبابرة من بعدهم كذبوا وافتضح كذبهم فى التو واللحظة وهو كذب لا ينهض على ساقين ولا حتى على ساق واحدة.

وإن أقروا بالفعل أنه سيد شباب أهل الجنة وخامس أصحاب الكساء ، فلماذا لم يشرحوا لنا ما حدث له ومدى انطباق ما طرحه سلام الله عليه مع الكتاب والسنة والصراط المستقيم الذى هو فى اعتقادنا منهج أهل البيت؟!

أين فقه هذه الحادثة فى صحيح الشيخ البخارى الذى يطلقون عليه أصح الكتب بعد كتاب الله ، وهل كتم (فضيلته) هو الآخر خوفاً على بلعومه المقدس ؟

لقد خرج الحسين بن على عليه السلام طلباً لإصلاح أحوال الأمة الإسلامية التى تكالب عليها المفسدون ، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر ، وهو الأمر الذى انتهى باستشهاده وجميع من حضر من أهل بيته فى كربلاء ، فى العاشر من محرم الحرام عام ٦١ للهجرة كما هو معروف فى كتب التاريخ .

خرج الإمام الحسين بن على بن أبى طالب مدافعًا عن قيم الإسلام الحقيقى ، الذى حاول تيار الحقد الأموى أن يجرفه فى طريقه ، فقد عمل الأمويون ما فى وسعهم لسلب الأمة حقها فى اختيار من يقودها ، لتتحول الخلافة ملكاً وراثيًا وأرادوا أن يسلبوا الأمة عزها وكرامتها وشرفها إلى الأبد ، ليقودها سكير ينادم القرود ويعطل السنن ويعمل بالجور .

لقد تصدى الإمام الحسين عليه السلام لهذا العبء الثقيل قائلا : (**مثلى لا يبايع مثله**) ، وهى كلمات ترسخ مبدأ عظيماً من الناحية الشرعية والدستورية وهو أنه لا

ينبغى ولا يجوز أن يحكم الأمة مثل هؤلاء الفساق ، ووالله إن الدول غير المسلمة مهما تسامحت مع الأفراد العاديين فى سلوكهم وصولا لدرجة الإباحية فإنها لا تتسامح مع قادتها فى سلوكياتهم ونحن أولى بالحق منهم .

(نحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدعين ما ليس لهم والسائرين فيكم بالجور والعدوان) وهذه قاعدة أخرى مكملة لما سبقها ومفادها أنه لا يجوز أن يستمر فى حكم الأمة من عرف بالجور والعدوان.

ثم هو يسند هذه المرة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله **(أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال من رأى منكم سلطاناً جائرًا مستحلا لحرام الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله يعمل فى عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله وأنا أحق من غير)**

أين هذه الروايات عند البخارى ومسلم اللذين تجاهلا هذه الحادثة العظمى تجاهلا تاما كأن شيئاً لم يكن !! ألم يكن هناك شاهد واحد صادق يرى هذه الواقعة ولو كان من بنى أمية التى امتلأت كتبهم بالرواية لهم ولأشياعهم ؟

أليست هذه الحادثة والأحكام الفقهية الثورية المستخلصة منها أحق من فقه الخنوع الذى خصوه بالذكر .

كما روى ابن جرير الطبرى أن الإمام الحسين بن على عليه السلام خطب فقال : **(إنه قد نزل من الأمر ما ترون ، وإن الدنيا قد تغيرت وأدبر معروفها ولم يبق منها إلا صبابة الإناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل ، ألا ترون أن الحق لا**

يعمل به ، وأن الباطل لا يتناهى عنه ، ليرغب مؤمن فى لقاء ربه محقاً فـإنى لا أرى الموت إلا سعادة ولا الحياة مع الظالمين إلا برمًا)

أليست هذه الأقوال والأعمال والمواقف دروسًا فى الدين والسياسة والأخلاق ، كان الأولى بمصنفى الأحاديث أن يعتنوا بتقديمها للناس بدلا من ركنها على الرف كأنهم لا يعلمون.

يروى البخارى ويكثر الرواية عن ابن عمر وأبى هريرة ، ولا يروى شيئا عن آل بيت النبوة أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيـرًا ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحزاب/٣٣.

وإنه لحرى بالمسلم الواعى أن يكون دقيقاً فى قراءته لأحداث التـاريخ تلـك القراءة التى هى دون أدنى شك المقدمة الصحيحة لقراءة الواقع قراءة صـحيحة ، وتشخيص مشاكل المسلمين بشكل صائب ، ولا شك أن أغلب الحركات الإسلامية المعاصرة قد تعرضت لما تعرضت له من انتكاسات ، بسبب تلك القراءة المشوشة لأحداث التاريخ الإسلامى ، والسبب يرجع إلى أنها تلقت بالتسليم ذلك (التـراث) الذى افترض هؤلاء المصلحون أن سبب ضياع الأمة كان بسبب إعراضها عنه ، والحقيقة هى العكس تمامًا فقد تعرضت الأمة لما تعرضت له من انتكاسات بسبب هذا الإرث الأموى الفاسد ، وبسبب وعاظ السلاطين الذين خلطـوا بـين الحـق والباطل ، وقدموا مخلوط الداء بالدواء للأمة ، باعتباره الترياق الشافى من كل داء ، فتجددت الانتكاسات وتفاقمت الأمراض ، وسارت الأمور من سيء إلى أسـوأ ، وأخف من بعض الدواء الداء .

تحتاج الأمة دون أدنى شك أن تراجع فقهها السياسى ، وأن تفرق بـين أئمـة الحق وأئمة الباطل أئمة الهدى وأئمة الضلال .

- أئمة الهدى يجب لهم السمع والطاعة . .

- أئمة الهدى لا يأمرون بمعصية .
- أئمة الهدى لا يكونون عبيدًا لغيرهم ولا لشهواتهم.
- أئمة الهدى لا يأكلون أموال الناس بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون .
- أئمة الهدى لا يقتلون الذين يأمرون بالقسط والعدل من الناس .
- أما أئمة الضلال فهم لا يتورعون عن ارتكاب الجرائم والمنكرات .

هذه الفروق نحن الآن فى أمس الحاجة اليوم لتمييزها وتبين معالمها ، وإذا كان استعراض النصوص السابقة قد كشف لنا عن حالة التخبط التى عانى منها بعض كتاب التاريخ وأصحاب الفكر قديمًا وحديثاً فى رؤيتهم لقضية الإمامة والسياسة ، وهو ما كان عليهم تجنبه وعدم الخضوع لأهواء الطغاة ، وتشويه أحداث التاريخ وطمس معالم مدرسة أهل بيت العصمة والنبوة أئمة الهدى وأعلام الورى .

الإمامة عند أهل السنة

يتوهم كثير من الناس أن الإمامة اختراع شيعى ، وأن الإسلام بريء من هذا (الاختراع) براءة الذئب من دم ابن يعقوب !

الإمامة كما أسلفنا واجبة بالعقل والنقل ، والخلاف بين الشيعة وخصومهم السياسيين لم يكن حول أصل الإمامة بل حول موقعها وشروطها .

الإمامة فى مدرسة أهل البيت وظيفة دينية ، ربانية ، جامعة ، تقود البشرية المؤمنة ، وتأخذ بيدها فى صراط الله المستقيم ، وهى مهمة متواصلة ما بقى الليل والنهار ولا قدرة للبشر على اختيار هذا الإمام ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ القصص : ٦٨ ، أما الإمامة

عند غير الشيعة فلا تعدو كونها سلطة سياسية تحكم باسم الإسلام ولها حق الصواب والخطأ وليس مطلوبًا منها إلا شرط واحد لدوامها واستمرارها وهو البقاء على ظاهر الإسلام .

الإمامة فى مدرسة أهل البيت وكالة ربانية جامعة ، مهمتها المحافظة على استمرار نهج الرسالات السماوية ، ومن ثم فالحكم هو إحدى وظائفها المتعددة ، ولو حيل بين الإمام وبين الحكم ، فلا أحد بوسعه الحيلولة بين الإمام وبين وظيفته فى هداية المؤمنين ، والأخذ بيدهم إلى سبيل الخير والرشاد .

الآن يتحدث القوم عن التعارض بين الإمامة المنصوبة من الله ، ومبدأ الشورى ، وحق المسلمين فى اختيار من يحكمهم ، وأن (المنهج السني) هو الأقدر على تحقيق هذا الهدف المسمى بالشورى والديموقراطية !

هل كان الاعتقاد بإمامة أهل البيت التى لم تتمكن من ممارسة دورها يومًا واحدا طوال هذا التاريخ دون تضييق ومناكفة وقتل واضطهاد ، هى السبب وراء حرمان المسلمين من الحرية والشورى واحترام حقوق الإنسان !

الحديث عن الديمقراطية السنية مقابل (الثيوقراطية الشيعية) هو مزحة سخيفة للغاية حيث يحدثنا التاريخ بأن إقصاء أهل البيت عن موقع القيادة الروحية والأخلاقية للأمة الإسلامية جعل منها صيدًا سهلا لكل صنوف الطغاة والمستبدين ، الذين لا هم لهم إلا مصادرة ثروات الأمة لحسابهم من ناحية ومن ناحية ، أخرى فقد سعى هؤلاء الطواغيت لتقديم إسلام بديل ، أحد أهم سماته إقصاء أهل البيت من موقع القيادة الروحية والفقهية ، وتصوير كل من يدين بالولاء لهم فى صورة زنديق منحرف ، يكذب باسم التقية ويمارس الفاحشة باسم المتعة أو الزواج المؤقت ، والمهم أن القوم لا يأتون على ذكر أهل البيت الذين أذهب الله عنهم

الرجس وطهرهم تطهيرًا ، إلا من باب رفع العتب ، خاصة ، وأن إنكار وجودهم هو ضرب من المحال .

هل خالف الصحابة وصية نبيهم ؟!

السؤال الذى يطرح كثيرًا : إذا كان الرسول قد أوصى بإمامة أهل البيت فلماذا خالف الصحابة أمر نبيهم ولماذا سكت الإمام على بن أبى طالب عن المطالبة بحقه ؟!

أما أن الصحابة خالفوا أمر نبيهم فهى حقيقة لا تستعصى على الشرح والتفسير ، لمن كان مطلعًا على السيرة النبوية المطهرة ، ويكفى أن نعرض على القارئ الكريم واقعتين :

الأولى رزية يوم الخميس التى رواها المؤرخون والمحدثون ومن بينهم البخارى الذى ذكر ما يلى :

(١٦٣٧) عن ابن عباس ، قال : لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (هلم أكتب لكم كتابًا لا تضلون بعده ؟) . فقال عمر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلب عليه الوجع ، وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله . فاختلف أهل البيت ، فاختصموا . فمنهم من يقول : قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابًا لن تضلوا بعده ، ومنهم من يقول ما قال عمر . فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قوموا) . قال عبيد الله : فكان ابن عباس يقول : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب ، من اختلافهم ولغطهم .

وليت القوم قد اكتفوا بمعصية أمر نبيهم بالامتناع عن تلبية أمره وهى إحدى الكبر ، ولكن قائلهم تمادى فاعتبر أن كلام رسول الله صلى الله عليه وآله (الذى لا ينطق عن الهوى) هذياناً وهلوسة مرضية حيث يضيف البخارى إلى مأثرة هؤلاء بعصيانهم لأمر نبيهم ما قاله قائلهم (إن رسول الله يهجر .)

(١٦٣٧) عن ابن عباس ، قال : يوم الخميس ! وما يوم الخميس! ثم جعل تسيل دموعه . حتى رأيت على خديه كأنها نظام اللؤلؤ . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائتونى بالكتف والدواة (أى اللوح والدواة) أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده أبدًا فقالوا : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يهجر .

الواقعة الثانية يرويها البخارى أيضًا:

٦ – باب : قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾ الجمعة : ١١.

١٩٥٣ – عن جابر رضى الله عنه قال : بينما نحن نصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم إذ أقبلت من الشام عير تحمل طعامًا ، فالتفتوا إليها ، حتى ما بقى مع النبى صلى الله عليه وسلم إلا اثنا عشر رجلا ، فنزلت : (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها) .

لا مجال إذاً للزعم بأن سلوك صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله هو المعيار الذى يمكن من خلاله الحكم على وجود النص من عدمه ، ويكفى أن نتأمل فى واقعة (رزية يوم الخميس) لنعرف أن استجابة البعض لأوامر نبيهم صلى الله عليه وآله لم تكن أمرًا ثابتاً ولا مستقرًا وأن الأهواء الشخصية كانت تفعل فعلها فى نفوس البعض ، فتحفزهم على المخالفة والعصيان رغم قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ الأحزاب : ٣٦.

لا مجال إذاً للزعم بأن الصحابة يمثلون مرجعية حاكمة على النص ، وأن ما صححه الصحابة وقبلوا به أصبح ديناً وما لم يقبلوا به ولم يصححوه ، يتعين علينا إسقاطه واعتباره كأن لم يكن!

إن هذه النقطة تحديدًا تأخذنا إلى قضية (تعريف الدين) وهل هو ما قاله الله ورسوله أم أن الصحابة صاروا (شركاء) فى الأمر والنهى والتشريع بحيث صار قبولهم للنص من عدمه هو المعيار الذى يحكم من خلاله على الشرع والدين ؟! .

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ الشورى : ٢١.

السؤال التالي:

إذا كان الأمر كما نزعم وندعى من أن مواقف الصحابة لا تشكل ولا يمكن أن تشكل معيارًا حاكما على النص ، فلماذا سكت أمير المؤمنين على بن أبى طالب ولم يطالب بحقه ؟!

ألا يعد هذا إقرارًا منه بصحة وشرعية خلافة من سبقوه ؟! يتجاهل القوم أن هناك دائما نوعين من الشرعية :

النوع الأول : هو الشرعية الكاملة أى عندما يتوافق الأمر الواقع مع حكم الدين .

والنوع الثانى : هو الشرعية الواقعية ، عندما تكون الآثار الضارة المترتبة على محاولة تصحيح ما فسد من أمور الناس أكبر بكثير من الآثار المترتبة على الصبر والتريث فى محاولة الإصلاح .

التعامل مع الواقع لا يعنى إقرارًا به ولا يعنى التخلى عن الحق ، وهاهو الإمام على فى خطبته الشقشقية يشرح لنا تسلسل الأحداث منذ رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله عن هذه الدنيا ونصبها وأهلها العاشقين لها .

يقول الإمام :

أمَا وَالله لَقَدْ تَقَمَّصَهَا ابن أبى قحافة ، وَإنَّهُ لَيَعْلَمُ أنَّ مَحَلّى مِنهَا مَحَلُّ القُطْبِ مِنَ الرَّحَا ، يَنْحَدِرُ عَنِّى السَّيْلُ ، وَلا يَرْقَى إلى الطَّيْرُ ، فَسَدَلْتُ[١٢] دُونَهَا ثَوْباً ، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً[١٣] ، وَطَفِقْتُ أرْتَئِى بَيْنَ أنْ أصُولَ بِيَد جَذَّاءَ[١٤] ، أوْ أصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ[١٥] عَمْيَاءَ ، يَهْرَمُ فيهَا الكَبيرُ ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ .

فَرَأَيْتُ أنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أحْجَى[١٦] ، فَصَبَرتُ وَفى العَيْنِ قَذىً ، وَفى الحَلْق شَجاً[١٧] ، أرى تُرَاثي[١٨] نَهْباً ، حَتَّى مَضَى الأوَّلُ لِسَبِيلِهِ ، فَأدْلَى بِهَا إلى فلان بَعْدَهُ .

ثم تمثل بقول الأعشى :

شَتَّانَ مَا يَوْمِى عَلَى كُورِهَا ... وَيَوْمُ حَيَّانَ أخِى جَابِرِ

فَيَا عَجَباً!! بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُها فى حَيَاتِهِ إذْ عَقَدَهَا لآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ ـ لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا! فَصَيَّرَهَا فى حَوْزَة خَشْنَاءَ ، يَغْلُظُ كَلْمُهَا[١٩] وَيَخْشُنُ مَسُّهَا ، وَيَكْثُرُ العِثَارُ فِيهَا وَالاعْتَذَارُ مِنْهَا ، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ[٢٠] ، إنْ أشْنَقَ[٢١] لَهَا خَرَمَ ،

[١٢] أى أرخى ثوبه.
[١٣] طوى كشحا أى مال عنها.
[١٤] جذاء أى مقطوعة.
[١٥] الطخية هى الظلمة.
[١٦] أحجى أى ألزم للحجة.
[١٧] الشجا ما يعترض فى الحلق.
[١٨] تراثى أى حقى فى الإمامة
[١٩] الكلم هو الجراح.
[٢٠] الجمل المتمرد
[٢١] يصعب التحكم فيها ومنعها من مصادمة الناس.

وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ ، فَمُنِيَ النَّاسُ ــ لَعَمْــرُ اللهِ ــ بِخَــبْط وَشِيــمَاس ، وَتَلَــوُّن وَاعْتِرَاض . إلى آخر الخطبة رقم ٣ في نهج البلاغة والتي تكشف عــن حقيقــة موقف الإمام على بن أبي طالب عليه السلام ، الذي لم يكن موقف الرضا والإقرار بحالة التخبط العشوائي الذي ضرب مسيرة الأمة الإسلامية في الصميم ، بدلا من مواصلة السير على المحجة الواضحة والصراط المستقيم ، الذي رسمه رسول الله صلى الله عليه وآله ، وبينه لأمة استبدلت الشك باليقين والحيرة بالوضوح .

سقيفة إقصاء الإمام على بن أبى طالب

يزعم القوم أن سقيفة بني ساعدة كانت أول برلمــان منتخــب فــي التــاريخ الإنساني وأن ما جرى فيها من نقاشات مثلت أروع تعبير عن ديمقراطية الإســلام الناشئة .

حسنا !!

إما أن يختار القوم الاستناد إلى حق الأمة في اختيار من يحكمها ، وعندها لا مجال للقول بالإمامة المنصوص عليها من السماء ، أو بعهد من رســول ، الله أو يختاروا مبدأ النص ، وعندها يمكن البحث فيما استدل به القوم من أدلــة وأســانيد على صحة مواقفهم يوم السقيفة !

الرواية التي يرويها المؤرخون عما جرى في السقيفة ليس فيها أدلة ولا أسانيد تشير إلى وجود نص ديني يمنح الخلافة أو الإمامة لزيد أو عمرو ، ودونكم رواية ابن جرير الطبري ، وهي الرواية التي رواها نفسها البخاري:

حدثني على بن مسلم قال : حدثنا عباد بن عباد قال : حدثنا عباد بن راشــد قــال : حدثنا عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال : كنت أقــرئ عبد الرحمن بن عوف القرآن ، قال : فحج عمر وحججنا معه : قال : فإني لفي منــزل بمنى إذ جاءني عبد الرحمن بن عوف : فقال : شهدت أمير المؤمنين اليوم وقــام إليــه

رجل ، فقال : إنى سمعت فلانا يقول : لو قد مات أمير المؤمنين لقد بايعت فلانـــاً قـــال فقال عمر بن الخطاب : إنى لقائم العشية فى الناس **فمحذرهم هـؤلاء الـرهط الـذين يريدون أن يغصبوا الناس أمرهم قال** : قلت يا أمير المؤمنين إن الموسم يجمع رعـــاع الناس وغوغاءهم وإنهم الذين يغلبون على مجلسك وإنى لخائف إن قلت اليوم مقالـــة ألا يعوها ولا يحفظوها ولا يضعوها على مواضعها وأن يطيروا بها كل مطيـــر ، ولكـــن أمهل حتى تقدم المدينة تقدم دار الهجرة والسنة وتخلــص بأصــحاب رســول الله مـــن المهاجرين والأنصار ، فتقول ما قلت متمكناً فيعوا مقالتك ويضعوها على مواضـــعها . فقال : والله لأقومن بها فى أول مقام أقومه بالمدينة ، فلما قدمنا المدينة وجاء يوم الجمعة هجرت للحديث الذى حدثنيه عبد الرحمن ، فوجدت سعيد بن زيد قد ســبقنى بــالتهجير فجلست إلى جنبه عند المنبر ركبتى إلى ركبته ، فلما زالت الشمس لم يلبــث عمــر أن خرج ، فقلت لسعيد وهو مقبل : ليقولن أمير المؤمنين اليوم على هذا المنبر مقالة لم تقل قبله ، فغضب وقال فأى مقالة يقول لم تقل قبله . فلما جلس عمــر علــى المنبــر أذن المؤذنون ، فلما قضى المؤذن أذانه قام عمر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : أمـــا بعـــد فإنى أريد أن أقول مقالة قد قدر أن أقولها من وعاها وعقلها وحفظها فليحدث بها حيـــث تنتهى به راحلته ، ومن لم يعها فإنى لا أحل لأحد أن يكذب علي ، إن الله عــز وجــل بعث محمدًا بالحق وأنزل عليه الكتاب وكان فيما أنزل عليه آية الرجم فرجم رســول الله ورجمنا بعده ، وإنى قد خشيت أن يطول بالناس زمان فيقول قائل والله ما نجد الرجم فى كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، وقد كنا نقول " لا ترغبوا عن آبـــائكم فإنـــه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم " **ثم إنه بلغنى أن قائلا منكم يقول لو قـــد مـــات أميـــر المؤمنين بايعت فلاناً فلا يغرن امرأ أن يقول إن بيعة أبى بكر كانت فلتـــة فقـــد كانـــت كذلك** ، غير أن الله وقى شرها وليس منكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبى بكر ، وإنـــه كان من خبرنا حين توفى الله نبيه أن عليًا والزبير ومن معهما تخلفوا عنـــا فـــى بيـــت فاطمة ، وتخلفت عنا الأنصار بأسرها واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر ، فقلـــت لأبـــى بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار فانطلقنا نؤمهم ، فلقينا رجلان صالحان قد شهدا بدرًا فقالا : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ فقلنا : نريد إخواننـــا هـــؤلاء مـــن الأنصار . **قالا : فارجعوا فاقضوا أمركم بينكم** . فقلنا : والله لنأتينهم . قـــال : فأتينـــاهم

وهم مجتمعون في سقيفة بني ساعدة . قال : وإذا بين أظهرهم رجل مزمل قال قلت : من هذا ؟ قالوا : سعد بن عبادة . فقلت : ما شأنه ؟ قالوا : وجع فقام رجل منهم فحمد الله وقال أما بعد فنحن الأنصار وكتيبة الإسلام وأنتم يا معشر قريش رهط نبينا وقد دفت إلينا من قومكم دافة قال فلما رأيتهم يريدون أن يختزلونا من أصلنا ويغصبونا الأمر ، وقد كنت زورت في نفسي مقالة أقدمها بين يدى أبي بكر ، وقد كنت أدارى منه بعض الحد وكان هو أوقر مني وأحلم فلما أردت أن أتكلم قال على رسلك فكرهت أن أعصيه فقام فحمد الله وأثنى عليه فما ترك شيئاً كنت زورت في نفسي أن أتكلم به لو تكلمت إلا قد جاء به أو بأحسن منه . وقال : أما بعد يا معشر الأنصار فإنكم لا تنكرون منكم فضلا إلا وأنتم له أهل وإن العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش وهم أوسط العرب دارًا ونسبًا ولكن قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم فأخذ بيدى وبيد أبي عبيدة بن الجراح وإني والله ما كرهت من كلامه شيئاً غير هذه الكلمة إن كنت لأقدم فتضرب عنقي فيما لا يقربني إلى إثم أحب إلي من أن أؤمر على قوم فيهم أبو بكر فلما قضى أبو بكر ، كلامه قام منهم رجل فقال : أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش . قال فارتفعت الأصوات وكثر اللغط فلما أشفقت الاختلاف قلت لأبي بكر ابسط يدك أبايعك فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون وبايعه الأنصار **ثم نزونا على سعد حتى قال قائلهم : قتلتم سعدًا بن عبادة ، فقلت : قتل الله سعدا** وإنا والله ما وجدنا أمرا هو أقوى من مبايعة أبي بكر خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة فإما أن نتابعهم على ما نرضى أو نخالفهم فيكون فساد .

أما رواية الأنصار فينقلها الطبرى عن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصارى قال:

أن النبي لما قبض اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة فقالوا نولي هذا الأمر بعد محمد عليه السلام سعد بن عبادة وأخرجوا سعدًا إليهم وهو مريض ، فلما اجتمعوا قال لابنه أو بعض بني عمه إني لا أقدر لشكواى أن أسمع القوم كلهم كلامي ولكن تلق مني قولي فأسمعه للناس فكان يتكلم ويحفظ الرجل قوله فيرفع صوته فيسمع

أصحابه ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : **يا معشر الأنصار لكم سابقة فى الدين وفضيلة فى الإسلام ليست لقبيلة من العرب ، إن محمدًا عليه السلام لبث بضع عشرة سنة فى قومه يدعوهم إلى عبادة الرحمن وخلع الأنداد والأوثان فما آمن به من قومه إلا رجال قليل وكان ما كانوا يقدرون على أن يمنعوا رسول الله ولا أن يعزوا دينه ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيمًا عموا به حتى إذا أراد بكم الفضيلة ساق إليكم الكرامة وخصكم بالنعمة فرزقكم الله الإيمان به وبرسوله والمنع له ولأصحابه والإعزاز له ولدينه والجهاد لأعدائه ، فكنتم أشد الناس على عدوه منكم وأثقله على عدوه من غيركم ، حتى استقامت العرب لأمر الله طوعا وكرها وأعطى البعيد المقادة صاغرًا داخرًا حتى أثخن الله عز وجل لرسوله بكم الأرض ودانت بأسيافكم له العرب وتوفاه الله وهو عنكم راض وبكم قرير عين ، استبدوا بهذا الأمر فإنه لكم دون الناس . فأجابوه بأجمعهم أن قد وفقت فى الرأى وأصبت فى القول ولن نعدو ما رأيت ونوليك هذا الأمر فإنك فينا مقنع ولصالح المؤمنين رضا** ثم إنهم ترادوا الكلام بينهم فقالوا فإن أبت مهاجرة قريش فقالوا نحن المهاجرون وصحابة رسول الله الأولون ونحن عشيرته وأولياؤه فعلام تنازعوننا هذا الأمر ؟ بعده فقال طائفة منهم فإنا نقول إذاً منا أمير ومنكم أمير ولن نرضى بدون هذا الأمر أبدًا فقال سعد بن عبادة حين سمعها هذا أول الوهن وأتى عمر الخبر فأقبل إلى منزل النبى فأرسل إلى أبى بكر أن أخرج إلى بينما على بن أبى طالب عليه السلام دائب فى جهاز رسول الله فأرسل إليه إنى مشتغل فأرسل إليه أنه قد حدث أمر لا بد لك من حضوره فخرج إليه فقال أما علمت أن الأنصار قد اجتمعت فى سقيفة بنى ساعدة يريدون أن يولوا هذا الأمر سعد بن عبادة وأحسنهم مقالة من يقول منا أمير ومن قريش أمير فمضيا مسرعين نحوهم فلقيا أبا عبيدة بن الجراح فتماشوا إليهم ثلاثتهم فلقيهم عاصم بن عدى وعويم بن ساعدة فقالا لهم ارجعوا فإنه لا يكون ما تريدون فقالوا لا نفعل فجاءوا وهم مجتمعون فقال عمر بن الخطاب أتيناهم وقد كنت زورت كلامًا أردت أن أقوم به فيهم فلما أن دفعت إليهم ذهبت لأبتدئ المنطق فقال لى أبو بكر رويدًا حتى أتكلم ثم انطق بعد بما أحببت فنطق فقال عمر فما شيء كنت أردت أن أقوله إلا وقد أتى به أو زاد عليه فقال عبد الله بن عبد الرحمن فبدأ أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله

بعث محمدًا رسولا إلى خلقه وشهيدًا على أمته ليعبدوا الله ويوحدوه وهم يعبدون من دونه آلهة شتى ويزعمون أنها لهم عنده شافعة ولهم نافعة وإنما هى من حجر منحوت وخشب منجور ثم قرأ (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) (وقالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه والإيمان به والمؤاساة له والصبر معه على شدة أذى قومهم لهم وتكذيبهم اياهم وكل الناس لهم مخالف زار عليهم فلم يستوحشوا لقلة عددهم وشنف الناس لهم وإجماع قومهم عليهم فهم أول من عبد الله فى الأرض وآمن بالله وبالرسول وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم ، وأنتم يا معشر الأنصار من لا ينكر فضلهم فى الدين ولا سابقتهم العظيمة فى الإسلام رضيكم الله أنصارًا لدينه ورسوله وجعل إليكم هجرته وفيكم جلة أزواجه وأصحابه فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا أحد بمنزلتكم فنحن الأمراء وأنتم الوزراء لا نقضى دونكم الأمور . فقام الحباب بن المنذر بن الجموح فقال : يا معشر الأنصار املكوا عليكم أمركم فإن الناس فى فيئكم وفى ظلكم ولن يجترئ مجترئ على خلافكم ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم أنتم أهل العز والثروة وأولو العدد والمنعة والتجربة ذوو البأس والنجدة وإنما ينظر الناس إلى ما تصنعون ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم وينتقض عليكم أمركم فإن أبى هؤلاء إلا ما سمعتم فمنا أمير ومنهم أمير . فقال عمر : هيهات لا يجتمع اثنان فى قرن والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم ولكن العرب لا تمنع أن تولى أمرها من كانت النبوة فيهم وولى أمورهم منهم ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين ، من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم ومتورط فى هلكة ؟ فقام **الحباب بن المنذر** فقال : يا معشر الأنصار املكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر فإن أبوا عليكم ما سألتموه فاجلوهم عن هذه البلاد وتولوا عليهم هذه الأمور فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم فإنه بأسيافكم دان لهذا الدين من دان ممن لم يكن يدين أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب أما والله لئن شئتم لنعيدنها جذعة . فقال عمر : إذاً يقتلك الله : قال : بل إياك يقتل . فقال أبو عبيدة : يا معشر الأنصار

إنكم أول من نصر وآزر فلا تكونوا أول من بدل وغير فقام **بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير** فقال يا معشر الأنصار إنا والله لئن كنا أولى فضيلة في جهاد المشركين وسابقة فى هذا الدين ما أردنا به إلا رضا ربنا وطاعة نبينا والكدح لأنفسنا فما ينبغى لنا أن نستطيل على الناس بذلك ولا نبتغى به من الدنيا عرضًا فإن الله ولى المنة علينا بذلك ألا إن محمدًا من قريش وقومه أحق به وأولى وأيم الله لا يرانى الله أنازعهم هذا الأمر أبدًا فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم . فقال أبو بكر : هذا عمر وهذا أبو عبيدة فأيهما شئتم فبايعوا . فقالا : لا والله لا نتولى هذا الأمر عليك فإنك أفضل المهاجرين وثانى اثنين إذ هما فى الغار وخليفة رسول الله على الصلاة والصلاة أفضل دين المسلمين فمن ذا ينبغى له أن يتقدمك أو يتولى هذا الأمر عليك ابسط يدك نبايعك . فلما ذهبا ليبايعاه سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه فناداه الحباب بن المنذر يا بشير بن سعد عقتك عقاق ، ما أحوجك إلى ما صنعت أنفست على ابن عمك الإمارة ؟ ، فقال لا والله ولكنى كرهت أن أنازع قومًا حقاً جعله الله لهم . ولما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد وما تدعو إليه قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة **قال بعضهم لبعض وفيهم أسيد بن حضير وكان أحد النقباء والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيبًا أبدًا فقوموا فبايعوا أبا بكر فقاموا إليه فبايعوه فانكسر على سعد بن عبادة وعلى الخزرج** ما كانوا أجمعوا له من أمرهم ، فأقبل الناس يبايعون أبا بكر وكادوا يطؤون سعد بن عبادة فقال ناس من أصحاب سعد اتقوا سعدًا لا تطؤوه فقال عمر اقتلوه قتله الله!! ثم قام على رأسه فقال لقد هممت أن أطأك حتى تندر عضدك فأخذ سعد بلحية عمر فقال والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفى فيك واضحة فقال أبو بكر مهلا يا عمر الرفق ها هنا أبلغ فأعرض عنه عمر وقال سعد أما والله لو أن بى قوة ما أقوى على النهوض لسمعت منى فى أقطارها وسككها زئيرًا يجحرك وأصحابك أما والله إذا لألحقنك بقوم كنت فيهم تابعًا غير متبوع احملونى من هذا المكان فحملوه فأدخلوه فى داره وترك أيامًا ثم **بعث إليه أن أقبل فبايع فقد بايع الناس وبايع قومك فقال أما والله حتى أرميكم بما فى كنانتى من نبلى وأخضب سنان رمحى وأضربكم بسيفى ما ملكته يدى وأقاتلكم بأهل بيتى ومن أطاعنى من قومى فلا أفعل وأيم الله لو**

أن الجن اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم حتى أعرض على ربى وأعلم ما حسابى . فلما أتى أبو بكر بذلك قال له عمر لا تدعه حتى يبايع فقال له بشير بن سعد إنه قد لج وأبى وليس بمبايعكم حتى يقتل وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته فاتركوه فليس تركه بضاركم إنما هو رجل واحد فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد واستنصحوه لما بدا لهم منه فكان سعد بن عبادة لا يصلى بصلاتهم ولا يجمع معهم ويحج ولا يفيض معهم بإفاضتهم فلم يزل كذلك حتى هلك أبو بكر .

أما رواية الشيعة للواقعة فيوردها ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة : عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : لم أزل لبنى هاشم ، محبًا فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله **خفت أن تتمالأ قريش على إخراج هذا الأمر عنهم ، فأخذنى ما يأخذ الوالهة العجول** ، مع ما فى نفسى من الحزن لوفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فكنت أتردد إلى بنى هاشم وهم عند النبى صلى الله عليه وآله فى الحجرة ، وأتفقد وجوه قريش ، فأنى كذلك إذ فقدت أبا بكر وعمر ، وإذا قائل يقول : القوم فى سقيفة بنى ساعدة ، وإذا قائل آخر يقول : قد بويع أبو بكر ، فلم ألبث وإذا أنا بأبى بكر قد أقبل ومعه عمر وأبو عبيدة وجماعة من أصحاب السقيفة ، وهم محتجزون بالأزر الصنعانية لا يمرون بأحد إلا خبطوه ، وقدموه فمدوا يده فمسحوها على يد أبى بكر يبايعه شاء ذلك أو أبى فأنكرت عقلى وخرجت أشتد حتى انتهيت إلى بنى هاشم والباب مغلق فضربت عليهم الباب ضربًا عنيفاً وقلت : قد بايع الناس لأبى بكر بن أبى قحافة . فقال العباس تربت أيديكم إلى آخر الدهر أما إنى قد أمرتكم فعصيتمونى فمكثت أكابد ما فى نفسي ، **ورأيت فى الليل المقداد وسلمان وأبا ذر وعبادة بن الصامت وأبا الهيثم بن التيهان وحذيفة وعمارًا ، وهم يريدون أن يعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين . وبلغ ذلك أبا بكر وعمر ، فأرسلا إلى أبى عبيدة وإلى المغيرة بن شعبة فسألاهما عن الرأى فقال المغيرة : الرأى أن تلقوا العباس فتجعلوا له ولولده فى هذه الإمرة نصيبًا ، ليقطعوا بذلك ناحية على بن أبى طالب .** فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة والمغيرة ، حتى دخلوا على العباس ، وذلك فى الليلة الثانية من وفاة

رسول الله صلى الله عليه وآله ، فحمد أبو بكر الله وأثنى عليه ، وقال : إن الله ابتعث لكم محمدًا صلى الله عليه وآله نبيًا ، وللمؤمنين وليًا ، فمن الله عليهم بكونه بين ظهرانيهم ، حتى اختار له ما عنده ، فخلى على الناس أمورهم ليختاروا لأنفسهم متفقين غير مختلفين فاختارونى عليهم واليًا ولأمورهم راعيًا فتوليت ذلك وما أخاف بعون الله وتسديده وهناً ولا حيرة ولا جبناً وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ، وما انفك يبلغنى عن طاعن يقول بخلاف قول عامة المسلمين يتخذكم لجأ فتكونون حصنه المنيع ، وخطبه البديع ، فإما دخلتم فيما دخل فيه الناس أو صرفتموهم عما مالوا إليه فقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك فى هذا الأمر نصيبًا ولمن بعدك من عقبك إذ كنت عم رسول الله صلى الله عليه وآله وإن كان المسلمون قد رأوا مكانك من رسول الله صلى الله عليه وآله ومكان أهلك ثم عدلوا بهذا الأمر عنكم وعلى رسلكم بنى هاشم فإن رسول الله صلى الله عليه وآله منا ومنكم . فاعترض كلامه عمر ، وخرج إلى مذهبه فى الخشونة والوعيد وإتيان الأمر من أصعب جهاته فقال : أى والله وأخرى إنا لم نأتكم حاجة إليكم ولكن كرهنا أن يكون الطعن فيما اجتمع عليه المسلمون منكم فيتفاقم الخطب بكم وبهم فانظروا لأنفسكم ولعامتهم ثم سكت . فتكلم العباس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن الله ابتعث محمدًا نبيًا ، كما وصفت ، ووليًا للمؤمنين ، فمن الله به على أمته حتى اختار له ما عنده ، فخلى الناس على أمرهم ليختاروا لأنفسهم ، مصيبين للحق مائلين عن زيغ الهوى ، فإن كنت برسول الله طلبت فحقنا أخذت وإن كنت بالمؤمنين فنحن منهم ما تقدمنا فى أمركم فرطاً ولا حللنا وسطاً ولا نزحنا شحطاً فإن كان هذا الأمر يجب لك بالمؤمنين ، فما وجب ، إذ كنا كارهين وما أبعد قولك إنهم طعنوا من قولك أنهم مالوا إليك ، **وأما ما بذلت لنا ، فإن يكن حقك اعطيتناه فأمسكه عليك وإن يكن حق المؤمنين فليس لك أن تحكم فيه ، وإن يكن حقنا لم نرض لك ببعضه دون بعض** . وما أقول هذا أروم صرفك عما دخلت فيه ولكن للحجة نصيبها من البيان . وأما قولك : إن رسول الله صلى الله عليه وآله منا ومنكم ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله من شجرة نحن أغصانها ، وأنتم

جيرانها وأما قولك : يا عمر إنك تخاف الناس علينا فهذا الذى قدمتموه أول ذلك ، وبالله المستعان .

موقف أبى سفيان

يروى ابن جرير الطبرى : لما اجتمع الناس على بيعة أبى بكر أقبل أبو سفيان وهو يقول : والله إنى لأرى عجاجة لا يطفئها إلا دم ! يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم ؟! أين المستضعفان؟! أين الأذلان ؟! على والعباس وقال أبا حسن ابسط يدك حتى أبايعك فأبى على عليه (رفض) فجعل أبو سفيان يتمثل بشعر المتلمس :

ولن يقيم على خسف يراد به إلا الأذلان عير الحى والوتد
هذا على الخسف معكوس برمته وذا يشج فلا يبكى له أحد

فزجره على وقال إنك والله ما أردت بهذا إلا الفتنة وإنك والله طالما بغيت الإسلام شرًا لا حاجة لنا فى نصيحتك .

كما يذكر ابن أبى الحديد فى شرح كلمة للإمام على بن أبى طالب : واعجبًا أن تكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة .

قال الشريف الرضى رحمه الله تعالى وقد روى له شعر قريب من هذا المعنى وهو :

فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم فكيف بهذا والمشيرون غيب !
وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرك أولى بالنبى وأقرب

قال الشارح : إن أبا بكر لما قال لعمر : امدد يدك ، قال لــه عمــر : أنــت صاحب رسول الله فى المواطن كلها ، شدتها ورخائها ، فامدد أنت يــدك ، فقــال على (عليه السلام) : إذا احتججت لاستحقاقه الأمر بصحبته إياه فى المواطن كلها ، فلماذا لم تسلم الأمر إلى من قد شركه فى ذلك ، وزاد عليه " بالقرابــة "! وأمــا النظم فموجه إلى أبى بكر ، لأن أبا بكر حاج الأنصار فى السقيفة فقــال : نحــن عترة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وبيضته التى تفقأت عنه ، فلما بويــع احتج على الناس بالبيعة وأنها صدرت عن أهل الحل والعقد ، فقال على (عليــه السلام) : أما احتجاجك على الأنصار بأنك من بيضة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومن قومه فغيرك أقرب نسبًا منك إليه وأما احتجاجك بالاختيــار ورضــا الجماعة بك فقد كان قوم من جمــلة الصــحابة غائبين لم يحضروا العقد فكيــف يثبت ؟!

متى بايع الإمام على .. أبا بكر

روى البخارى (مع تحفظنا على بعض ما جاء فى الرواية) قــال : حــدثنا يحيى بن بكير : حدثنا الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، عن عــروة ، عــن عائشة : أن فاطمة عليها السلام ، بنت النبى صلى الله عليه وسلم ، أرسلت إلــى أبى بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما أفــاء الله عليــه بالمدينة وفدك ، وما بقى من خمس خيبر ، فقال أبو بكر : إن رسول الله صلى الله عليه وســلم قال : (لا نورث ، ما تركنا صدقة ، إنما يأكل آل محمد فــى هــذا المال) . وإنى والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عــن حالها التى كانت عليها فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منهــا شيئاً ، فوجدت فاطمة على أبى بكر فى ذلك ، فهجرته فلم تكلمه حتــى توفيــت ، وعاشت بعد النبى صلى الله عليه وسلم ستة أشهر ، فلما توفيت دفنها زوجها على ليلا ، ولم يؤذن بها أبا بكر وصــلى عليها ، وكان لعلى من الناس وجــه حيــاة فاطمة ، فلما توفيت استنكر على وجوه الناس فالتمس مصالحة أبى بكر ومبايعته ،

ولم يكن يبايع تلك الأشهر ، فأرسل إلى أبى بكر : أن ائتنا ولا يأتنا أحد معك ، كراهية لمحضر عمر ، فقال عمر : لا والله لا تدخل عليهم وحدك ، فقال أبو بكر وما عسى أن يفعلوا بي ، والله لآتيهم ، فدخل عليهم أبو بكر ، فتشهد علي ، فقال : إنا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله ، ولم ننفس عليك خيرًا ساقه الله إليك ، ولكنك استبددت علينا بالأمر، وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم نصيبًا ، حتى فاضت عينا أبى بكر ، فلما تكلم أبو بكر قال : والذى نفسى بيده ، لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلى أن أصل من قرابتي ، وأما الذى شجر بيني وبينكم من هذه الأموال ، فلم آل فيها عن الخير ، ولم أترك أمرًا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه فيها إلا صنعته . فقال على لأبى بكر : موعدك العشية للبيعة . فلما صلى أبو بكر الظهر رقى على المنبر ، فتشهد ، وذكر شأن على وتخلفه عن البيعة ، وعذره بالذى اعتذر إليه ، ثم استغفر وتشهد علي ، فعظم حق أبى بكر ، وحدث : أنه لم يحمله على الذى صنع نفاسة على أبى بكر ، ولا إنكارًا للذى فضله الله به ، **ولكنا نرى لنا فى هذا الأمر نصيبًا ، فاستبد علينا ، فوجدنا فى أنفسنا** . فسر بذلك المسلمون .

دعوى الإجماع على خلافة أبى بكر !

من أغرب الغرائب وأعجب العجب ما يدعيه القوم من إجماع الأمة على بيعة أبى بكر وأن هذا الإجماع ينفى نفياً قاطعًا وجود وصية من رسول الله لعلى بن أبى طالب وأئمة أهل البيت !

يكفى أن يمتنع الإمام على بن أبى طالب عن إعطاء بيعته لأى بكر ستة أشهر ، لنفى هذا الإجماع ، ويكفى أن تموت الزهراء سيدة نساء العالمين مغاضبة ومقاطعة له لنفى هذا الإجماع وهى من قال لها رسول الله والعهدة على البخارى (فاطمة بضعة منى فمن أغضبها أغضبنى .) أى أن هؤلاء القوم أغضبوا رسول الله صلى الله عليه وآله وكفاهم ذلك ذنبًا وزرا إلى يوم القيامة!

يروى البخارى :

حدثنا عبد العزيز بن عبد الله : حدثنا إبراهيم بن سعد ، عن صالح ، عن ابن شهاب قال : أخبرنى عروة بن الزبير : أن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أخبرته : أن فاطمة عليها السلام ، ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم : سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن يقسم لها ميراثها ، مما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أفاء الله عليه ، فقال أبو بكر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا نورث ما تركنا صدقة) فغضبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فهجرت أبا بكر ، فلم تزل مهاجرته حتى توفيت ، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر ، قالت : وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر وفدك ، وصدقته بالمدينة ، فأبى أبو بكر عليها ذلك وقال : لست تاركاً شيئاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به ، فإنى أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ . فأما صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى على وعباس ، وأما خيبر وفدك فأمسكها عمر وقال : هما صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانتا لحقوقه التى تعروه ونوائبه ، وأمرهما إلى من ولى الأمر ، قال : فهما على ذلك إلى اليوم .

وليس أمامنا إلا التعجب واستنكار ما صنعه الخليفة الأول بسيدة نساء العالمين رغم علمه بأن رضا فاطمة من رضى رسول الله وغضبها من غضبه ، وأن هذه منزلة لا ينالها أحد من البشر إلا بمنزلته من رسول الله ، ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ومن عصا رسول الله فقد خسر خسراناً مبيناً ، كانت له سقيفة أو لم تكن !.

من قتل سعد بن عبادة ؟!

كان لسعد بن عبادة سيد الخزرج ذلك الموقف يوم السقيفة وهو موقف لا نقره عليه ولكنه كان تعبيرًا عن طموح سياسى ، تملك رجلا صاحب سبق فى نصرة الإسلام وهو

موقف لا يختلف عن مواقف غيره ممن حضروا السقيفة وأدلوا بحجج سياسية لدعم ترشيحهم لمنصب الخلافة الرفيع ، لا فارق بينه وبين من تصدروا المشهد السياسى فى الفترة التى سميت بعد ذلك بمرحلة الخلافة الراشدة ، إلا أنه على أية حال لم يحل بين رسول الله صلى الله عليه وآله وكتابة وصيته ، متهما إياه بالهذيان كما فعل عمر بن الخطاب ، كما أنه لم يعلن حرباً ولم يجيش الجيوش ولم يتسبب فى واقعة الجمل ولا صفين ولا النهروان!

كان سعد بن عبادة كما يصفه ابن الأثير فى أسد الغابة سيداً جواداً ، صاحب راية الأنصار فى المشاهد كلها ، وكان وجيهاً فى الأنصار ، ذا رياسة وسيادة ، يعترف قومه له بها ، وكان يحمل إلى النبى صلى الله عليه وسلم كل يوم جفنة مملوءة ثريداً ولحماً تدور معه حيث دار ، ولم يكن فى الأوس ولا فى الخزرج أربعة يطعمون يتوالون فى بيت واحد إلا قيس بن سعد بن عبادة بن دليم ، وله ولأهله فى الجود أخبار حسنة .

وفى سعد بن عبادة ، وسعد بن معاذ جاء الخبر أن قريشاً سمعوا صائحاً ليلاً على أبى قيس :

فإن يسلم السعدان يصبح محمد بمكة لا يخشى خلاف مخالف

فظنت قريش أنه يعنى سعد بن زيد مناة بن تميم ، وسعد هذيم ، من قضاعة ، فسمعوا الليلة الثانية قائلاً :

أيا سعد الأوس كن أنت ناصراً ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف

أجيبا إلى داعى الهدى وتمنيا على الله فى الفردوس منية عارف

وإن ثواب الله للطالب الهدى جنان من الفردوس ذات زخارف

فقالوا : هذا سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة .

ولما كان غزوة الخندق بذل رسول الله صلى الله عليه وسلم لعيينة بن حصن ثلث ثمار المدينة ، لينصرف بمن معه من غطفان ، واستشار سعد بن معاذ وسعد بن عبادة دون سائر الناس ، فقالا : يا رسول الله إن كنت أمرت بشيء فافعله وإن كان غير ذلك فوالله ما نعطيهم إلا السيف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " : (لم أؤمر بشيء ، وإنما هو رأى أعرضه عليكما .) ، قالا : يا رسول الله ، ما طعموا بذلك منا قط ، في الجاهلية ، فكيف اليوم ، وقد هدانا الله بك ! فسر النبى صلى الله عليه وسلم بقولهما . وكانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد سعد بن عبادة يوم الفتح .

إلا أن شيئاً من ذلك لم يشفع لسعد بن عبادة عندما اعترض على ما أبرمه القوم يوم السقيفة فانهالت عليه الشتائم بالنفاق وتهديدات القتل التى انتهت بمقتله على (يد الجن) كما يزعم القوم !

روى ابن سعد فى الطبقات قال :

عن الزبير بن المنذر بن أبى أسيد الساعدى أن أبا بكر بعث إلى سعد بن عبادة أن أقبل فبايع فقد بايع الناس وبايع قومك فقال : لا والله لا أبايع حتى أراميكم بما فى كنانتى وأقاتلكم بمن تبعنى من قومى وعشيرتى . فلما جاء الخبر إلى أبى بكر قال بشير بن سعد يا خليفة رسول الله إنه قد أبى ولج وليس بمبايعكم أو يقتل ولن يقتل حتى يقتل معه ولده وعشيرته ولن يقتلوا حتى تقتل الخزرج ولن تقتل الخزرج حتى تقتل الأوس فلا تحركوه فقد استقام لكم الأمر فإنه ليس بضاركم إنما هو رجل وحده ما ترك فقبل أبو بكر نصيحة بشير فترك سعداً .

فلما ولى عمر لقيه ذات يوم فى طريق المدينة فقال : إيه يا سعد . فقال سعد : إيه يا عمر . فقال عمر : أنت صاحب ما أنت صاحبه فقال سعد نعم أنا ذاك وقد أفضى إليك هذا الأمر كان والله صاحبك أحبَّ إلينا منك وقد والله أصبحت كارها

لجوارك . فقال عمر : إنه من كره جوار جاره تحول عنه . فقال سعد : أما أني غير مستنسيء بذلك وأنا متحول إلى جوار من هو خير منك . قال فلم يلبث إلا قليلا حتى خرج مهاجرًا إلى الشام فى أول خلافة عمر بن الخطاب فمات بحوران من أرض الشام لسنتين ونصف ، فما علم بموته بالمدينة حتى سمع غلمان فى بئر منبه أو بئر سكن وهم يقتحمون نصف النهار فى حر شديد قائلا يقول من البئر : قد قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة ورميناه بسهمين فلم نخط فؤاده . فذعر الغلمان فحفظوا ذلك اليوم فوجدوه اليوم الذى مات فيه سعد فإنما جلس يبول فى نفق فاقتتل فمات من ساعته ووجدوه قد اخضر جلده ، وقيل إن سعد بن عبادة بال قائمًا فلما رجع قال لأصحابه إنى لأجد دبيبًا فمات ، فسمعوا الجن تقول : قد قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة ورميناه بسهمين فلم نخط فؤاده !

ولا أعتقد أن عاقلا يمكن له أن يصدق أن سعد بن عبادة سيد الأنصار الذى قال فيه من قال اقتلوا سعدًا قتله الله والذى طرده عمر بن الخطاب من موطنه فى المدينة طردًا رغم أنه هو من روى عن رسول الله وصيته بالأنصار (وَأوصِيهِ بِالأنْصَارِ خَيْرًا الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ أنْ يُقبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ ، وَيُعْفَى عَنْ مُسِيئِهِمْ) قد قتله الجن كما يزعم المخرفون والكذابون!

لا أدرى أين ذهبت وصية رسول الله بالأنصار ولماذا داس عليها القوم بالأقدام؟!

وعلى كل حال فنحن لا نرى موضعًا للعجب والاستغراب من مثل هذا السلوك الفظ من قوم دفعهم حب السلطة والرغبة العارمة فى إقصاء أهل البيت عن موقعهم لقول إن رسول الله يهجر ، ولحرمان الأمة من إمامة أهل البيت وإغضاب سيدة نساء العالمين وليس بعد مخالفة وصية رسول ذنب يستعظم ولا جرم يستأثم !.

الحقوق لا تسقط بالتقادم !!

يزعم البعض أن مثل هذه الأمور قد تجاوزها الزمن ولا ينبغى إثارتها فى وقت تتعرض فيه الأمة للتهديد الأجنبى !.

إلا أن ما يجرى الآن من تحالف باسم التسنن ضد التشيع ينسف هذا الزعم من أساسه ، كما أن العدوان الأجنبى على مصير الأمة جاء مستثمرًا تلك الحزمة المتناقضة من القيم والأخلاق المتدنية التى أفرزها (مذهب استبعاد) كل ما يمت لأهل البيت بصلة وهو نفسه (مذهب استبعاد) الأمة لمن ورثوا ثقافة قتل المعارضين فى الرأى ثم إلصاق التهمة بمجهول أو بالجن .

استخلاف عمر بن الخطاب

هذه المرة لم يكن هناك حاجة لعقد اجتماع فى ظلة ولا سقيفة بعد أن أسلمت الأمة أمرها لأصحاب السقيفة يتداولونها فيما بينهم وكان أن عقدها أبو بكر لعمر قبل وفاته (فَيَا عَجَباً!! بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُها فِى حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ) واقرأ معى ما رواه ابن جرير الطبرى عن هذه الواقعة.

قال الواقدى حدثنى إبراهيم بن أبى النضر عن محمد بن إبراهيم بن الحارث قال دعا أبو بكر عثمان خالياً فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبى قحافة إلى المسلمين أما بعد ، ثم أغمى عليه فذهب عنه **فكتب عثمان (أما بعد فإنى قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيرًا منه)** ثم أفاق أبو بكر فقال اقرأ على فقرأ عليه فكبر أبو بكر وقال أراك خفت أن يختلف الناس إن افتلتت نفسى فى غشيتى قال نعم قال جزاك الله خيرًا عن الإسلام وأهله وأقرها أبو بكر رضى الله عنه من هذا الموضع ! .

وعن عبد الرحمن بن عوف أنه دخل على أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فى مرضه الذى توفى فيه فرآه مهتمًا فقال له أصبحت والحمد لله بارئاً فقال

أبو بكر: أتراه قال نعم قال إنى وليت أمركم خيركم فى نفسى (يعنى عمـــر بـــن الخطاب) فكلكم ورم أنفه من ذلك يريد أن يكون الأمر له دونه ورأيتم الدنيا قـــد أقبلت ولما تقبل وهى مقبلة حتى تتخذوا ستور الحرير ونضائد الـــديباج وتـــألموا الاضطجاع على الصوف الأذرى كما يألم أحدكم أن ينام على حسك والله لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه فى غير حد خير له من أن يخوض فى غمرة الدنيا وأنتم أول ضال بالناس غدًا فتصدونهم عن الطريق يميناً وشمالا يا هادى الطريق إنما هـــو الفجر أو البجر . فقلت له خفض عليك رحمك الله فإن هذا يهيضك فى أمرك إنمـــا الناس فى أمرك بين رجلين إما رجل رأى ما رأيت فهو معك وإما رجـــل خالفـــك فهو مشير عليك وصاحبك كما تحب ولا نعلمك أردت إلا خيرًا ولم تزل صـــالحًا مصلحًا وأنك لا تأسى على شيء من الدنيا . قال أبو بكر: أجل إنى لا آسى علـــى شيء من الدنيا إلا على ثلاث فعلتهن وددت أنى تركتهن وثلاث تركتهن وددت أنى فعلتهن وثلاث وددت أنى سألت عنهن رسول الله فأما الثلاث اللاتـــى وددت أنـــى تركتهن فوددت: ١- أنى لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا قد غلقوه على الحرب ، ٢- ووددت أنى لم أكن حرقت الفجاءة السلمى وأنى كنت قتلته سريحًا أو خليته نجيحًا ٣- ووددت أنى يوم سقيفة بنى ساعدة كنت قذفت الأمر فى عنق أحد الرجلين يريد عمر وأبا عبيدة فكان أحدهما أميرًا وكنت وزيرًا ..

وأما اللاتى تركتهن ١- فوددت أنى يوم أتيت بالأشعث بن قيس أسيرًا كنـــت ضربت عنقه فإنه لا يرى شرًا إلا أعان عليه ٢- ووددت أنى حين سيرت خالد بن الوليد إلى أهل الردة كنت أقمت بذى القصة فإن ظفر المسلمون ظفروا وإن هزموا كنت بصدد لقاء أو مددًا ٣- ووددت أنى كنت إذ وجهت خالد بن الوليد إلى الشام كنت وجهت عمر بن الخطاب إلى العراق فكنت قد بسطت يدى كلتيهما فى ســـبيل الله ومد يديه ووددت ١- أنى كنت سألت رسول الله لمن هذا الأمر فلا ينازعه أحد ٢- ووددت أنى كنت سألته هل للأنصار فى هذا الأمر نصيب ٣- ووددت أنـــى كنت سألته عن ميراث ابنة الأخ والعمة فإن فى نفسى منهما شيئاً .

إذاً لقد تولى الرجل الخلافة وعاش ومات دون أن يسأل رسول الله (؟!) لمن يكون الأمر من بعده وهل للأنصار فيها نصيب أم أنها خالصة لجماعة السقيفة إلى يوم الدين ، ناهيك عن أنه يؤكد لنا قيامه باقتحام بيت الزهراء سيدة نساء العالمين لإجبار الإمام على بن أبى طالب على البيعة له ، والأهم من هذا أنه لم يسأله عن ميراث ابنة الأخ والعمة ، ومع ذلك فقد كان الصحابى الوحيد الذى (روى) عن رسول الله صلى الله عليه وآله رواية (نحن معاشر الأنبياء لا نورث) وهى الرواية التى صادرت صريح النص القرآنى الذى يورث الأنبياء وأبناء الأنبياء (وورث سليمان داود) وغيرها من النصوص القرآنية المحكمة التى لا يردها هذا النوع من المرويات !

النقاش يتواصل !!

يستكثر القوم علينا أن نناقش مثل هذه القضايا رغم أن الجدل حول الخلافة والإمامة كان وسيبقى متواصلا إلى أن يحسم هذا الجدل بصورة نهائية بظهور المهدى المنتظر ، والدليل على ذلك هو خطبة عمر بن الخطاب التى حذر فيها من تكرار تجربة السقيفة ووصفها بأنها كانت فلتة أو فتنة ، وهاهو حوار آخر أورده الطبرى يثبت أن الجدل بقى متواصلا حتى فى عهد عمر بن الخطاب .

يروى ابن جرير الطبرى فى تاريخه قال :

حدثنى ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن رجل عن عكرمة عن ابن عباس قال : بينما عمر بن الخطاب رضى الله عنه وبعض أصحابه يتذاكرون الشعر فقال بعضهم فلان أشعر وقال بعضهم بل فلان أشعر قال فأقبلت فقال عمر قد جاءكم أعلم الناس بها فقال عمر من شاعر الشعراء يا بن عباس قال فقلت زهير بن أبى سلمى فقال عمر هلم من شعره ما نستدل به على ما ذكرت فقلت امتدح قومًا من بنى عبد الله بن غطفان فقال :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بـأولهم أو مجـدهم قعـدوا
قوم أبوهم سنان حـين تنسـبهم طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
إنس إذا أمنـوا جـن إذا فزعـوا مرزؤون بهـا ليـل إذا حشـدوا
محسدون على ما كان مـن نعـم لا ينزع الله منهم مالـه حسـدوا

فقال عمر أحسن وما أعلم أحدًا أولى بهذا الشعر من هذا الحى من بنى هاشم لفضل رسول الله وقرابتهم منه فقلت وفقت يا أمير المؤمنين ولم تزل موفقاً فقال يا ابن عباس أتدرى ما منع قومكم منهم بعد محمد فكرهت أن أجيبه فقلت إن لم أكن أدرى فأمير المؤمنين يدرينى فقال عمر كرهوا أن يجمعوا لكم النبـوة والخلافـة فتبجحوا على قومكم بجحًا بجحًا فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت فقلت يا أمير المؤمنين إن تأذن لى فى الكلام وتمط عنى الغضب تكلمت فقال تكلم يا ابـن عباس فقلت **أما قولك يا أمير المؤمنين اختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقـت فلو أن قريشًا اختارت لأنفسها حيث اختار الله عز وجل لها لكان الصواب بيـدها غير مردود ولا محسود وأما قولك إنهم كرهوا أن تكون لنا النبوة والخلافة فـإن الله عز وجل وصف قومًا بالكراهية فقال (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فـأحبط أعمالهم)** فقال عمر هيهات والله يا ابن عباس قد كانت تبلغنى عنك أشياء كنـت أكره أن أفرك عنها فتزيل منزلتك منى فقلت وما هى يا أمير المؤمنين فإن كانـت حقاً فما ينبغى أن تزيل منزلتى منك وإن كانت باطلا فمثلى أماط الباطل عن نفسه فقال عمر بلغنى أنك تقول إنما صرفوها عنا حسدًا وظلمًا فقلت أما قولك يا أميـر المؤمنين ظلمًا فقد تبينْ للجاهل والحليم وأما قولك حسدًا فإن إبليس حسد آدم فنحن ولده المحسودون فقال عمر هيهات أبت والله قلوبكم يا بنى هاشم إلا حسدا ما يحول وضغناً وغشاً ما يزول فقلت مهلا يا أمير المؤمنين لا تصف قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا بالحسد والغش فإن قلب رسول الله من قلوب بنـى هاشم فقال عمر إليك عنى يا ابن عباس فقلت أفعل فلما ذهبت لأقوم استحيا منـى فقال يا ابن عباس مكانك فو الله إنى لراع لحقك محب لما سرك فقلـت يـا أميـر المؤمنين إن لى عليك حقاً وعلى كل مسلم فمن حفظه فحظه أصاب ومن أضـاعه فحظه أخطأ ثم قام فمضى .

سنة العرباض بن سارية !!

ذكرنا ما يكفى من المحاورات التى دارت حول قضية الخلافة والإمامة فى أيامها الأولى وكلها يكشف عن حقيقة أن القوم كانوا يتنازعون حول سلطة سياسية يرى كل واحد منهم أنه أحق بها وأهلها !

لم نسمع بين تلك الحوارات من يزعم أن طاعته من طاعة الله ورسوله وقصارى ما احتج به هؤلاء فى المجال الدينى هو خوفهم من تفرق كلمة المسلمين ووقوع الفتنة إلم يبايعوا أبا بكر أو عمر ولم نسمع أحدًا يصف نفسه بالخليفة الراشد أو يزعم أن رسول الله أوصى باتباع سنته والسير على طريقته وهديه !

الطريف أن هذه الحقبة التاريخية قد انتهت بعد أقل من ثلاثين عامًا بعد أن أسست للنزاع السياسى حول السلطة سرعان ما تحول إلى نزاع عسكرى وحروب كان أولها يوم الجمل وما زلنا ننتظر ما ستأتى به الأيام بعد أن قرر القوم أن يخوضوا حربهم (الأخيرة بإذن الله) من أجل القضاء على ما يسمونه بالهلال الشيعى !

من بين ثنايا الروايات المخترعة طلع علينا القوم برواية تفرد بها (العرباض بن سارية) طبعًا مع إضافة (رضى الله عنه) وأصبحت هذه الرواية عنواناً لتلك المرحلة التى سميت لاحقاً بمرحلة (الخلافة الراشدة) !!.

ماذا قال العرباض بن سارية؟!

روى ابن ماجة: عن عبد الرحمن بن عمرو السلمى أنه سمع العرباض بن سارية يقول . وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقلنا يا رسول الله إن هذه لموعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟

قال ! قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيرًا فعليكم بما عرفتم من سنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وعليكم بالطاعة وإن كان عبدًا حبشيًا فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد .

أما الدارمى فيروى (الحديث) نفسه عن عبد الرحمن بن عمرو عن عرباض بن سارية قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر ثم وعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا فقال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدًا حبشيًا فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيرًا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم والمحدثات فإن كل محدثة بدعة فإن كل بدعة ضلالة .

هذه هى الرواية العمدة لما أصبح يعرف لدى القوم (بالخلافة الراشدة) والتى أصبحت من (المعلوم من الدين بالضرورة) والتى هى من وجهة نظرنا لا تعدو كونها سنة العرباض بن سارية الذى تفرد بهذه الرواية رغم أنه يقول أو قيل على لسانه (وعظنا) رسول الله مما يقتضى أن يكون العدد ثلاثة فما فوق ورغم ذلك فقد أصبحت رواية العرباض عنواناً على هذه المرحلة !

المصير

لقد وضع المسلمون مصيرهم على المحك عندما راهن بعضهم ومنذ فجر التاريخ الإسلامى على إقصاء أهل البيت عن قيادة الأمة فقهيًا وعقائديًا وسياسيًا ، وتقديم إسلام بديل يخلو من أى ذكر لأهل البيت وعلمهم ومعارفهم ، اللهم إلا ما تقتضيه الضرورة الملحة إما بغضًا وإنكارًا لفضلهم أو خوفاً من سيوف وسجون الظالمين .

يذكر ابن كثير فى تفسير قوله تعالى (حرمت عليكم أمهاتكم ..) قَالَ الْإِمَام مَالِك عَنْ اِبْن شِهَاب عَنْ قَبِيصَة بْن ذُؤَيْب أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ عُثْمَان بْن عَفَّان عَنْ الْأُخْتَيْنِ فِي مِلْك الْيَمِين هَلْ يُجْمَع بَيْنهمَا فَقَالَ عُثْمَان : أَحَلَّتْهُمَا آيَة وَحَرَّمَتْهُمَا آيَة وَمَا كُنْت لِأَمْنَع ذَلِكَ فَخَرَجَ مِنْ عِنْده **فَلَقِيَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَاب النَّبِي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : لَوْ كَانَ لِي مِنْ الْأَمْر شَيْء ثُمَّ وَجَدْت أَحَدًا فَعَلَ ذَلِكَ لَجَعَلْته نَكَالًا .**

وَقَالَ مَالِك : قَالَ اِبْن شِهَاب أُرَاهُ عَلِي بْن أَبِى طَالِب قَالَ : وَبَلَغَنِي عَنْ الزُّبَيْر بْن الْعَوَّام مِثْل ذَلِكَ قَالَ اِبْن عَبْد الْبَرّ النَّمَرِى رَحِمَهُ اللَّه فِي كِتَاب الِاسْتِذْكَار : **إِنَّمَا كَنَّى قَبِيصَة بْن ذُؤَيْب عَنْ عَلِي بْن أَبِى طَالِب لِصُحْبَتِهِ عَبْد الْمَلِك بْن مَرْوَان وَكَانُوا يَسْتَثْقِلُونَ ذِكْر عَلِي بْن أَبِى طَالِب رَضِي اللَّه عَنْهُ!!!**

نحن لا ندعى إذاً على القوم عكس ما غص به تاريخهم من تمالؤ وتظاهر على حرمان أهل بيت العصمة والنبوة ومن ظلم لأهل البيت ولشيعتهم .

اليوم أصبح الشيعة فى قلب الحدث السياسى بل وأصبح أعداء الشيعة وأهل البيت هم من يثيرون فضول الناس ورغبتهم لمعرفة ذلك السر الغامض الذى حرصت تلك الأجهزة نفسها على طمسه وإخفائه .

كلما ذهبت إلى حوار متلفز يأتى مقدم البرنامج بمن يسأله : هل تخافون من المد الشيعى ؟!

إنه سؤال يثير الشفقة والرثاء على أناس يزعمون أنهم يشكلون ٩٠% من عدد المسلمين ورغم ذلك فهذا حالهم !

قبل أسابيع قليلة كتب عالم الاجتماع المصرى الدكتور سعد الدين إبراهيم مقالا عنوانه (لماذا تتصرف الأغلبية الشيعية كأقلية مذعورة) ؟!

من ناحية أخرى فبين الحين والآخر يأتى من يسألني : كم يبلغ عدد الشيعة فى مصر ؟!

ورغم أننى لا أعرف كم يبلغ عددهم إلا أن تكرار السؤال يكشف عن حالة من الفزع ، كنا نتمنى على إخواننا فى الإسلام أن ينزهوا أنفسهم عن هذا النوع من الأسئلة ، الذى يشير مع الأسئلة السابقة إلى حالة غير منطقية من الفزع مما لا يجوز منه الفزع !

الشيعة مسلمون متحضرون يستقون أحكامهم الفقهية من أئمة أهل البيت ، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا .

فلماذا الفزع ولماذا البحث عن الأرقام والإحصاءات ؟!

لماذا لا يقبل القوم فتاوى الأفاضل من علمائهم من أمثال الشيخ محمود شلتوت ، الذى أباح للمسلم أن يختار مذهبه الفقهى من بين المذاهب المشهورة ومن بينها مذهب أهل البيت ؟!

ما نعتقده ونوقن به أن محاولة القضاء على التشيع لم ولن يكتب لها النجاح والتوفيق ، خاصة فى عصر الفضائيات المفتوحة ، وستبقى حركة التشيع نهرًا متدفقاً بالخير لكل المسلمين ، سواء من الشيعة أم غيرهم وما تحقق من انتصار فى حرب إسرائيل على حزب الله خير شاهد على ما نقول .

لا نؤمن بمنطق المغالبة ولا منطق الإكراه بل نؤمن بمنطق الأخوة والحوار بين أبناء الأمة الإسلامية الواحدة وأبناء الوطن الواحد ، ولا نهتم كثيرًا بلعبة الأرقام والإحصاءات ، كما يفعل الآخرون ، ونتمنى أن تحقق هذه الأمة نهضتها

وتتمسك بوحدتها التى هى ذخيرتها الحقيقية فى مواجهة ما يحاك لها من دسائس ومؤامرات .

وحتى عندما دخل كاتب هذه السطور فى معارك ثقافية ، فنحن لم نفعل هذا من منطلق العداء لفئة من المسلمين بل من منطلق إظهار الحقيقة ، كما هى ، وتأدية الواجب الشرعى والأخلاقى فى تنوير الأمة بما غاب عنها من حقائق طمستها الأنظمة الظالمة .

(إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) الأنبياء ٩٢ .
(وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ) المؤمنون ٥٢ .

خاتمة المطاف

إن نظرة واحدة على الساحة الإسلامية في حالتها الراهنة تكفى للتدليل على صحة ما نقول ، فقد أصبحت ساحة العلم بلا أسوار ، وهى الآن مستباحة لكل ناعق ، فكل من أراد الدخول دخل وسمى نفسه عالمًا واتبعه شراذم من الناس :

وكل يدعى وصلا بليلى ... وليلى لا تمت له بذاك

إن نظرة واحدة على مجموع الأحاديث الواردة فى أهــل البيــت والتــى ذكرناها سابقاً وهى ليست كل ما عندنا فما زال فى جعبتنا الكثير والكثيــر — تكشف بوضوح عن أن القيادة الطبيعية للأمة الإسلامية تتمثل فى أئمــة أهــل البيت ، سفينة النجاة والثقل الأصغر ، الذين من والاهم فقد والى الله ، ومــن عاداهم فقد عادى الله ، الذين إن تمسكنا بهم وبحبهم واتباعهم نجونا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة ، وأن الذين ينكرون هذه الحقيقة لا يملكون تصورا مقابلا يقدمونه للأمة الإسلامية ، إلا ذواتهم التافهة ، وكل ما يقدرون عليه هو إبقــاء الناس فى حالة من الشك أو اللايقين ، فتارة يقولون هذا الحــديث ضــعيف ، وتارة أخرى منكر ، والغريب العجيب هو أن كل تلك الروايات التى ذكرناهــا هى من روايتهم ، وهم ينصحونك بعد ذلك باللاموقف واللافهم ، أو أن تبقــى فى إطارهم الكهنوتى ، أو أن تنضم لجماعتهم التى (فهمــت الإســلام فهمًــا صحيحًا شاملا كاملا) !

وإذا كنتم قد أنكرتم بعض هذه الصفات على أهل البيت الذين رضعوا العلم فى بيوتهم ونزل فيها القرآن فلماذا نصدقكم ؟

الأعجب من هذا كله هو أكذوبة ابن سبأ ، فهل كان ذلــك الشــخص المزعوم هو الذى أنزل قرآناً يتلى فى أهل البيت هل هو الذى لفق آيــة التطهير وحديث الكساء ؟

ألا تستحون ؟!

ملاحق

ملحق١

نص تقرير منظمة (المبادرة الشخصية لحقوق الإنسان المصرية عن اعتقالات الشيعة فى مصر)

الفصل الأول

أحداث رأس غارب : آخر الحلقات

أثناء كتابة هذا التقرير كان كل من **محمد رمضان الدرينى ومحمد (حمام) عمر** معتقلين فى سجن وادى النطرون بموجب قانون الطوارئ دون اتهام أو محاكمة ، وذلك رغم صدور عدة أحكام قضائية بالإفراج عنهما . كلاهما يقول إنه تعرض للتعذيب على أيدى ضباط مباحث أمن الدولة مع آخرين لا يجمع بينهم إلا انتماؤهم للمذهب الشيعي .

القصة التى تعد آخر حلقة فى سلسلة انتهاكات جهاز أمن الدولة لحقوق المحتجزين فى قضايا المسلمين الشيعة فى مصر لم تقتصر على هذين المعتقلين وإنما شملت العديد من المشتبه فى انتمائهم للمذهب الشيعى فى مدينة رأس غارب الساحلية الهادئة ، والتى تتبع محافظة البحر الأحمر وتقع حوالى ٣٠٠ كم جنوبى القاهرة ، حيث وقعت حملات اعتقال متتالية ضد عدد من المسلمين الشيعة من سكان المدينة . بعض هؤلاء أطلق سراحه بعد ساعات أو أيام ، بينما انتهى الأمر بالبعض الآخر بعد جولات الاستجواب والتعذيب فى الغردقة والقاهرة إلى سجن وادى النطرون . وهناك بدأت دائرة الاعتقال الإدارى المتكرر بموجب قانون الطوارئ والذى نجا منه البعض بينما ظل الدرينى وعمر فى انتظار قرارات الإفراج عنهم .

البداية

بدأت أولى الحملات فى ساعة متأخرة من ليل ٨ ديسمبر ٢٠٠٣ عندما قامت قوات مباحث أمن الدولة بمداهمة عدة منازل فى مدينة رأس غارب لأفراد يشتبه فى اعتناقهم المذهب الشيعي . وكان من هذه المنازل منزل **محمد عمر** الذى ألقى القبض عليه وتم ترحيله فوراً لمقر أمن الدولة بالغردقة . تقول زوجته :

دخلوا البيت حوالى الساعه ١:٣٠ الصبح ولما شافوا لوحات وشعارات على الحيطان عن أهل البيت والأئمة سألوا عن مكتبة الحاج ، وبحثوا فى الكتب وطلبوا مننا كرتونة حطوا فيها كل الكتب وشرايط الفيديو اللى عندنا ، وبعدين خدوا الحاج وخرجوا . (٨)

أما **أحمد جمعة** فقد كان فى عمله بإحدى شركات البترول بمنطقة توشكى عندما اقتحمت قوات أمن الدولة منزله بنفس الليلة . ولما لم يجدوه بمنزله هددوا زوجته باحتجازها وأبنائها الخمسة رهائن لإجبار جمعة على تسليم نفسه (٩) . وبعد أسبوع

عاد رجال أمن الدولة من جديد لتفتيش المنزل ومصادرة كتب وأوراق . تقول والدة أحمد جمعة :

أول مرة جم تلات ضباط لابسين ملكي حوالي الساعة ١١ بالليل . وفي المرة التانية جم حوالي أربعتاشر واحد بعربيات وعساكر.وفي المرتين ما قالوش عايزينه ليه . بس فتشو غرفته وورشته وأخدوا كتبه وأوراق الجيش بتاعته . (١٠)

ومثلما كان الحال مع محمد عمر ، لم يظهر رجال أمن الدولة خلال هذه المداهمات أية أذون من النيابة العامة بالتفتيش أو المصادرة أو ضبط المطلوبين .

وعندما نقلت أسرة جمعة إليه تفاصيل ما حدث ، خشي من تهديد مباحث أمن الدولة باحتجاز أسرته كرهائن فعاد إلى رأس غارب وقام بتسليم نفسه في ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٣ . ولم يعد جمعة بعدها إلى منزله قبل مرور أربعة أشهر من الاحتجاز كما سيرد لاحقاً.

وإلى جانب عمر وجمعة ، فقد احتوى تقرير صحفي نشر وقتها على أسماء عدة أفراد آخرين تمت مداهمة منازلهم وهم كاشف الهلباوي (لم يجدوه) ، وعبد الهادي يحيى تمام ، وعلى خليل ، وإسماعيل الحاج . (١١) وقد التقى باحثو المبادرة المصرية بالأخير وروى لهم قصة توقيفه :

أنا لقيت حد جاي لي الشغل من أمن الدولة وأخدني معاه في عربيته ورحنا البيت عندي . أول ما دخلنا سألني عن مكتبتي فضحكت وقلت له أنا ساقط إعدادية يا بيه وما عنديش مكتبة . فمشي وقال لي أروح له تاني يوم الصبح الغردقة . (١٢)

"بتصلي إزاي؟ "

عندما ذهب إسماعيل في اليوم التالي إلى مقر مباحث أمن الدولة بالغردقة :

فضلت قاعد في الاستراحة من الساعة اتنين الضهر لغاية الساعة ستة . لما دخلت للضابط قلت له يا بيه أنا مواليد ١٩٥٢ يعني جيل الثورة وشاركت في حرب أكتوبر . قعد يسألني انت بتصلي إزاي ؟ ومن هو أبو بكر الصديق؟ ومن هو عمر بن الخطاب؟ وأسماء صحابة تانيين . وبعدين سابني أمشي . (١٣)

وكما حدث مع إسماعيل أخلي سبيل جميع من تم توقيفهم أو القبض عليهم باستثناء أحمد جمعة ومحمد عمر اللذين ظلا محتجزين بمعزل عن العالم الخارجي دون أن تعرف أسرهما مكان احتجازهما .

الحملة الثانية من الاعتقالات جاءت بعد سابقتها بأسبوع واحد . وعلمت المبادرة المصرية أنها شملت مداهمة منازل وتوقيف كل من محمد عبد الحافظ وياسر عباس وسراج رشوان.

ووفقا لمعلومات المبادرة المصرية فقد أخلى سبيلهم جميعاً بعد استجوابهم . تقول والدة سراج (وهو ابن أخت إسماعيل الحاج الذى تم توقيفه خلال الحملة الأولـــى) :

أمن الدولة جم البيت وأخدوا سراج بعد أسبوع من يــوم مــا أخــدوا خالــه إسماعيل . قعد شوية وسالوه حبة أسئلة ولما رجع ساب البلد وراح يشــتغل بره . (١٤)

عادل الشاذلي : بلاغ غير كاذب

خلال هذه الفترة كان **عادل الشاذلى** وهو أحد الشيعة المقيمين فـــى رأس غـــارب قـــد اتصل بالمبادرة المصرية وبعض الصحفيين وبالمنظمة العربية لحقوق الإنسان – حيث قال إنه عضو بها – لإبلاغهم بهذه الأحداث . وبينما كان فريق من بـــاحثى المبـــادرة المصرية يستعد لزيارة رأس غارب للتحقيق فى الواقعة والالتقاء بعادل تم اقتحام منزله فى ليل ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٣ والقبض عليه . ومن وقتها لم يفرج عن عادل الشاذلى حتى أواخر يونيو ٢٠٠٤ . وإلى جانب القبض على عادل الشاذلى بسبب معتقداته الدينية ، فإن من المرجح أن يكون من أسباب اعتقاله الجهود التى بذلها فى توثيـــق انتهاكـــات حقوق المسلمين الشيعة من رأس غارب ونقلها إلى الإعلام ومنظمات حقوق الإنسان . خاصة وقد أخبر عادل مندوباً عن المبادرة المصرية فيما بعد أنه تم استجوابه لاحقـــاً بشأن حيازته لمطبوعات وكتب صادرة عن منظمات لحقوق الإنسان وكـــذلك هـــاتف وعنوان المنظمة العربية لحقوق الإنسان بالقـــاهرة . (١٥) وهـــو مـــا يضـــيف إلـــى الانتهاكات العديدة لحقوق عادل مخالفة واضحة لإعلان حماية المدافعين عـــن حقـــوق الإنسان والذى ضمنت فيه الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة أن " لكل شخص الحـــق ، بمفرده أو بالاشتراك مع غيره... فى الاتصال بالمنظمات غير الحكومية " (١٦) . كما تعهدت بحماية " حرية نشر الآراء والمعلومات والمعارف المتعلقـــة بجميـــع حقـــوق الإنسان والحريات الأساسية أو نقلها إلى الآخرين وإشاعتها بينهم " .(١٧)

أما آخر ضحايا حملة الاعتقالات التعسفية تلك فكان كاشف الهلباوى الذى كانت مباحث أمن الدولة قد داهمت منزله فى الحملة الأولى لتكتشف أنه يعمل ويقيم بشكل شبه دائـــم بدولة قطر . وعند عودته فى إجازة من عمله تم إلقاء القبض عليه بمطـــار القـــاهرة الدولى فى ٣ مارس ٢٠٠٤.(١٨) غير أن مباحث أمن الدولة عادت وأطلقت ســـراحه بعد حوالى شهر من الاحتجاز . ولم يستطع باحثو المبادرة المصرية مقابلـــة كاشـــف الهلباوى للاستفسار عن مكان احتجازه طوال هذه الفترة أو طبيعة معاملته وظـــروف احتجازه واستجوابه .

ولكن لماذا بدأت هذه الحملة أصـــلاً؟ ولمـــاذا فـــى مدينـــة رأس غـــارب بالتحديـــد؟

كانت الرواية التى قدمتها صحيفة صوت الأمة فى تقريرها عن بدء الحملة كالتالى :

سبب الخلاف هو قيام على خليل بالصلاة على " شقفة " (١٩) ***يطلقون عليها*** *التربة الحسينية داخل مسجد الإمام السجاد برأس غارب . وعندما رآه شقيقه [محمد] يصلى على هذا النحو دارت بينهما مشادة كلامية تحول بعـــدها إلـــى*

اتهام [محمد] خليل السلفي لشقيقه [علي] بالكفر والخروج عن الملة . ولما استمر علي بالصلاة على طريقته والتي تشبه طريقة الشيعة قام [محمد خليل] بإبلاغ مديرية الأوقاف عنه والتي قامت بندب مسئول لرد الشيخ علي خليل عن طريقته . ولما لم تفلح معه المحاولات وصل الأمر إلى مباحث أمن الدولة . (٢٠)

ولا تختلف المعلومات التي حصلت عليها المبادرة المصرية أثناء إحدى زياراتها الميدانية لرأس غارب كثيراً عن هذه الرواية . حيث التقى باحثو المبادرة المصرية مع محمد خليل الذي ذكر اسمه في الموضوع الصحفي فقال :

أنا في يوم فوجئت بأخويا بيصلي على شقفة . فقلت له ده شرك بالله . ولما لم يتعظ بلغت مدير أوقاف رأس غارب اللي بعد كده أظن أنه بلغ أمن الدولة . (٢١)

ويبدو من هذه القصة أن ضباط مباحث أمن الدولة ربما يكونون قد بدأوا في التحري عن علي بعد أن وصلهم الخلاف بين الشقيقين علي ومحمد خليل . ومن هنا ربما يكونون قد اكتشفوا اعتناق عدد من أهالي المدينة للمذهب الشيعي فخطر لهم القبض على أكبر عدد منهم واتهامهم بتشكيل تنظيم كما يحدث عادة في مثل هذه القضايا . (٢٢)

وفي حال كان هذا هو السبب الحقيقي للقبض على شيعة رأس غارب ، فإن هذا الأمر يثير عدة تساؤلات حول دور مدير الأوقاف- وهو مسئول حكومي- الذي رأى أن من واجبات وظيفته محاولة إثناء أحد المسلمين عن مذهب يعترف به الأزهر الذي تخرج منه مدير الأوقاف نفسه على الأغلب . ولما فشل في هذه المهمة التي لم يوكلها إليه أحد قام بإبلاغ مباحث أمن الدولة ! (٢٣)

من الغردقة إلى القاهرة

عندما قام **أحمد جمعة** بتسليم نفسه لفرع مباحث أمن الدولة بالغردقة خوفاً على أسرته ، تم احتجازه قرابة عشرة أيام قبل ترحيله إلى فرع مباحث أمن الدولة بمدينة نصر في القاهرة . وعلم جمعة في هذه الفترة أن **محمد عمر** والذي كان قد اعتقل قبله قد تم ترحيله إلى القاهرة .

يقول جمعة عن هذه الفترة :

في الغردقة قلعوني كل حاجة إلا الكلسون . كنا في شهر ديسمبر والدنيا برد . وكان فيه ضابط اسمه عماد بيضربني بعصايا في الرايحة والجاية ، والعساكر يلطشوني بايديهم أثناء التحقيق . ده طبعاً غير سبي وسب آل البيت . (٢٤)

وعن التحقيق يقول :

في العشر أيام دول حققوا معايا مرتين . أول مرة ساعتين وتاني مرة ساعة . سالوني عن انتمائي للمذهب الشيعي وقلت لهم إني شيعي جعفري . وسالوني عن أسماء أشخاص كتير من المعروفين بانتمائهم للمذهب الشيعي . (٢٥)

وفي مقابلة أخرى قال جمعة :

كانوا قبل التحقيق بيجوعوني يوم كامل . وبعدين بيدأوا التحقيق متأخر بعد الساعة ١١ بالليل وما أرجعش الحجز إلى بعد الساعة اتنين صباحا . كنت طول التحقيق متغمى وإيديا متكتفة ورا ضهري بحبل كهربا . (٢٦)

وفي نفس اليوم الذي تم فيه ترحيل أحمد جمعة إلى القاهرة ، وصل عادل الشاذلي إلى فرع أمن الدولة بالغردقة . وكان على عادل أن يمر بمثل ما مر به من قبله جمعة وربما محمد عمر . وبعد ١٢ يوماً قضاها عادل في الغردقة تم ترحيله إلى القاهرة ليجتمع المحتجزون الثلاثة عمر وجمعة والشاذلي بمقر أمن الدولة بمدينة نصر .

في مدينة نصر تم تجريد المعتقلين من ثيابهم مرة أخرى باستثناء ملابسهم الداخلية في صقيع يناير . ويحكي عادل عن التحقيق معه مرة واحدة هناك :

سالوني عن التشيع وإن كانت لي علاقة بإيران ودول أخرى وسالوني عن أسماء أشخاص وعن كتب وجدوها عندي في البيت لما قبضوا عليا . أثناء التحقيق كنت متغمي ومتكتف وكان فيه ضرب بييجي من ورايا على ضهري وقفايا . وبعدين استخدموا الكهربا في فمي ووداني والقبل والدبر . وعملوا نفس الشيء مع محمد عمر . دلوقتي باجيب دم من مؤخرتي . ومحمد عمر رجله الشمال بتقف من الكهربا وأحيانا جنبه الشمال كله .(٢٧)

ورغم أن هذه المقابلة التي أخبرنا فيها عادل عن وقائع تعذيبه بمدينة نصر تمت بعد أكثر من شهر من التحقيقات ، فإن جسده كان لا يزال يرتجف بعنف من آن لآخر وهو يحدثنا من آثار الصعق الكهربي . كما كان في حالة نفسية سيئة للغاية وكانت دموعه تنهمر وهو يقص على باحثي المبادرة المصرية ما جرى معه هناك :

كهربوني في مدينة نصر لغاية ما كنت هاموت من الألم . قلت للضابط اللي كان بيحقق معانا " عملنا ايه احنا؟ مش حرام؟ مسلمين احنا ولا كفرة؟ " ورد عليا " انت هنا في مستشفى المجانين . أنا وظيفتي إني أجننك؟ " (٢٨)

من الانتهاكات المخالفة للقانون إلى الانتهاكات بموجب القانون

بينما كان التحقيق والتعذيب يجري في مدينة نصر ، كانت المبادرة المصرية للحقوق الشخصية قد قامت بتوثيق الاعتقالات وزيارة مدينة رأس غارب وجمع المعلومات المتعلقة بالواقعة . وأصدرت المبادرة المصرية أول بيان صحفي حول الأحداث في ٥ يناير ٢٠٠٤ ضم أسماء المعتقلين الثلاثة وطالب بالإفراج الفوري عنهم بعد أن كان

بعضهم وقتها قد قضى قرابة شهر كامل رهن الاحتجاز دون سند قانونى ودون العرض على أية سلطة قضائية . (٢٩)

وفى اليوم التالى لصدور البيان الصحفي ، تقدم محامو المبادرة المصرية ببلاغ إلى مكتب النائب العام فى ٦ يناير ٢٠٠٤ تضمن المعلومات المتعلقة بالمعتقلين وأسماءهم . (٣٠) وطالبت المبادرة المصرية النائب العام بإصدار تعليماته بسرعة تحقيق هذه الوقائع والأمر بالإفراج الفورى عن المحتجزين دون وجه حق . (٣١)

كما قامت المبادرة المصرية فى الأسبوع نفسه برفع شكوى إلى المقرر الخاص بشأن حرية الدين والمعتقد بالأمم المتحدة ، وطالبته المبادرة المصرية بالتدخل لدى الحكومة المصرية لضمان الإطلاق الفورى وغير المشروط للمعتقلين . ويبدو أن خروج معلومات بشأن المعتقلين إلى العلن ، واتخاذ إجراءات قانونية لمحاولة إخلاء سبيلهم قد أجبرت مباحث أمن الدولة على إنهاء حالة الاحتجاز غير القانونى للمعتقلين وإضفاء ثوب من الشرعية القانونية الزائفة على انتهاك حقهم فى الحرية والأمان الشخصى والمحاكمة العادلة . وكما هى العادة فى هذه الظروف لجأ جهاز مباحث أمن الدولة إلى صديقهم القديم : قانون الطوارئ . بعد حوالى أسبوعين من التحقيقات والتعذيب بمدينة نصر تم ترحيل المعتقلين إلى محافظة قنا ، وبعدها إلى مركز الشرطة بالغردقة حيث مكثوا دون تحقيق قرابة أسبوعين آخرين . وفى ليلة غير محددة فى الأسبوع الأول من فبراير تم ترحيل المعتقلين الثلاثة إلى سجن وادى النطرون بعد أن أصدر وزير الداخلية قراراً باعتقالهم بموجب قانون الطوارئ . (٣٢)

محمد الدرينيى : البحث عن زعيم

منذ بدء حملة مداهمات واعتقالات رأس غارب كان يبدو أن وراء الأحداث أحد ضباط أمن الدولة بالغردقة والذى ربما كان يرى فيما يقوم به إجراءاً وقائياً يتبع نهج الجهاز الذى ينتمى إليه فى التعامل مع المنتمين إلى التيارات الدينية بشكل عام . غير أن الإبقاء على أحمد جمعة ومحمد عمر وعادل الشاذلى ثم ترحيلهم إلى القاهرة كان مؤشراً على أن جهاز أمن الدولة كان قد وجد فى هؤلاء فرصة لنسج قضية جديدة من قضايا الإسلام السياسى يتم فيها توجيه الاتهامات المعتادة من محاولة تكوين تنظيم سرى إلى محاولة قلب نظام الحكم إلى تلقى التبرعات والاتصال بالخارج ، الخ . وهنا ظهرت الحاجة المعتادة إلى زعيم للتنظيم . وكان محمد الدرينى المرشح المثالى لهذا المنصب بسبب ظهوره الإعلامى الواسع وحديثه الدائم للإعلام باسم شيعة مصر وإعلانه عن استضافة الوفود الشيعية من الخارج فى مكتبه الذى يطلق عليه المجلس الأعلى لرعاية آل البيت والذى لا يحوز ترخيصاً رسمياً من أى من وزارات الدولة .

وفى فجر ٢١ مارس ٢٠٠٤ تم القبض على الدرينى . وروت زوجته لباحثى المبادرة المصرية تفاصيل الاعتقال :

الأول أمن الدولة جم هنا فى الزيتون وفتشوا البيت وخدوا ٤٧ ألف جنيه وجهاز كمبيوتر وأوراق وكتب وجرايد وحاجات كانت على الحيطان . وخدوا بياناتنا الشخصية كلنا وحبسونا فى غرفة واحدة وهم بيفتشوا ومنعونا نعمل أى اتصالات تلفونية . وبعدين خدوا محمد وراحوا بيته التانى فى المطرية وبرضه أخدوا حاجات من هناك . بعد كده راحوا المكتب وخدوا كمبيوتر وأوراق وشالوا اليفط من بره.(٣٣)

وقال مصطفى ، شقيق الدريني ، لوكالة أنباء الأسوشيتد برس أن الضباط رفضوا أن يخبروا أسرة الدرينى بمكان احتجازه . غير أنه أضاف أنه علم من أحد معارفه أنه موجود بأحد مقار أمن الدولة بالقاهرة . (٣٤) ، وفى مقابلة لاحقة مع الدرينى أخبر باحثى المبادرة المصرية بما حدث له بعد اعتقاله :

أخدونى أمن الدولة فى لاظوغلي وهناك قعدت يومين وبعدها حوالى ٤٠ يوم فى فرع أمن الدولة فى مدينة نصر هما فترة التحقيق . كنت متغمى ومتكتف وحافى وقاعد فى الأرض طول الفترة دى . (٣٥)

وعن التحقيق :

سالونى عن المجلس [الأعلى لرعاية آل البيت] والجريدة بتاعته اللى كنت باطلعها . وعن اعتناقى للمذهب الشيعي ، وعلاقتى بشخصيات شيعية كتير .

دوقونى كافة أنواع التعذيب . لدرجة إني ما كنتش قادر أتحرك بشكل طبيعى إلا من تلات أيام بس . فى اليوم التانى فى لاظوغلي فيه ضربة جت على عينى اليمين ولسه بتوجعنى وبتنزل منها الدموع طول الوقت . (٣٦)

ثم عاد الدرينى إلي مقر مباحث أمن الدولة بلاظوغلى لمدة ٢٠ يوماً . وبعد ما يقرب من شهرين من الاحتجاز غير القانوني ، لحق الدرينى بأحمد جمعة ومحمد عمر وعادل الشاذلى بسجن وادى النطرون .

داخل السجن

معظم المسجونين فى معتقل وادى النطرون السياسى من المشتبه فى انتمائهم إلى جماعات إسلامية متشددة والمعتقلين بموجب قانون الطوارئ لفترات مطولة دون اتهام أو محاكمة . (٣٧) وفى إحدى الزيارات شكا عادل الشاذلى لباحثى المبادرة المصرية من تحرشات المعتقلين التكفيريين بهم ورفضهم التعامل معهم . (٣٨)

بينما أخبرنا محمد الدرينى فى زيارة لاحقة :

التكفيريين فى السجن بزعامة ياسر محمد فهمى بيتحرشوا بينا طول الوقت . وأنا قدمت شكوى ضدهم لإدارة السجن بدون أى استجابة . ولولا بعض

المعتقلين من أبناء الفيوم اللى يعرفونا كنا ما وجدناش من يحمينا من المعتقلين التكفيريين . (٣٩)

ووفقاً للمادة ٨٠ من القانون رقم ٣٩٦ لسنة ١٩٥٦ بشأن السجون فإنه " يجب على مدير السجن أو مأموره قبول أية شكوى جدية من المسجون ، شفوية أو كتابية وإبلاغها إلى النيابة العامة أو الجهة المختصة بعد إثباتها فى السجل المعد للشكاوى " .

وفى ٣ يونيو ٢٠٠٤ بدأ محمد الدرينى إضراباً عن الطعام مطالباً بمعرفة سبب اعتقاله ، ومصير الأموال والأجهزة التى تمت مصادرتها منه دون إثباتها بأية محاضر .

إلا أن الدرينى أخبر باحثى المبادرة المصرية أن إدارة السجن رغم إبلاغها بالإضراب تجاهلته لمدة ثلاثة أيام لم يزره خلالها أى مندوب من النيابة العامة ولم يعرض على طبيب السجن . (٤٠) وفى ٦ يونيو قرر الدرينى إنهاء الإضراب بعد أن وعده ضابط أمن الدولة المقدم ماهر طاحون بالاستجابة لمطالبه . (٤١)

انتهاك قانون الطوارئ !

عندما مر أكثر من شهر على تقديم المبادرة المصرية للحقوق الشخصية لبلاغها إلى النائب العام بشأن هذه القضية دون أى استجابة ، وعندما علمت المبادرة المصرية بصدور قرارات اعتقال بحق المحتجزين الشيعة حصل محامو المبادرة المصرية على توكيلات من أقارب أحمد جمعة وعادل الشاذلى (ولاحقاً محمد الدريني) وبدأوا فى التظلم من قرارات الاعتقال هذه أمام محكمة أمن الدولة العليا (طوارئ) . (٤٢)

غير أن وزارة الداخلية لم تحترم حتى قانون الطوارئ رغم كل ما يمثله من انتهاكات للحقوق القانونية للمعتقلين . ففى ١٢ فبراير ٢٠٠٤ حصل محامو المبادرة المصرية على حكم بإنهاء اعتقال عادل الشاذلى . وعندما اعترضت وزارة الداخلية على القرار عادت المحكمة وأصدرت نفس الحكم فى ١١ مارس ٢٠٠٤ . (٤٣)

ورغم ذلك لم تقم وزارة الداخلية بإطلاق سراح عادل . وإنما نقلته من السجن إلى عدة أقسام ومراكز للشرطة بمحافظة المنوفية . وبعد حوالى عشرة أيام :

ركبت سيارة الترحيلات فوجدت محمد عمر اللى كان أخد افراج زيى وخدتنا العربية على أمن الدولة فى الغردقة . هناك قابلنا ضابط قال لنا هتخرجوا بشرط تقطعوا علاقتكم بالشيعة والصحافة وبتوع حقوق الإنسان وكل شيء . وبعدين كتبونا إقرارات بالابتعاد عن جميع المذاهب الإسلامية المتطرفة والالتزام بالنهج المعتدل [!].وقضينا هناك ٢٠ يوم فى قسم الشرطة منتظرين الإفراج عنا لكن لقيناهم رجعونا سجن وادى النطرون تانى . (٤٤)

وفى ٢٦ إبريل ٢٠٠٤ نظرت نفس المحكمة تظلماً جديداً أقامه محامو المبادرة المصرية ضد القرار الجديد باعتقال عادل ، غير أنه رُفض لعدم مرور ٣٠ يوم على صدور القرار الجديد . وهو ما يعنى أن عادل قضى بضعة أسابيع أخرى من الاحتجاز غير القانونى منذ صدور قرار الإفراج النهائى عنه فى ١١ مارس قبل صدور قرار

الاعتقال الجديد . (٤٥)ثم عاد المحامون لتقديم تظلم جديد نُظر بجلسة ١٤ يونيو ٢٠٠٤ (٤٦) لتقرر محكمة أمن الدولة العليا (طوارئ) من جديد الإفراج عن عادل ويعود إلى منزله أخيراً فى أواخر شهر يونيو .

أما **أحمد جمعة** فقد مر بالقصة نفسها تقريباً وإن كان أسعد حظاً بأن عاد إلى منزله قبل عادل بشهرين . فقد تظلم محامو المبادرة المصرية من قرار اعتقاله ونُظر التظلم بجلسة ١٠ مارس ٢٠٠٤ وأمرت محكمة أمن الدولة العليا (طوارئ) بالإفراج عنه . واعترضت وزارة الداخلية كالعادة وخسرت طعنها بتاريخ ٣ إبريل ٢٠٠٤ . (٤٧)

وفى اليوم التالى ترك أحمد جمعة السجن غير أنه قضى ٢٥ يوماً من التجوال على أقسام الشرطة بمحافظة المنوفية ثم كان عليه أن يقضى ثمانية أيام أخرى من الاحتجاز غير القانونى بالغردقة قبل أن يسمح له بالعودة إلى منزله فى ٢٩ إبريل ٢٠٠٤ . أى بعد أكثر من أربعة أشهر . (٤٨)

قضى جمعة أربعة أشهر محتجزاً وقضى عادل ستة أشهر ، وخلال هذه الفترة لم يعرض أى منهما على النيابة العامة مرة واحدة ولم يوجه إليهما اتهام . بعد خروجه قال جمعة :

بعد أربع أشهر مش عارف ليه خدونى ومش عارف ليه سابونى . لما رجعت توشكى صاحبة الشغل مارضيتش ترجعنى لشغلى طبعا وقالت لى إنها مش عايزة مشاكل مع الأمن . (٤٩)

وبينما كان جمعة يطوف بأقسام المنوفية والبحر الأحمر دون منطق تقدم محامو المبادرة المصرية ببلاغهم الثانى لمكتب النائب العام فى ٦ إبريل ٢٠٠٤ ، حيث طالبوا بإجلاء مصير محمد الدرينى الذى كان وقتها مازال بأمن الدولة وإحالته إلى المحكمة المختصة أو الإفراج الفورى وغير المشروط عنه .(٥٠) كما طالب البلاغ بالإفراج الفورى عن المعتقلين الثلاثة الآخرين تنفيذاً لقرارات المحكمة المختصة . (٥١) وكما حدث مع سابقه ، لم يأتِ أى رد على البلاغ . (٥٢)

وبالنسبة لمحمد الدرينى فإن من المؤكد أن قراراً باعتقاله لم يصدر إلا بعد ما يقرب من شهرين من احتجازه بشكل غير قانونى بمباحث أمن الدولة . فأثناء محاولة المبادرة المصرية معرفة وضعه القانونى تقدم محامو المبادرة المصرية بتظلم من قرار اعتقاله غير أن التظلم حُفظ فى ٣ مايو ٢٠٠٤ لعدم وجود قرار اعتقال رغم كونه رهن الاحتجاز منذ ٢٢ مارس . (٥٣) كما أن زوجة الدرينى ذهبت للاستفسار عنه بأمن الدولة فى لاظوغلى يوم ٩ مايو ٢٠٠٤ فأخبرها ضابط أنه ليس فى لاظوغلى وأن " الموضوع منتظر قرار الوزير " . (٥٤)

وفى التظلم التالى حكمت محكمة أمن الدولة العليا (طوارئ) بالإفراج عن الدرينى فى ٨ يونيو ٢٠٠٤ . (٥٥) ، وتم تأييد نفس القرار بجلسة ٥ يوليو بعد اعتراض وزارة الداخلية . غير أن القرار لم ينفذ حتى الآن .

ومازال كل من محمد الدرينى ومحمد (حمام) عمر فى سجن وادى النطرون . غير أن تنفيذ القرارات المتتالية بالإفراج عنهما وإن كان أولوية لا يجب التأخر فيها لحظة إضافية واحدة لا

يجب أن يعنى ببساطة إغلاق ملف القضية . لقد شهد المحتجزون فى هذه الأحداث تشكيلة واسعة من انتهاكات حقوقهم شملت القبض التعسفي ، والاحتجاز غير القانوني بمعزل عن العالم الخارجي ، والتعذيب وسوء المعاملة ، والاعتداء على حقهم فى حرية المعتقد وفي الخصوصية ، وانتهاء بالاعتقال الإدارى المتكرر وانتهاك حقهم فى الحرية وفي المحاكمة العادلة . لابد من التحقيق فى كل هذه الانتهاكات ومحاسبة من تثبت مسئوليته عنها . فالفصل القادم سيبين بجلاء كيف أن السماح لمرتكبى انتهاكات مثيلة فى الماضى بالإفلات من العقاب هو الذى سمح لهما بالتكرار الآن . وبالمثل ، فإن السماح للجناة بالإفلات الآن سيعنى منح ضوء أخضر لهم بتكرار جرائمهم .

٨- مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع زوجة محمد عمر ، رأس غارب ، ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٣.

٩-مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع زوجة أحمد جمعة ، رأس غارب ، ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٣ .

١٠-مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع والدة أحمد جمعة ، رأس غارب ، ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٣ .

١١-عبده مغربي ، تفاصيل القبض على أحدث تنظيم شيعى فى رأس غارب ، صحيفة صوت الأمة ، عدد ١٥ ديسمبر ٢٠٠٣ .

١٢- مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع إسماعيل الحاج ، رأس غارب ، ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٣ .

١٣- السابق .

١٤- مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع والدة سراج رشوان ، رأس غارب ، ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٣ .

١٥- مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع عادل الشاذلي ، سجن وادى النطرون ، ١٨ فبراير ٢٠٠٤.

١٦- الإعلان المتعلق بحق ومسؤولية الأفراد والجماعات وهيئات المجتمع فى تعزيز وحماية حقوق الإنسان والحريات الأساسية المعترف بها عالمياً ، وثيقة الأمم المتحدة رقم A/RES/٥٣/١٤٤ ، مادة ٥ .

١٧- السابق ، مادة ٦ .

١٨- مقابلة تليفونية للمبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع شقيق كاشف الهلباوى فى ١٤ مارس ٢٠٠٤ .

١٩- من الشائع لدى بعض فصائل المسلمين الشيعة الصلاة على دائرة من التربة الجافة قطرها حوالى ١٠ سنتيمترات ويكتب عليها أحياناً " التربة الحسينية " .

٢٠- عبده مغربي ، تفاصيل القبض على أحدث تنظيم شيعى فى رأس غارب ، صحيفة صوت الأمة ، عدد ١٥ ديسمبر ٢٠٠٣.

٢١- مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع محمد خليل ، رأس غارب ، ١٧ إبريل ٢٠٠٤ .

٢٢- كان علي خليل من ضمن من داهمت قوات مباحث امن الدولة منازلهم خلال الجولة الأولى من الاعتقالات . ورغم أنهم لم يعثروا عليه هذه المرة إلا أنه عاد وقام بتسليم نفسه فيما بعد وأطلق سراحه بعد فترة قصيرة من الاحتجاز .

٢٣- لم يتمكن باحثو المبادرة المصرية من مقابلة مدير الأوقاف بمدينة رأس غارب .

٢٤- مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع أحمد جمعة ، سجن وادى النطرون ، ١ إبريل ٢٠٠٤ .

٢٥- السابق .

٢٦- مقابلة تليفونية للمبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع أحمد جمعة ، ٢ يونيو ٢٠٠٤ .

٢٧-مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع عادل الشاذلي ، سجن وادى النطرون ، ١٨ فبراير ٢٠٠٤ .

٢٨- السابق .

٢٩- انظر بيان المبادرة المصرية للحقوق الشخصية ، لابد من احترام حرية العقيدة وإطلاق الشيعة المحتجزين في البحر الأحمر ، ٥ يناير ٢٠٠٤ ، موجود على http://www.hrinfo.net/egypt/eipr/pr٠٤٠١٠٥.shtml ، زيارة يوليو ٢٠٠٤ .

٣٠- تكفل المادة ٢٥ من قانون الإجراءات الجنائية رقم ١٥٠ لسنة ١٩٥٠ "لكل من علم بوقوع جريمة ، يجوز للنيابة العامة رفع الدعوى عنها بغير شكوى أو طلب ، أن يبلغ النيابة العامة أو إحدى مأمورى الضبط القضائى عنها" . كما تمنح المادة ٤٣ من القانون نفسه الحق "لكل من علم بوجود محبوس بصفة غير قانونية ، أو فى محل غير مخصص للحبس أن يخطر أحد أعضاء النيابة العامة" .

٣١-قيد البلاغ بالمكتب الفنى للنائب العام برقم ٢١٤ بتاريخ ٨ يناير ٢٠٠٤ . ثم أرسل لمباحث أمن الدولة لاتخاذ اللازم برقم صادر ٢٧٥ فى ١٠ يناير ٢٠٠٤ . ولم تتلق المبادرة المصرية رداً على البلاغ حتى الآن .

٣٢- تمنح المادة ٣ من القانون ١٦٢ لسنة ١٩٥٨ بشأن حالة الطوارئ ، والمفروضة منذ عام ١٩٨١ ، لرئيس الجمهورية أو وزير الداخلية سلطة أن يأمر أى منهما كتابيا أو شفهيا بـ "القبض على المشتبه فيهم أو الخطرين على الأمن والنظام العام أو اعتقالهم" .

٣٣-مقابلة تليفونية للمبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع زوجة محمد الدريني ، ١٣ يونيو ٢٠٠٤ .

٣٤- Associated Press ، Muslim Shiite activist detained by Egyptian authorities ، brother says ، ٢٣ March ٢٠٠٤ .

٣٥- مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع محمد الدريني ، سجن وادى النطرون ، ٧ يونيو ٢٠٠٤.

٣٦- السابق .

٣٧- تمتنع الحكومة المصرية عن إعلان الأعداد الحقيقية للمعتقلين ، وإن كانت التقديرات غير الرسمية لعددهم تتراوح بين ١٢ألف و١٦ ألف معتقل قضى عدد كبير منهم أكثر من ١٠ سنوات رهن الاعتقال . للمزيد انظر مثلا تقرير مركز حقوق الإنسان لمساعدة السجناء خلف جدار النسيان : بحث ميدانى حول ظاهرة الاعتقال طويل الأجل وتأثيرها على المعتقلين وعائلاتهم والمجتمع المصري ، متاح على http://www.hrcap.org/A_Reports/report١٧/report.htm أو تقرير منظمة العفو الدولية : Egypt Indefinite detention and systematic torture : the forgotten victims متاح على http://web.amnesty.org/library/Index/ENGMDE١٢٠١٣١٩٩٦?open&of=ENG-EGY ، زيارة يوليو ٢٠٠٤ .

٣٨- مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع عادل الشاذلي ، سجن وادى النطرون ، ١٨ فبراير ٢٠٠٤ .

٣٩- مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع محمد الدريني ، سجن وادى النطرون ، ٧ يونيو ٢٠٠٤.

٤٠- مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع محمد الدريني ، سجن وادى النطرون ، ٧ يونيو ٢٠٠٤.

٤١- السابق .

٤٢- تنص المادة ٣ مكرر من القانون رقم ٥٠ لسنة ١٩٨٢ الصادر بتعديل قانون الطوارئ على أن "للمعتقل ولغيره من ذوى الشأن أن يتظلم من القبض أو الاعتقال إذا انقضى ثلاثون يوماً من تاريخ صدوره دون أن يفرج عنه ، ويكون التظلم بطلب يقدم بدون رسوم إلى محكمة أمن الدولة العليا المشكلة وفقاً لأحكام هذا القانون ، وتفصل المحكمة فى التظلم بقرار مسبب خلال خمسة عشر يوماً من تاريخ تقديم التظلم وذلك بعد سماع أقوال المقبوض عليه أو المعتقل وإلا تعين الإفراج عنه فوراً ، ولوزير الداخلية فى حالة صدور قرار

بالإفراج أو في حالة عدم الفصل في التظلم في الموعد المنصوص عليه في الفقرة السابقة أن يطعن على قرار الإفراج خلال خمسة عشر يوما من تاريخ تقديمه على أن يفصل فيه خلال خمسة عشر يوم من تاريخ الإحالة وإلا وجب الإفراج عن المعتقل فورا ، ويكون قرار المحكمة في هذه الحالة واجب النفاذ ، وفي جميع الأحوال يكون لمن رفض تظلمه الحق في أن يتقدم بتظلم جديد كلما انقضى ثلاثون يوما من تاريخ رفض التظلم .

٤٣- قيد التظلم برقم ٢٠٠٤/٣٢٣٩ . قام محامي المبادرة بالاطلاع على قرار الاعتقال الذي لم يكن يحمل توقيع وزير الداخلية أو خاتم الدولة . كما لم يكن القرار يحمل رقماً . كل ما جاء في القرار أن يحجز عادل محمد الشاذلي "بمكان أمين " وأن " المذكور من عناصر النشاط المتطرف الساعية لترويج أفكارهم المتطرفة في أوساط المحيطين " .

٤٤- مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع عادل الشاذلي ، سجن وادي النطرون ، ١٣ إبريل ٢٠٠٤ . من الممارسات الشائعة لوزارة الداخلية عند صدور حكم قضائي بإطلاق معتقل أن يتم نقله من المعتقل واحتجازه بأحد أقسام الشرطة أو مقار مباحث أمن الدولة لحين صدور قرار اعتقال إداري جديد . وبهذه الطريقة تحتفظ وزارة الداخلية بما يتراوح بين ١٢ و١٦ ألف معتقل إداري رغم حصول الكثيرين منهم على العشرات من قرارات الإفراج . للمزيد حول ظاهرة الاعتقال المتكرر في مصر انظر مثلاً تقرير المنظمة المصرية لحقوق الإنسان الاعتقال السياسي سياسة الباب المغلق والاعتقال الجنائي سياسة الباب الدوار ، متاح على http://www.eohr.org/ar/report/٢٠٠٣/r١.htm أو تقرير مركز حقوق الإنسان لمساعدة السجناء الاعتقال عقوبة أبدية : تقرير حول ظاهرة الاعتقال المتكرر في مصر مؤيد بالوثائق والمستندات الرسمية ، متاح على http://www.hrcap.org/A_Reports/report٠٨/report.htm ، زيارة يوليو ٢٠٠٤ .

٤٥- قيد التظلم برقم ٢٠٠٤/١٣٥٥٧ .

٤٦- قيد التظلم برقم ٢٠٠٤/١٩١١٤ .

٤٧- قيد التظلم برقم ٢٠٠٤/٦٤٣٩ .

٤٨- قبل إطلاق سراحه طلب ضابط أمن الدولة من أحمد جمعة الحصول على أسماء نشطاء حقوق الإنسان الذين سيتصلون به بعد خروجه من واقع بطاقاتهم الشخصية وإبلاغها للضابط . مقابلة تليفونية للمبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع أحمد جمعة ، ٢ يونيو ٢٠٠٤ .

٤٩- مقابلة تليفونية للمبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع أحمد جمعة ، ٢ يونيو ٢٠٠٤ .

٥٠- وفقاً للمادة ٢٨٠ من قانون العقوبات رقم ٥٨ لسنة ١٩٣٧ فإن " كل من قبض على أي شخص أو احتبسه أو حجزه بدون أمر أحد الحكام المختصين بذلك ...يعاقب بالحبس أو بغرامة لا تتجاوز مائتي جنيه " .

٥١- تنص المادة ١٢٣من قانون العقوبات على أن " يعاقب بالحبس كل موظف عمومي استعمل سلطة وظيفته في [...] وقف تنفيذ حكم أو أمر صادر من المحكمة [...] " .

٥٢- أحيل البلاغ لمكتب مساعد النائب العام للتعاون الدولي وتنفيذ الأحكام ورعاية المسجونين برقم ٤٦٣٠ في ٧ إبريل ٢٠٠٤ .

٥٣- قيد التظلم برقم ٢٠٠٤/١٤١٢٢ .

٥٤- مقابلة تليفونية للمبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع زوجة محمد الدريبي ، ١١ مايو ٢٠٠٤ .

٥٥- قيد التظلم برقم ٢٠٠٤/١٨١٤٠ .

الفصل الثانى

السوابق : ١٩٨٨-٢٠٠٢

لا يمكن فهم أحداث رأس غارب التى تم تفصيلها فى الفصل السابق من هذا التقرير بمعزل عن الوقائع المشابهة لها والتى وقعت على مدار الخمس عشرة سنة الماضية . إن هذا الفصل يقدم أول توثيق مستقل لأربع حملات من الاعتقالات التى وقعت فى صفوف المسلمين الشيعة فى مصر منذ عام ١٩٨٨ وحتى ما قبل أحداث رأس غارب عام ٢٠٠٤ . وإن كانت هذه الحملات اختلفت من حيث الحجم وبعض التفاصيل ، فإنها تشترك فى اتباع نمط واحد من الانتهاكات ينتهى دوماً بإخلاء سبيل المعتقلين دون تعويضهم أو حتى التحقيق فى شكاواهم بشأن ما مروا به . يحاول هذا الفصل كشف ذلك النمط سعياً لإيقافه وإسماع صوت ضحاياه .

١ـ قضية ٢٠٠٢

فى نوفمبر ٢٠٠٢ نشرت صحيفة أسبوعية تحقيقاً بعنوان " ليست نكتة... مسيحى فى تنظيم شيعى بالزقازيق ! " . (٥٦) وجاء فى تفاصيل الخبر أن ثلاثة من المصريين هم محمود يوسف إبراهيم (مدرس) ويحيى شفيق (موظف وعامل إعلانات) وسمير يوسف توفيق (صاحب مطبعة) تمت إحالتهم إلى نيابة الزقازيق فى محافظة الشرقية " بتهمة الانتماء إلى تنظيم شيعى لقلب نظام الحكم ، وطبع كتب دينية تدعو إلى فكر الشيعة بدون تصريح من الأزهر " . (٥٧)

بعد الإفراج عن الثلاثة التقى باحثوا المبادرة المصرية للحقوق الشخصية بيحيى شفيق (٥٨) الذى روى قصة اعتقاله :

> *اعتدنا أنا ومحمود يوسف فى كل سنة قبل معرض الكتاب أن نطبع كتيبات حول آل البيت ونوزعهم على المكتبات لعرضهم فى المعرض . والسنة دى طبعنا حوالى ٥٠٠٠ نسخة فى مطبعة فى الزقازيق عند واحد مسيحى اسمه سمير يوسف وكنت رايح بيت محمود فى الزقازيق عشان نروح ناخد الكتب من المطبعة ونقرّبهم لبيتى فى القاهرة فى اليوم اللى اتقبض علينا فيه . كان يوم ٤ نوفمبر قبل بداية رمضان بيومين . أول ما خرجنا من بيت محمود ووقفنا فى الشارع ننتظر عربية لقينا سيارتين ماشيين ورانا . وبعدين وقفونا وكان فى سيارة منهم العقيد عبد الفتاح الهادى بتاع أمن الدولة فى الزقازيق . لما جم يقبضوا علينا كانوا لابسين مدنى فالأهالى وجيران محمود حاولوا يتدخلوا لكن أمن الدولة ضربونا بالطبنجات على راسنا وحطوا كل واحد فينا فى دواسة العربية من ناحية وواحد من المخبرين قاعد وحاطط رجليه فوقه . (٥٩)*

وبعد وصول يحيي ومحمود إلى مكتب أمن الدولة بالزقازيق وجدوا سمير يوسف صاحب المطبعة مقبوضاً عليه معهم . وبدأ التحقيق :

أول ما وصلنا أمرونا بخلع كل ملابسنا وتركونا بس بالملابس الداخلية . حققوا معايا ساعتين أول يوم وساعتين تانى يوم . سألونى عن التشيع والكتب والشيعة فى مصر وكل حاجة . كنت متغمى وايديا مربوطة ورا ضهرى وكان الضرب نازل على قفايا وضهرى من ورايا . وبعدين لفوا سلك كهربا بشريط لاصق حوالين العضو الذكرى وابتدوا يكهربونى فيه . وهو بيكهربنى كان الضابط بيقول لى " انت متجوز اتنين يا بن الشرموطة؟ أنا هاطلعك من هنا تنام جنبهم زى المَرَة " . الألم كان شديد كنت باقع على الأرض وأعض على رجلين الكرسى من شدة الألم . (٦٠)

وفى اليوم الثالث تم اصطحاب الثلاثة إلى نيابة ديرب نجم بالشرقية حيث تم التحقيق معهم بمعرفة صالح حماد وكيل النيابة (٦١) . غير أن الغريب أن التحقيق معهم ليس فقط فى غياب محامين وإنما أيضاً فى حضور ضابط أمن الدولة عبد الفتاح الهادى الذى يتهمونه بتعذيبهم . ورغم ذلك فقد تملك محمود يوسف الشجاعة لعرض آثار تعذيبه على وكيل النيابة . غير أن الأخير لم يقم بإحالته إلى الطب الشرعى لتوثيق هذه العلامات قبل زوالها . ونقل تقرير صحفى حول التحقيقات أن ضابط أمن الدولة أنكر علاقته بعلامات التعذيب وأعلن أمام وكيل النيابة أنه كان يتابع الثلاثة منذ شهرين وأنهم جزء من تنظيم أكبر جار حصره وضبط أعضائه . (٦٢)

ووفقاً ليحيي شفيق فقد وجه إليهم وكيل النيابة اتهامات تضمنت الانخراط والمساعدة على قيام تنظيم شيعي ، وطباعة منشورات تدعو للفكر الشيعى وبلبلة الفكر السنى بغرض تعطيل أحكام الدستور . (٦٣)

وفى الساعة الخامسة صباحاً بعد يومين من الاحتجاز ذهب الثلاثة إلى قسم شرطة ديرب نجم على أن يعودوا فى الصباح إلى النيابة . وعند عودتهم تم إخلاء سبيل كل من يحيى شفيق وسمير توفيق بكفالة مائتى جنيه ، بينما أمرت النيابة بحبس محمود يوسف ١٥ يوماً على ذمة التحقيق . (٦٤) وفى مساء ٢٧ نوفمبر ٢٠٠٢ قررت النيابة العامة بمدينة ديرب نجم الإفراج عن محمود يوسف . (٦٥)

غير أن يحيى شفيق كان عليه الانتظار قليلاً رغم قرار إخلاء السبيل :

دفعت الكفالة فى نفس اليوم فقيدوا ايديا وغمونى وخدونى تانى أمن الدولة أنا وسمير . سمير انصرف على طول لكن أنا ابتدوا تانى يضربونى بدون سبب بالاقلام على وشى وشتيمة فى أبويا وأمي . الضرب استمر حوالى ساعتين وبعدين خرجت حوالى الساعة تلاتة الفجر . (٦٦)

ولم تكن هذه نهاية القصة بالنسبة ليحيى :

رجعت بيتى فى القاهرة الفجر وفى صباح نفس اليوم جالى استدعاء من أمن الدولة فى القاهرة . ذهبت مكتب أمن الدولة اللى فى قسم شرطة الخصوص فى المرج وهناك غموا عنيا تانى وفيه ضابط سألنى عن كل اللـى حصـل وسبب القبض عليا ، وقال لى " انت مش عايز تتوب؟ انت مش عـارف ان النيابة دى بتاعتنا ولو عايزين نحبسكم محدش هيعـرف يطلعكـم؟ "وبعـدين رجعت البيت . (٦٧)

ورغم مرور أكثر من عام ونصف على إخلاء سبيل المتهمين ، لا يزال ملف القضـية مفتوحاً دون توجيه اتهام رسمى لأى منهم . كما لم يتم التحقيق فى وقائع التعذيب الذى تعرضوا له على يد ضابط بأمن الدولة رغم إدلائهم باسمه وإثباتهم لتعرضهم للتعـذيب فى محضر رسمى أمام النيابة . (٦٨)

٢- قضية ١٩٩٦ :

تعد قضية عام ١٩٩٦ التى اتهم فيها ٥٦ من المسلمين الشيعة آخر قضـية تـم فيهـا اعتقال مثل هذا العدد الكبير من الشيعة فى مصر وتوجيه اتهامات سياسية لهم بمحاولة قلب نظام الحكم ، بمصاحبة حملة إعلامية ضخمة رافقت كافة مراحل التحقيق . ويأخذ توثيق وقائع هذه القضية أهمية خاصة لهذا السبب ، وكذلك للحداثة النسبية لهذه القضية ، وكونها حافلة بالتفاصيل التى تجعل منها حالة نموذجية لتعامل السلطات مع المسلمين الشيعة فى مصر عند اعتقالهم .

وقائع القضية بدأت عندما ألقى القبض على الشيخ حسن شحاته فى ١١ سبتمبر ١٩٩٦ . (٦٩) وكان شحاته وقتها يعمل إماماً لمسجد كوبرى الجامعة بمحافظة الجيزة ، كمـا كان له برنامج فى التليفزيون الرسمى بعنوان " أسماء الله الحسنى " . وبعد القبض عليه نقلت الصحف الرسمية أن تحقيقات نيابة أمن الدولة العليا أثبتت قيامه " بدور رئيسـى فى تنفيذ المخطط الشيعى داخل مصر للترويج للفكر الإيرانى وتـدريس مبادئـه فـى أوساط المرتبطين به ، واستقطاب عدد من العناصر لمعاونته " . (٧٠)

ولم يكن من الواضح وقتها سبب القبض على حسن شحاته بعد أن كان خطيبـاً معينـاً بأحد مساجد وزارة الأوقاف وكان له حضور فى الإعلام الرسمى للدولـة . غيـر أن نص التحقيق معه أمام نيابة أمن الدولة والذى تم تسريبه إلى الصحافة ونشر فيما بعـد تضمن إشارة إلى بلاغ قدمه ضد شحاته أستاذ للدراسات الإسلامية بجامعة قناة السويس يدعى محمد فؤاد شاكر يتهم فيه الأخير شحاته بالإساءة للصـحابة وتحريـف الفكـر الإسلامى . (٧١) كما جاء على لسان شحاته نفسه سبب آخر فى معـرض رده علـى التهم المنسوبة إليه :

[...] وقد يكون أحد أسباب اتهامى أننى قلت فى إحدى خطبى إن آفة المجتمع اليوم هى الكذب وطالبت بضرورة أن تقوم أجهزة الأمن وجميع أجهزة الدولة والأفراد بتحرى الصدق [...] وعقب هذه الخطبة تم استدعائى من قبل مباحث

أمن الدولة فى ١٠/١١/١٩٩٥ وتقابلت مع أحد الضباط واستمرت الجلسة نصف ساعة وانتهى الموضوع على ذلك [...].(٧٢)

وفى ٢٤ أكتوبر ١٩٩٦ نقلت الصحف نبأ القبض على ٥٥ متهماً آخرين أطلقت عليهم الصحف " قيادات التنظيم الشيعي " فى خمس محافظات مختلفة ، (٧٣) إضافة إلى ١٤ متهماً آخرين اعتبروا هاربين مطلوبين فى نفس القضية. (٧٤)

وتضمنت قائمة الاتهامات التى وجهت للمقبوض عليهم " الإضرار بالسلام الاجتماعي ، وإثارة الفتنة ، وازدراء أحد الأديان السماوية ، والانضمام إلى تنظيم غير مشروع الغرض منه تعطيل أحكام الدستور والقانون ". (٧٥)

ومع تواتر التصريحات الأمنية حول اتصال المقبوض عليهم بايران سارعت الحكومة الإيرانية بنفى صلتها بالمقبوض عليهم وتكذيب التصريحات الأمنية عن كون بعضهم سافر إلى إيران وتلقى تدريبات نظرية وتنظيمية هناك. (٧٦) كما أن المتهمين أنفسهم نفوا أن يكونوا قد التقوا من قبل بالشيخ حسن شحاته الذى قُدم على أنه زعيم التنظيم. (٧٧)

وبدا من التسريبات والأخبار التى نشرتها الصحف وقتها كون القضية فى واقع الأمر مبنية على استهداف المعتقدات الدينية للمتهمين ومحاكمتهم عليها ، مع خلو أوراق القضية من أى دليل على وجود صلات لهؤلاء الأفراد بالخارج أو تلقيهم أى أموال أو تشكيلهم أى تنظيمات. فقد نقلت صحيفة الأهرام عن مصدر بمباحث أمن الدولة عقب القبض على المتهمين أنهم كانوا يستهدفون :

الترويج للفكر الشيعى والتحريف فى ثوابت الدين الحنيف بهدف تفريق الأمة الإسلامية والدعوة لبعض الأفكار المنحرفة. حيث كانوا يبيحون زواج المتعة طبقاً للعرف الشيعي ، بشرط ألا تكون المرأة فى عصمة رجل آخر[...] كما أن الفكر الشيعى يضيف عبارات خلال الأذان للصلوات غير الأذان الشرعي[...] (٧٨)

وفى نفس العدد من الصحيفة جاء أن مجلس الوزراء استعرض تقريراً قدمه وزير الداخلية حول القضية ، قبل أن يتخذ المجلس قراراً " بتشكيل لجنة من وزراء الإعلام والعدل والداخليه والثقافة والأوقاف ومجلسى الشعب والشورى وشئون مجلس الوزراء لدراسة التشريعات التى تتصدى لانتشار هذه الأفكار التى تمس قيم الإسلام ". (٧٩)

وبعد ذلك ببضعة أيام نشرت صحيفة أخرى أن وزير الداخلية أصدر " تعليمات مشددة بمراقبة بعض خطباء المساجد بعين الحذر خوفاً من تسلل أعضاء التنظيم الشيعى الذى تم ضبطه مؤخراً إلى المنابر ". (٨٠) بل إنّ نيابة أمن الدولة العليا قامت بإرسال جميع الكتب والمضبوطات إلى مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف " لفحص المضبوطات وما تتضمنه من أفكار ومدى التحقير أو الازدراء بأى من الأديان السماوية ". (٨١)

غير أن كل الشواهد السابقة على كون القضية تفتيشاً فى الضمائر وانتهاكاً لخصوصية

المواطنين تضاءلت إلى جانب محتويات ملف القضية نفسه الذى تسرب إلى الصحافة وقامت مجلة روز اليوسف الأسبوعية القومية بنشر بعض وثائقه فى حلقات.

كان من ضمن هذه الوثائق مثلاً مذكرة المعلومات التى قدمتها مباحث أمن الدولة إلى النيابة لتبرير القبض على المتهمين. وتضمنت هذه المذكرة اتهام المطلوبين :

بأنهم يسجدون خلال الصلاة على قطعة من الحجر ، ويحرمون الصلاة على المنسوج ، وأنهم يتوضأون بطريقة مختلفة عن المذهب السني ، [...] وأنهم لا يقولون (آمين) فى نهاية الفاتحة. (٨٢)

كما اتهمت مذكرة المباحث المطلوبين بالتالى :

- *المناداة بأن الإمام على بن أبي طالب هو الإمام المعين من قبل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، وأن الأئمة الإثناعشر هم أبناء على بن أبى طالب ، وآخرهم المهدى المنتظر الإمام محمد بن الحسن العسكرى الذى اختفى وهو فى الخامسة من عمره ، ويطلق على ذلك الغيبة الصغرى ، ثم رحل فى مرحلة الغيبة الكبرى حتى يظهر آخر الزمان :*
- *وجوب التقليد واتباع مرجع دينى يستفتونه فى أمورهم الدينية والفقهية ويدفعون له خمس دخلهم.*
- *الاعتقاد بفكرة ولاية الفقيه التى تقوم على أن المرجع الدينى هو أحق الناس بالحكم والإنابة عن الإمام الغائب لحين ظهوره.*
- *استحلال زواج المتعة لعدم تحريمه بسند من القرآن الكريم.*
- *تشديد الهجوم على الفكر اليهودى .*
- *إن مصدر التلقى هو القرآن والسنة ، وأن السنة هى ما وردت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو أى من الأئمة الإثنى عشر من قول أو فعل أو تقرير . (٨٣)*

وبعد أن انتهى محرر التقرير الصحفى من النقل عن مذكرة المباحث ، يعلق متعجباً .

إذن مذكرة المعلومات المقدمة من مباحث أمن الدولة إلى النيابة ، والتى تعتبر هى الأساس الذى انبنى عليه التحقيق تحاكم المذهب الشيعى نفسه ، وتحاكم أفكاره ومبادئه التى تحولت إلى اتهامات ، وتحول معتنقوها إلى متهمين بالترويج لأفكار متطرفة وازدراء الدين الاسلامي...الخ . إذن الداخلية تحاكم المذهب الشيعى الذى أفتى الأزهر رسمياً بجواز التعبد به...ولا تحاكم تنظيما سريا يعمل لحساب إيران لإقامة النموذج الإيرانى فى مصر...وأصبح ضباط الشرطة هم الذين يحددون صحة إسلام البعض من عدمه ، وهم الذين يقررون مطابقة المذهب الشيعي للإسلام أو مخالفته له . فيتحول المسلم الذى لا يقول (آمين) بعد قراءة الفاتحة إلى متهم بازدراء الدين الإسلامي ، وتتحول الكتب الشيعية إلى مضبوطات خطيرة مثلها مثل القنابل والمتفجرات!! . (٨٤)

ثم نشرت المجلة مقتطفات من تحقيقات النيابة مع بعض المتهمين . وكان من ضمن الأسئلة التي وردت في التحقيقات :

- *ما هي الركائز التي يقوم عليها الفكر الشيعي ؟*
- *ما أوجه الخلاف بين الفكر الشيعي ومذهب أهل السنة؟*
- *ما هي الأدلة الشرعية لاستحلال زواج المتعة؟*
- *وما هي الأدلة الشرعية على إمامة الإثنى عشر إمامًا ؟*
- *وما هي الأدلة الشرعية على طريقة الوضوء وفقاً للمذهب الشيعي ؟*
- *وما هو الدليل الشرعي على عدم جواز قول (آمين) في نهاية الفاتحة ؟*
- *ما هي كيفية أدائك للصلاة ؟*
- *ما موقفك من الصحابة ؟*
- *ما موقفك من اليهود ؟*
- *هل سبق لك الاطلاع على كتب الفكر الشيعي ؟*
- *ما مدى اقتناعك بفكرة المهدي المنتظر ؟*
- *هل تروج للفكر ؟ (٨٥)*

ثم ينتهي التحقيق بالعبارة المكررة مع الجميع والتي لا علاقة لها بهذه الأسئلة العقائدية في أغلبها أو إجاباتهم عنها :

> *أنت متهم بالانضمام إلى جماعة سرية غير مشروعة ، الغرض منها تعطيل أعمال الدستور والقوانين ومنع مؤسسات الدولة من ممارسة أعمالها [...] أنت متهم أيضاً باستغلال الدين في الترويج لأفكار متطرفة . (٨٦)*

كان من بين المقبوض عليهم في هذه القضية الدكتور **أحمد** راسم **النفيس** ، والذي أصبح الآن أستاذاً مساعداً بكلية طب المنصورة . وقد روى النفيس لباحثي المبادرة المصرية للحقوق الشخصية خبرته في هذه القضية :

> *خدوني من هنا من المنصورة أنا ومجموعة تانية ورحنا على مكتب أمن الدولة في المنصورة . قضينا هناك ليلة واحدة وبعدها رحلونا على أمن الدولة في لاظوغلي [في القاهرة] . قلعونا كل ملابسنا ما عدا الداخلية وقضينا هناك أسبوعين متكلبشين وعيوننا متغمية وقاعدين على الأرض . طول الأسبوعين ضرب وتعذيب بالكهرباء على يد المحققين . وبعد العرض على النيابة طلعنا على عنابر سجن استقبال طرة . ما كانش فيه تعذيب هناك لكن كنا محبوسين بدون أي فسح والزيارات كانت قليلة ومحتاجة لوسايط كبيرة ولولا هذه الزيارات الشحيحة كنا هلكنا جوعاً . العنابر الجديدة كانت كلها خرسانة وتهويتها سيئة وبعض من كانوا معنا خرجوا مصابين بالسل . (٨٧)*

بعد أكثر من شهرين من الاحتجاز على ذمة التحقيقات حصلت أول مجموعة على قرار بالإفراج في ٩ يناير ١٩٩٧ وكان من بينهم الدكتور أحمد راسم النفيس . (٨٨) ثم تتابع الإفراج التدريجي عن باقي أعضاء المجموعة . وكان الشيخ حسن شحاته الزعيم المزعوم للتنظيم الوهمي آخر من أخلي سبيله في شهر مارس ١٩٩٧ ، أي بعد ستة أشهر من الاحتجاز ، دون أن يوجه إليه اتهام أو يحال إلى المحاكمة . ولا يعلم أحد حتى هذه اللحظة ما إذا كان ملف القضية قد أغلق أم أنه لا يزال مفتوحاً غير أن المؤكد أن أياً من مزاعم التعذيب الذى تعرض له المحتجزون بمقر أمن الدولة بلاظوغلي لم يتم التحقيق فيه بعد .

٣ــ قضية ١٩٨٩:

لم تكن قضية ١٩٩٦ القضية الأولى التي يجبس على ذمتها الدكتور أحمد راسم النفيس . فقبلها بحوالي سبع سنوات كان قد تعرض للاعتقال ضمن مجموعة من ٤١ من المسلمين الشيعة تم اتهامهم بتشكيل تنظيم شيعي بالإضافة إلى ١٦ آخرين هاربين .

تم القبض على هذه المجموعة في ٢ أغسطس ١٩٨٩ . غير أنهم احتجزوا بمعزل عن العالم الخارجي ولم تعلن الدولة عن اعتقالهم لأكثر من أسبوعين ، وهي المدة التي استغرقتها التحقيقات المصحوبة بالتعذيب ، وفقاً لرواية شاهد عيان هو الدكتور النفيس

قبل القبض عليا بيوم سمعت إن فيه ناس اتقبض عليهم في طنطا والمحلة ، وكانوا ناس اعرفهم بالأسامي فقط . اتقبض عليا هنا في المنصورة ولما رحت أمن الدولة قالوا لي أن فيه تنظيم وإن بعض الناس اعترفوا عليا . أخدوني على طنطا بعدها أنا ومجموعة من المنصورة وهناك قابلت مهندس القضية اللي كان نفس ضابط أمن الدولة اللي عذبني لما اتقبض عليا لوحدي سنة ١٩٨٧ بعد محاولة اغتيال [وزير الداخلية الأسبق] حسن أبو باشا . قعدنا في طنطا حوالي أسبوع أنا شخصياً لم أتعرض أثناءه للتعذيب لأني كنت أعرف أحد الضباط وقلت له أنا أحملك المسئولية شخصياً عن أي ايذاء يقع لي . ورغم إني شخصياً لم أعذب-لكن رأيت بعيني وسمعت تعذيب أعضاء آخرين في المجموعة المقبوض عليها . كنت أسمع صراخ زملائي وهما بيتكهربوا وهم معلقين من السقف . بعدها رحلونا على القاهرة واتقسمنا مجموعتين واحدة كانت في سجن أبو زعبل الصناعي وأنا كنت فيها ، والتانية كانت في سجن استقبال طرة . (٨٩)

وفي ٢١ أغسطس ١٩٨٩ قررت الدولة أخيراً الإعلان عن القبض على هذه المجموعة . جاء الإعلان على لسان النائب العام وقتها المستشار جمال شومان الذى صرح لوكالة رويترز بأن " التنظيم " يضم ٥٢ مصرياً وأربعة سعوديين وإيرانياً ، وأنهم كانوا ، كالعادة ، يهدفون " إلى ترويج الفكر الشيعي في الأوساط الجماهيرية ذات الاتجاهات المتطرفة كما يهدف إلى القيام بأعمال عدائية ضد بعض المصالح الأمريكية

والإسرائيلية والسعودية والكويتية في مصر متمثلة في سفارات هذه الدول وشركات طيرانها." (٩٠)

غير أن صحيفة الأهرام الرسمية لم تلبث أن أعلنت السبب الرئيسي لاعتقال هؤلاء الأفراد ، حيث نقلت عن مصدر بنيابة أمن الدولة العليا أن التحقيقات قد كشفت عن :

اعتناق أعضاء التنظيم للمذهب الشيعي الجعفري الذي يتعارض مع السنة النبوية الشريفة ويسب الصحابة والسيرة النبوية . (٩١)

ويبدو واضحاً من متابعة الصحف الصادرة وقتها أن القبض على هذا " التنظيم " الشيعي الجديد كان جزءاً من سياسة أمنية تهدف إلى ضرب كافة أشكال الاختلاف وتحويلها إلى قضايا تحوز تغطية إعلامية مكثفة ، يتم خلالها تشويه صورة المقبوض عليهم وادعاء ارتباطهم بقوى خارجية تحاول زعزعة أمن البلاد . ويظهر ذلك من توارى القبض على هذه المجموعة مع القبض على مجموعة من اليساريين بعد القمع الرسمي العنيف لإضراب عمال مصانع الحديد والصلب . وكانت اللغة التي استخدمتها وزارة الداخلية في الحديث عن المجموعتين متشابهة إلى درجة التطابق . بل إن عدد المقبوض عليهم في التنظيمين كان واحداً وهو ٥٢ متهماً . (٩٢) ووصل الارتباط بين القضيتين إلى ذروته حين تحدث عنهما وزير الداخلية وقتها زكى بدر بعد صلاة الجمعة بأحد مساجد منطقة عين شمس ، حيث جاء في الخبر الصحفي عن اللقاء :

أكد زكي بدر وزير الداخلية أننا ضد التطرف بأشكاله المختلفة وأن أجهزة الأمن ضبطت خلال الأيام القليلة الماضية تنظيمين استهدفا الإخلال بالأمن والتخريب وإثارة الجماهير . أحدهما التنظيم الشيعي [...] وسافر بعض أعضائه للتدريب في سوريا وقبرص على أعمال التخريب في مصر . والآخر تنظيم شيوعي في بلد اسلامي لا تصلح به المبادئ الشيوعية [...] أطلق على نفسه اسم " حزب العمال الشيوعي المصري " استهدف أمن مصر والتحريض على الثورة وقلب نظام الحكم مستغلين رغيف العيش والأسعار في إثارة الجماهير . (٩٣)

وبعد ثلاثة أشهر ونصف قضاها الدكتور أحمد راسم النفيس في سجن أبو زعبل الصناعي على ذمة القضية تم الإفراج عنه مع رفاقه المقبوض عليهم دون توجيه اتهام لأحد . (٩٤)

٤ــ قضية ١٩٨٨ :

شهد عام ١٩٨٨ أول قضية يقبض فيها على " تنظيم شيعي " في مصر . وما حدث في هذه القضية رسخ معالم جميع القضايا اللاحقة التي تم عرضها أعلاه حتى ٢٠٠٤ . التفاصيل واحدة : القبض على مجموعة من الأفراد المشتبه في انتمائهم أو تحولهم للمذهب الشيعي . ثم التعذيب الجماعي للمقبوض عليهم أثناء التحقيق . بعدها يأتي تسريب أنباء التحقيقات للإعلام مصحوبة باتهامات العمالة للخارج . وبعد فترة الاعتقال المطول يأتي الإفراج دون اتهام أو محاكمة وأيضاً دون تعويض أو حتى اعتذار .

شملت هذه القضية ، التي أطلقت عليها بعض الصحف قضية " التنظيم الخميني " ، ٢٠ متهماً محبوساً وتسعة هاربين تم القبض عليهم في شهر يونيو من عام ١٩٨٨ . (٩٥) كان من بين هؤلاء يحيى شفيق الذي ألقي القبض عليه بعدها في قضية الزقازيق عام ٢٠٠٢ . التقت المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع يحيى الذي روى ما حدث له :

خدوني من البيت على زنزانة في مكتب لأمن الدولة عند مساكن أبو زعبل . كنت متغمي وايديا متكلبشة ورا ضهري . وقبل التحقيق قلعوني كل هدومي سابوني بس بالملابس الداخلية . وأنا واقف كان الضابط بيسألني عن أسامي ناس كتير مقبوض عليهم معايا وكذا ايد من ورا تنزل على قفايا مع كل سؤال بمنتهى القسوة كنت باحس إن روحي هتطلع مع كل قفا . (٩٦)

لم يتعرض يحيى هذه المرة للصعق الكهربي . كان هذا ينتظره بعد أربعة عشر عاماً في قضية الزقازيق . لكنه تحدث عن التعذيب الجماعي للمقبوض عليهم بالضرب بالأيدي والأرحل والعصي بشكل لم يترك آثاراً تسوغ إحالتهم للطب الشرعي.

قصي يحيى ورفاقه قرابة خمسة أشهر في هذه القضية بين نيابة أمن الدولة وسجن أبي زعبل الصناعي قبل أن تخلي نيابة أمن الدولة العليا سبيلهم جميعاً بعد اكتشاف عدم وجود قضية من الأساس . غير أن حياة يحيى شفيق لم تعد كسابق عهدها قبل القبض عليه لأول مرة ، حيث بدأ ما يطلق عليه سنوات الاستضافة الإجبارية بأمن الدولة منذ الإفراج عنه في نهاية ١٩٨٨ .

٥ــ الاستدعاءات و "الاستضافات " :

منذ خروج يحيى شفيق من سجن أبو زعبل الصناعي في عام ١٩٨٨ بدأ رجال مباحث أمن الدولة في استدعائه للتحقيق عدة مرات في السنة . وروى يحيى لباحثي المبادرة المصرية للحقوق الشخصية كيف كان يتم استدعاؤه كلما حدث تغيير في صفوف ضباط أمن الدولة وجاء ضابط جديد ، حيث يتم إجباره على الذهاب لتقديم نفسه للمسئول الجديد . وهذا بخلاف المرات العديدة التي تعرض فيها يحيى للقبض " الوقائي " . يقول

تقريباً مفيش ولا شهر رمضان قضيته مع أسرتي . أول ما بيجي رمضان ياخدوني يقعدوني عندهم في أمن الدولة من غير تحقيق ولا أسئلة . ويطلعوني تاني أو تالت يوم العيد . أول ما أوصل يقلعوني ويسيبوني مرمي في الحبس . في الأيام التانية اقعد ١٥-٢٠ يوم وبعدين أطلع . (٩٧)

أما في الاستدعاءات :

المخبر بيجي البيت يقول لي كلم البيه . أروح تاني يوم الساعة ٩ صباحاً وافضل قاعد لغاية ٣ صباحاً تاني يوم على كرسي وبعدين يقولوا لي تعالى بكرة تاني . (٩٨)

وعندما كان يسمح ليحيى أخيراً بمقابلة الضابط الذى أرسل فى طلبه :

يقعد يسألني بتقابل مين؟ وبتشوف فلان أو علان؟ ويسألني عن المذهب الشيعي ، وإذا كنت لسه باصلي على شقفة . ايه رأيك في عمر [بن الخطاب]؟ وهكذا . (٩٩)

وتؤثر هذه الاستدعاءات والاعتقالات بطبيعة الحال على الحياة اليومية ليحيى الذى يعيش مع أسرة كبيرة مكونة من زوجتين و ١٤ ابناً وبنتاً . يقول :

انا باشتغل في عمل اللافتات والإعلانات . كل ما يبدأ حالي يتعدل ويجيني شغل بيعتوا يطلبوني أو بيجو ياخدوني وترجع الحالة زى الأول تاني . لغاية ما بقيت باعتمد على ايراد ورشة تصليح السيارات بتاعة ابني . (١٠٠)

وروى يحيى للمبادرة كيف اضطر للانتقال مع أسرته من مسكنهم ١١ مرة منذ تحوله للمذهب الشيعي عام ١٩٨٢ لكى يتفادى الاعتقالات والاستدعاءات المتكررة بما يعيد للأذهان صور الفارين بدينهم فى العصور الوسطى . ولكن :

كانوا دايماً بيقدروا يستدلوا على عنواني الجديد من ملفات أولادي اللي كنت بانقلها بين المدارس . لدرجة إني في وقت من الأوقات منعت ولادي من الذهاب للمدارس علشان أمن الدولة ما يعرفوش طريقي . (١٠١)

ورغم أن الاستدعاءات لمقابلة ضباط أمن الدولة غير ملزمة وغير قانونية ، فإن يحيى دائماً يخشى من عواقب تخلفه عن الذهاب !

لو ما رحتش ممكن يعملوا لي قضية . أو يقبضوا عليا ويقعدوني عندهم من غير ما حد يسأل فيا ، وبخاف يقبضوا على أسرتي لو أنا هربت . أو يضربوني بالنار ويقولوا عنصر هارب من الجماعات المتطرفة وقاوم الشرطة فأطلقت عليه النار . اتنقلت بين القاهرة والقليوبية والشرقية وبرضه مفيش فايدة . دلوقتي خلاص استسلمت وعرفت إن ده قدري .

لكن هذا لا ينبغي أن يكون قدر يحيي شفيق . فمن حقه أن يعيش فى أمان مع أسرته وأن يهتم بعمله دون الحياة فى رعب فى انتظار الاستدعاء القادم أو الاعتقال التالى .

من حقه أن يعتنق من المذاهب ما شاء وأن يمارس حياته الدينية دون تدخل من الدولة . ومن حقه أن يرى من اعتدوا عليه وانتهكوا حقوقه عبر سنوات يلقون حسابهم .

٥٦- عبده مغربي ، ليست نكتة..مسيحى فى تنظيم شيعى بالزقازيق ، صحيفة صوت الأمة ، عدد ١٨ نوفمبر ٢٠٠٢.

٥٧- السابق .

٥٨- كان يحيى شفيق متهماً فى أول قضية ضد الشيعة فى مصر عام ١٩٨٨ كما سيرد أدناه .

٥٩- مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع يحيى شفيق ، القاهرة ، ٣ ديسمبر ٢٠٠٢ .

٦٠- السابق .

٦١- السابق .

٦٢- عبده مغربي ، ليست نكتة..مسيحى فى تنظيم شيعى بالزقازيق ، صحيفة صوت الأمة ، عدد ١٨ نوفمبر ٢٠٠٢.

٦٣-مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع يحيى شفيق ، القاهرة ، ٣ ديسمبر ٢٠٠٢ .

٦٤- فى مقابلة لاحقة قال يحيى شفيق : إن محمود يوسف تم استبقاؤه رهن الاحتجاز مدة أطول نظراً لأن سمير يوسف صاحب المطبعة تعرف عليه وشهد أنه كان ينقل له ملازم الكتب والأموال اللازمة لطباعتها . مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع يحيى شفيق ، القاهرة ، ١١ يونيو ٢٠٠٤.

٦٥- عبد الحفيظ حسن ، النيابة المصرية تفرج عن متهم بعضوية " تنظيم شيعي " يسعى لقلب نظام الحكم ، صحيفة الشرق الأوسط ، عدد ٢٩ نوفمبر ٢٠٠٢ .

٦٦- مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع يحيى شفيق ، القاهرة ، ٣ ديسمبر ٢٠٠٢ .

٦٧- السابق.

٦٨- تم تسجيل القضية برقم ٤٩٢ لسنة ٢٠٠٣ حصر أمن دولة عليا .

٦٩- وائل الأبراشي ، الشيعة والأزهر والداخلية ، مجلة روز اليوسف ، عدد ٢٠ ديسمبر ١٩٩٦ .

٧٠- الأهرام ، إمام مسجد كوبرى الجامعة له دور رئيسى فى نشر الفكر الشيعي ، عدد ٢٣ أكتوبر ١٩٩٦ .

٧١- وائل الأبراشي ، الشيعة والأزهر والداخلية ، مجلة روز اليوسف ، عدد ٢٠ ديسمبر ١٩٩٦ .

٧٢- السابق .

٧٣- الأهرام ، القبض على ٥٦ من قيادات التنظيم الشيعى فى خمس محافظات ، عدد ٢٤ أكتوبر ١٩٩٦ .

٧٤- أحمد موسى ، إرسال الكتب والأبحاث المضبوطة مع التنظيم الشيعى للأزهر الشريف لفحصها وتقديم تقرير للنيابة ، الأهرام ، عدد ١٧ نوفمبر ١٩٩٦ .

٧٥- السابق .

٧٦- وكالة الأنباء الفرنسية ، إيران تنفى علاقتها بالتنظيم الشبعى المصرى ، صحيفة القبس ، عدد ٢٤ أكتوبر ١٩٩٦ .

٧٧- وائل الأبراشي ، مفاجآت فى قضيتى شيخ كوبرى الجامعة والتنظيم الشيعي ، مجلة روز اليوسف ، عدد ٤ نوفمبر ١٩٩٦ .

٧٨- الأهرام ، القبض على ٥٦ من قيادات التنظيم الشيعى فى خمس محافظات ، عدد ٢٤ أكتوبر ١٩٩٦ .

٧٩- السابق .

٨٠- صحيفة العربي ، مصدر أمنى : مراقبة خطباء المساجد ، عدد ٢٨ أكتوبر ١٩٩٦ .

٨١- أحمد موسى ، إرسال الكتب والأبحاث المضبوطة مع التنظيم الشيعى للأزهر الشريف لفحصها وتقديم تقرير للنيابة ، الأهرام ، عدد ١٧ نوفمبر ١٩٩٦.

٨٢- وائل الأبراشي ، نص التحقيقات مع أعضاء التنظيم الشيعى الأخير ، مجلة روز اليوسف ، عدد ٢٥ نوفمبر ١٩٩٦.

٨٣- السابق .

٨٤- السابق .

٨٥- السابق .

٨٦- السابق .

٨٧- مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع الدكتور أحمد راسم النفيس ، المنصورة ، ٧ يونيو ٢٠٠٤ .

٨٨- السابق .

٨٩- مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع الدكتور أحمد راسم النفيس ، المنصورة ، ٧ يونيو ٢٠٠٤ .

٩٠- رويترز ، اعتقال ٤١ شخصاً في مصر بتهمة تأسيس تنظيم شيعى سرى لقلب نظام الحكم ، صحيفة الرأي ، عدد ٢١ أغسطس ١٩٨٩ .

٩١- الأهرام ، التحقيق مع تنظيم شيعى متطرف تابع لإيران يضم ٥٢ متهماً ، عدد ٢١ أغسطس ١٩٨٩ .

٩٢- من الصدفة أن هذا هو نفس عدد الرجال الذين قبض عليهم فـــى مـــايو ٢٠٠١ وحوكموا فى القضية المعروفة باسم (الكوين بوت) بتهمة تكوين تنظيم لازدراء الأديان وممارسة الفجور . واتضح فيما بعد وهمية هذا التنظيم كسابقيه وأن هؤلاء الرجال تـــم اعتقالهم للاشتباه فى كونهم مثليين جنسياً .

٩٣- حسن الشايب ، زكى بدر مع المصلين فى عين شمس : أطنان المنشورات مـــع التنظيم الشيوعي ، تدريبات على التخريب للتنظيم الشيعى ، صحيفة الجمهورية ، ٢٦ أغسطس ١٩٨٩ .

٩٤- تم تسجيل القضية برقم ٨٩/٤٩٦ أمن دولة عليا ومن غير الواضح ما إذا كـــان ملفها حفظ ام لايزال مفتوحاً .

٩٥- جمال عقل ، اتهام التنظيم الخمينى هذا الأسبوع ، صحيفة الجمهورية ، عـــدد ٩ يوليو ١٩٨٨.

٩٦- مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع يحيى شفيق ، القاهرة ، ١١ يونيو ٢٠٠٤ .

٩٧- السابق .

٩٨- السابق .

٩٩- السابق .

١٠٠- السابق .

١٠١- مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع يحيـــى شـــفيق ، القـــاهرة ، ٣ ديسمبر ٢٠٠٢ .

الفصل الثالث
الشيعة وحرية المعتقد فى القانون والممارسة

الدينى والسياسى

فى كل مرة تعرض المسلمون الشيعة فى مصر للاعتقال كانت أسباب سياسية تساق لتبرير هذه الاعتقالات . وكانت الاتهامات العشوائية تتشابه دائماً مع تلك التى يواجه بها المقبوض عليهم فى قضايا التنظيمات الدينية فى مصر : تشكيل تنظيم محظور ، أو الاتصال بدول أو تنظيمات أجنبية ، أو تلقى الأموال أو التدريبات من الخارج ، أو محاولة نشر أفكار متطرفة ، إلى آخر القائمة المعتادة .

غير أن القضايا الخمس الكبيرة التى صممتها مباحث أمن الدولة على مدى ١٦ عاماً وتم عرضها فى هذا التقرير بالتفصيل انتهت جميعاً بإخلاء سبيل المتهمين دون محاكمة أو توجيه اتهام من الأصل . رغم حملة التشويه العلنى للمقبوض عليهم والتى صاحبت كل واحدة من هذه القضايا .

وقد يكون مرجع الصعوبة فى تقديم المقبوض عليهم للمحاكمة فى كل هذه القضايا أنهم جميعاً كانوا ينتمون للمذهب المعروف بالشيعة الإمامية الإثناعشرية أو الجعفرية ، والذى أفتى الأزهر بجواز التعبد به منذ أوائل ستينات القرن الماضى . (١٠٢)

وبغض النظر عن الأسباب السياسية التى يتم إعلانها كلما تم القبض على شيعة مصريين ، فإن الأسباب الدينية لهذه الاعتقالات سرعان ما تظهر سواء فى شكل تصريحات أو إهانات معادية للمذهب الشيعى نفسه ، أو توجيه الأسئلة المتطفلة حول المعتقدات الدينية للمتهمين أو المقبوض عليهم ، أو حتى محاولة تغيير معتقداتهم فى بعض الحالات .

والأمثلة أكثر من أن تحصى على التعصب الدينى لضباط أمن الدولة ضد الشيعة . فالدكتور أحمد راسم النفيس يروى مقابلة ذات دلالة مع الضابط الذى أجرى معه التحقيق قبيل الإفراج عنه عام ١٩٩٧ :

قبل ما أخرج ضابط أمن الدولة قال لى " هافضل متابعك ولو عملت أى حاجة هتشوف هاعمل فيك ايه . أنا مستعد أغفر لأعضاء الجماعة الإسلامية رغم إنهم بيقتلونا لكن ما أغفرش لك لأن الجماعة الإسلامية على نفس عقيدتى ، " (١٠٣)

وقبل هذه الواقعة يتذكر الدكتور النفيس كيف كان ضباط أمن الدولة أثناء التحقيق فى قضية ١٩٨٩ يعذبون زميله محمود دحروج :

كان وهو متعلق يقولوا له " يا ابن الكلب بتسبوا الصحابة؟ بتسبوا عمر بن الخطاب أول من أذن على الكعبة يا ولاد الكلب ؟ " (١٠٤)

وقد عرضناه فى الفصل الثانى من هذا التقرير كيف نقلت صحيفة الأهرام عن مصدر بنيابة أمن الدولة العليا أن سبب اعتقال المتهمين فى نفس القضية عام ٨٩ هو " اعتناق أعضاء التنظيم للمذهب الشيعى الجعفرى الذى يتعارض مع السنة النبوية الشريفة ويسب الصحابة والسيرة النبوية " . (١٠٥)

وفى تقرير صحفي عن واقعة القبض على محمد الدرينى فى أحداث ٢٠٠٤ نقلت صحيفة صوت الأمة عن أحد أقارب الدرينى الذى شهد القبض عليه أن أحد ضباط الأمن الذين ألقوا القبض على الدرينى سأله " مش عاجبك تفسير القرآن يا دريني؟ عايز تفسره من جديد؟ " .(١٠٦)

كما أن أحمد جمعة المقبوض عليه مع مجموعة رأس غارب فى العام ذاته شكا لباحثى المبادرة المصرية للحقوق الشخصية كيف كان ضباط أمن الدولة يتعمدون سبه وسب آل البيت أثناء التحقيقات . (١٠٧) وروى لنا زميله عادل الشاذلى كيف أجبر مع أحمد حمعة فى الغردقة على كتابة إقرارات " بالابتعاد عن جميع المذاهب الإسلامية المتطرفة والالتزام بالنهج المعتدل " .(١٠٨)

وإلى جانب هذا التعصب الدينى البغيض وازدراء الأديان المجرم قانوناً (١٠٩) ، فإن كلاً من ضباط مباحث أمن الدولة ووكلاء نيابة أمن الدولة العليا لم يتورعوا أثناء التحقيقات عن انتهاك خصوصيات المقبوض عليهم والتفتيش فى ضمائرهم ومعتقداتهم بحثاً عن دليل إدانة ما . **فيحيى شفيق** مثلاً يروى كيف تعرض لتحقيق مفصل ومتكرر حول معتقداته كشيعى فى كل مرة يتم القبض عليه أو يستدعى لمقابلة أحد ضباط مباحث أمن الدولة . فيواجه أسئلة من قبيل " إيه رأيك فى عمر بن الخطاب؟ " و "لسه بتصلى على الشقفة ولا بطلت؟ " . (١١٠) وهى نفس الأسئلة التى تم توجيهها إلى **إسماعيل الحاج** حين تم توقيفه ضمن المجموعة الأولى من موقوفى رأس غارب فى ديسمبر ٢٠٠٤ . وهذا بالطبع بعد توجيه السؤال الأكثر شيوعاً : " **بتصلى ازاى؟** " .

وكان المثال الصارخ على محاكم التفتيش التى ينصبها وكلاء نيابة أمن الدولة العليا للمسلمين الشيعة هى القائمة الطويلة من الأسئلة الدينية البحتة التى تم توجيهها لبعض المقبوض عليهم فى قضية ١٩٩٦ والتى تم عرضها فى الفصل الثانى من هذا التقرير . حيث تضمنت هذه القائمة أسئلة من قبيل " ما هو الدليل الشرعى على عدم جواز قول (آمين) فى نهاية الفاتحة؟ " و "ما هى كيفية أدائك للصلاة؟ " و "ما موقفك من الصحابة؟ " .

غير أن هذا الشكل المزعج من الاعتداء على الحق فى حرية المعتقد يتوارى خجلاً إلى جانب محاولة بعض ضباط أمن الدولة تغيير المعتقدات الدينية للمقبوض عليهم . فالدكتور أحمد راسم النفيس يحكى أن أحد الضباط عرض عليه أثناء التحقيق أن يأتى له بأحد شيوخ الأزهر ليناقشه فى معتقداته بغرض إرجاعه للمذهب السنى . (١١١)

وفى مناسبة أخرى قال له ضابط آخر صراحة " إحنا مش عاوزين فى مصر وهابيين ولا شيعة [!] ". (١١٢)

بينما يروى يحيى شفيق كيف سأله ضابط أمن الدولة بالقاهرة بعد إخلاء سبيله فى قضية ٢٠٠٢ : " إنت مش عايز تتوب ؟ " . (١١٣)

ويضيف يحيى :

فى الاستدعاءات ضابط أمن الدولة يسألنى عن المذهب الشيعى أقول له يا بيه ده مذهب خامس ويجوز التعبد بيه والأزهر بيعترف بيه فيقول لى " مذهب خامس يا بن الكلب؟ ده مذهب مبتدع مالهوش أصل " . وواحد تانى يفضل يقول لى " يا له ده انت على الباطل . ده مذهب عبد الله بن سبأ . انتوا بتحرفوا القرآن وتكفروا أمهات المؤمنين وتغيروا ترتيب سور القرآن . مش ناوى ترجع للحق ؟ " . (١١٤)

فى القانون :

يضمن **الدستور المصرى** الصادر عام ١٩٧١ حماية حرية العقيدة ، حيث تنص المادة ٤٦ من الدستور على أن " تكفل الدولة حرية العقيدة وحرية ممارسة الشعائر الدينية. " كما يضمن الدستور المصرى المساواة بين المواطنين فى ممارسة جميع الحقوق والحريات التى ينص عليها ويجرم التمييز بين المواطنين على أسس عدة ، من بينها الدين والعقيدة . (١١٥)

وإضافة إلى الحماية الدستورية ، فإن الحكومة المصرية تخضع لالتزام قانونى بضمان وحماية حرية الدين والعقيدة بعد تصديقها على كل من **العهد الدولى للحقوق المدنية والسياسية فى** عام ١٩٨٢ ، **والميثاق الأفريقى لحقوق الإنسان والشعوب فى** عام ١٩٨٤ . (١١٦)حيث تنص المادة ١٨(١) من العهد الدولى على أن :

لكل إنسان حق فى حرية الفكر والوجدان والدين . ويشمل ذلك حريته فى أن يدين بدين ما ، وحريته فى اعتناق أى دين أو معتقد يختاره ، وحريته فى إظهار دينه أو معتقده بالتعبد وإقامة الشعائر والممارسة والتعليم ، بمفرده أو مع جماعة ، وأمام الملأ أو على حدة . (١١٧)

كما تضمن المادة ٨ من الميثاق الأفريقى أن " حرية العقيدة وممارسة الشعائر الدينية مكفولة . " (١١٨)

ويشترك الدستور المصرى مع العهد الدولى للحقوق المدنية والسياسية فى اعتبارهما الحق فى عدم التعرض للإكراه بسبب المعتقد الدينى أو من أجل تغييره المكون الأساسى لحرية الدين والمعتقد . فقد قالت المحكمة الدستورية العليا فى مصر فى معرض تفسيرها لأبعاد ومكونات الحماية الدستورية للحق فى حرية العقيدة إن :

هذه الحرية ــ فى أصلها ــ تعنى ألا يحمل الشخص على القبول بعقيدة لا يؤمن بها أو التنصل من عقيدة دخل فيها أو الإعلان عنها [...] ولا يجوز كذلك فى المفهوم الحق لحرية العقدة [...] أن تيسر الدولة ــ سراً أو علانية ــ الانضمام إلى عقيدة ترعاها إرهاقاً لآخرين من الدخول فى سواها ولا أن يكون تدخلها بالجزاء عقابا لمن يلوذون بعقيدة لا تصطفيها[...] . (١١٩)

وبالمثل فإن المادة ١٨(٢) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية تجرم " تعريض أحد لإكراه من شأنه أن يخل بحريته في أن يدين بدين ما ، أو بحريته في اعتناق أي دين أو معتقد يختاره . "

وفي التفسير الرسمي لمحتوى الحق في حرية الدين والعقيدة قالت **لجنة الأمم المتحدة المعنية بحقوق الإنسان** ، وهي الهيئة المسئولة عن تفسير ومراقبة تنفيذ العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية :

حرية كل إنسان في أن " يكون له أو يعتنق " أي دين أو معتقد تنطوي بالضرورة على حرية اختيار دين أو معتقد ، وهي تشمل الحق في التحول من دين أو معتقد إلى آخر أو في اعتناق آراء إلحادية ، فضلاً عن حق المرء في الاحتفاظ بدينه أو معتقده . وتمنع المادة ١٨-٢ الإكراه الذي من شأنه أن يخل بحق الفرد في أن يدين بدين أو معتقد أو أن يعتنق ديناً أو معتقداً ، بما في ذلك التهديد باستخدام القوة أو العقوبات الجزائية لإجبار المؤمنين أو غير المؤمنين على التقيد بمعتقداتهم الدينية والإخلاص لطوائفهم ، أو على الارتداد عن دينهم أو معتقداتهم أو التحول عنها . (١٢٠)

ومثلما نصت المحكمة الدستورية العليا في حكمها المذكور أعلاه على أن حرية العقيدة " لا قيد عليها " ، (١٢١)فإن المادة ٤(٢) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية تمنع فرض أية قيود على حرية العقيدة حتى في أوقات الطوارئ العامة . وهو نفس الرأي الذي ردده **المقرر الخاص لحرية الدين والمعتقد لدى الأمم المتحدة** عندما حذر من " ردود الفعل العاطفية " تجاه تهديد الإرهاب والتي " أطاحت بعيداً بالمنطق " ، وأكد أن " الإرهاب والتطرف يجب أن يحاربا ، ولكن هذه الحرب لا ينبغي أن تبرر أي فعل " . (١٢٢)

ومن ثم فإن التحقيق مع المعتقلين في قضايا الشيعة بشأن معتقداتهم الدينية بأسئلة من نوع " بتصلي إزاي؟ " أو محاولة إثنائهم عنها بأسئلة من نوع " مش ناوي تتوب؟ " أو تعريضهم للاعتقال والتعذيب بسبب معتقداتهم الدينية أو بغرض تغييرها كلها تعد انتهاكاً للمسئولية القانونية للدولة عن حماية حق هؤلاء الأفراد في حرية الدين والعقيدة ، حتى لو تم ذلك أثناء فرض حالة طوارئ أو شن حرب مزعومة على الإرهاب .

كما أكدت المحكمة الدستورية العليا على كون حرية ممارسة الشعائر الدينية جزءاً لا يتجزأ من الحق في حرية العقيدة ، حيث قالت إن :

[...]حرية العقيدة لا يجوز فصلها عن حرية ممارسة شعائرها ، وهو ما حمل الدستور على أن يضم هاتين الحريتين في جملة واحدة جرت بها مادته السادسة والأربعون بما نصت عليه من أن حرية العقيدة وحرية ممارسة الشعائر الدينية مكفولتان وهو ما يعني تكاملهما وأنهما قسيمان لا ينفصلان وأن ثانيتهما تمثل مظاهر أولاهما باعتبارها انتقالاً بالعقيدة من مجرد الإيمان واختلاجها في الوجدان إلى التعبير عن محتواها عملاً ليكون تطبيقها حياً فلا تكمن في الصدور[...] . (١٢٣)

وهو نفس المعنى المتضمن فى المادة ١٨(١) من العهد الدولى للحقوق المدنية والسياسية التى أكدت على حرية الإنسان " فى إظهار دينه أو معتقده بالتعبد وإقامة الشعائر والممارسة والتعليم ، بمفرده أو مع جماعة ، وأمام الملأ أو على حدة . "

وبينما لا يجوز فرض أية قيود على حرية العقيدة ، فإن الدستور المصرى والقانون الدولى يسمحان بتقييد حرية إقامة الشعائر فى ظروف معينة وبضمانات محددة . فالمحكمة الدستورية أضافت فى الحكم ذاته :

[...] ومن ثم ساغ القول بأن أولاهما [حرية العقيدة] لا قيد عليها وأن ثانيتهما [حرية إقامة الشعائر] يجوز تقييدها من خلال تنظيمها توكيداً لبعض المصالح العليا التى ترتبط بها وبوجه خاص ما يتصل منها بصون النظام العام والقيم الأدبية وحماية حقوق الآخرين وحرياتهم . (١٢٤)

أما العهد الدولى للحقوق المدنية والسياسية فكان أكثر تحديداً للأسباب التى يجوز على أساسها تقييد حرية ممارسة الشعائر . فقد حصرتها المادة ١٨(٣) من العهد فى الأسباب " التى تكون ضرورية لحماية السلامة العامة أو النظام العام أو الصحة العامة أو الآداب العامة أو حقوق الآخرين وحرياتهم الأساسية " . ثم أضافت اللجنة المعنية بحقوق الإنسان ضمانات أخرى حين نصت على أن :

[...]القيود المفروضة يجب أن ينص عليها القانون كما يجب عدم تطبيقها على نحو يبطل الحقوق المكفولة فى المادة ١٨[بشأن حرية الدين والمعتقد] . وتلاحظ اللجنة أنه ينبغى تفسير الفقرة ٣ من المادة ١٨ تفسيرا دقيقا : فلا يسمح بفرض قيود لأسباب غير محددة فيها ، حتى لو كان يسمح بها كقيود على حقوق أخرى محمية فى العهد ، مثل الأمن القومى . ولا يجوز تطبيق القيود إلا للأغراض التى وضعت من أجلها ، كما يجب أن تتعلق مباشرة بالغرض المحدد الذى تستند إليه وأن تكون متناسبة معه . ولا يجوز فرض القيود لأغراض تمييزية أو تطبيقها بطريقة تمييزية . (١٢٥)

وبالنسبة للميثاق الأفريقى لحقوق الإنسان والشعوب فقد خلا من أية ضمانات ضد التوسع فى القيود المفروضة على حرية العقيدة أو ممارسة الشعائر . فقد نصت المادة ٨ من الميثاق على أنه " لا يجوز تعريض أحد لإجراءات تقيد ممارسة هذه الحريات ، مع مراعاة القانون والنظام العام. " وبالرغم من هذا السقف المنخفض للحماية فإنه يبدو أن توجه اللجنة الإفريقية لحقوق الإنسان والشعوب ، والمنوط بها مراقبة تنفيذ الميثاق والحكم فى الشكاوى المقدمة ضد الدول بشأن انتهاكه ، هو السماح للدول بتقييد حرية ممارسة الشعائر فقط فى حال كون هذه الشعائر تمثل " تهديداً للقانون والنظام . " (١٢٦)

ومن هنا فإن القبض على الشيعة أو التحقيق معهم بـ "تهمة " الصلاة على شقفة ، أو الجهر باتباع المذهب الشيعي ، أو الإيمان بفكرة المهدى المنتظر ، الخ تمثل تقييداً مجرماً بموجب الدستور المصرى - حيث لا يحقق أياً من " المصالح العليا " التى تحدثت عنها المحكمة الدستورية العليا- وكذلك القانون الدولى لا يقع موقعه تحت أى من الأسباب التى تبرر التقييد .

كما أن الدولة ترتكب انتهاكاً صارخاً لحق المواطنين فى الخصوصية عندما تستجوبهم بشأن معتقداتهم الدينية وتفتش فى ضمائرهم بحثاً عن دليل إدانة . وقد أظهرت اللجنة المعنية بحقوق الإنسان العلاقة بين الحق فى حرية المعتقد والحق فى الخصوصية عندما أحالت فى تعليقها العام عن المادة ١٨ من العهد الدولى الخاصة بحرية الدين والمعتقد إلى المادة ١٧ من العهد والخاصة بالحق فى الخصوصية لتؤكد أنه :

وفقا للمادتين ١٨-٢ و١٧[من العهد الدولى للحقوق المدنية والسياسية] لا يمكن إجبار أى شخص على الكشف عن أفكاره أو عن انتمائه إلى دين أو عقيدة . (١٢٧)

وكانت اللجنة من قبل فى شرحها لمعنى الحق فى الخصوصية قد أكدت على هذه الحقيقة الهامة :

وحيث إن جميع الأشخاص يعيشون فى المجتمع ، فإن حماية الحياة الخاصة مسألة نسبية بالضرورة ، بيد أنه ينبغى ألا يكون بمقدور السلطات العامة المختصة أن تطلب من المعلومات المتعلقة بالحياة الخاصة للفرد إلا ما يكون معرفته ضرورياً حرصاً على مصالح المجتمع على النحو المفهوم بموجب العهد . (١٢٨)

ومن نافلة القول أن توجيه مباحث ونيابة أمن الدولة أسئلة من قبيل " بتصلي إزاي؟ " أو " هل تؤمن بالمذهب الشيعي؟ " أو " هل تقول آمين فى نهاية الفاتحة؟ " لا يمثل أى معلومات ضرورية " حرصاً على مصالح المجتمع " . كما أن نفس الحماية لخصوصية المعتقد الدينى أكدتها المحكمة الدستورية العليا حين قالت إن حرية العقيدة تعنى — ضمن ما تعنى — ألا يحمل الشخص على الإعلان عن عقيدته . (١٢٩)

كما أن المبادرة المصرية للحقوق الشخصية ترى أن حماية الحق فى الخصوصية بموجب الدستور المصرى والقانون الدولى تشمل كذلك حماية الحق فى حرية الدين والمعتقد وفى الحفاظ على خصوصية المعتقد الديني . فالدستور المصرى ينص فى المادة ٤٥ على أن " لحياة المواطنين الخاصة حرمة يحميها القانون. " كما تنص مادته رقم ٥٧ على أن " كل اعتداء على الحرية الشخصية أو حرمة الحياة الخاصة للمواطنين وغيرها من الحقوق والحريات العامة التى يكفلها الدستور والقانون جريمة لا تسقط الدعوى الجنائية ولا المدنية الناشئة عنها بالتقادم ، وتكفل الدولة تعويضًا عادلا لمن وقع عليه الاعتداء. " والمحكمة الدستورية العليا فى تفسيرها لنطاق الحرية الشخصية التى يحمبها الدستور قالت ان مجال هذه الحرية هو " ما يكون لصيقاً بالشخصية ، مرتبطاً بذاتية الإنسان فى دائرة تبرز معها ملامح حياته وقراراته الشخصية فى أدق توجهاتها ، وأنبل مقاصدها ، كالحق فى اختيار الزوج وتكوين الأسرة وأن يتخذ الشخص ولداً " (١٣٠) وهو ما ينطبق بوضوح على الحق فى اختيار المعتقد الدينى والتعبير عنه .

وبالمثل فإن لجنة الأمم المتحدة المعنية بحقوق الإنسان قدمت التعرف التالى للحق فى الخصوصية فى معرض حكمها فى شكوى مقدمة ضد هولندا :

تعتبر اللجنة أن مفهوم الخصوصية يحيل إلى ذلك النطاق في حياة الشخص الذي يمكن له/لها فيه التعبير بحرية عن هويته/هويتها . سواء بالدخول في علاقات مع آخرين أو على حدة . (١٣١)

والمعنى نفسه يردده أحد أهم شراح العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية حين يقول : إن الخصوصبة تحمى الصفات الخاصة والفردية في وجود الإنسان وهوية الشخص . (١٣٢)

إن الدين والعقيدة جزء أساسي من هوية الإنسان وخصوصيته . وقيام أجهزة الأمن المصرية ليس فقط باستجواب المحتجزين بشأن معتقداتهم الدينية وإنما باعتقالهم وتعذيبهم على أساسها سلوك يليق بالعصور الوسطى ويعصف بقرابة ستين عاما من تطوير الحماية القانونية لحقوق الإنسان وكرامته . (١٣٣)

١٠٢- انظر خلفية (١) حول الشيعة في مصر في مقدمة التقرير.

١٠٣- مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع الدكتور أحمد راسم النفيس ، المنصورة ، ٧ يونيو ٢٠٠٤ .

١٠٤- السابق .

١٠٥- الأهرام ، التحقيق مع تنظيم شيعي متطرف تابع لإيران يضم ٥٢ متهما ، عدد ٢١ أغسطس ١٩٨٩ .

١٠٦- عبده معربي ، وقائع عملية القبض على امين مجلس رعاية ال البيت ، صحيفة صوت الأمة ، عدد ٢٩ مارس ٢٠٠٤ .

١٠٧-مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع أحمد جمعة ، سجن وادى النطرون ، ١ ابريل ٢٠٠٤ .

١٠٨-مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع عادل الشاذلي ، سجن وادى النطرون ، ١٣ إبريل ٢٠٠٤ .

١٠٩- تعاقب المادة ٩٨ (و) من قانون العقوبات المصري كل من قام بـ "تحقير أو ازدراء أحد الأديان السماوية أو الطوائف المنتمية إليها " بالحبس بين ستة أشهر وخمس سنوات والغرامة بين خمسمائة وألف جنيه مصري .

١١٠- مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع يحيى شفيق ، القاهرة ، ١١ يونيو ٢٠٠٤ .

١١١- مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع الدكتور احمد راسم النفيس ، المنصورة ، ٧ يونيو ٢٠٠٤ .

١١٢- السابق .

١١٣- مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع يحيى شفيق ، القاهرة ، ٣ ديسمبر ٢٠٠٢.

١١٤- مقابلة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية مع يحيى شفيق ، القاهرة ، ١١ يونيو ٢٠٠٤.

١١٥- نص المادة ٤٠ من الدستور المصرى : " المواطنون لدى القانون سواء ، وهم متساوون فى الحقوق والواجبات العامة ، لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة . "

١١٦- وفقا للمادة ١٥١ من الدستور المصرى فإن الاتفاقيات الدولية تكون لها قوة القانون الداخلى بعد التصديق عليها ونشرها .

١١٧- العهد الدولى للحقوق المدنية والسياسية ، متاح بالعربية على http://www١.umn.edu/humanrts/arab/b٠٠٣.html ، زيارة يوليو ٢٠٠٤ .

١١٨- الميثاق الأفريقى لحقوق الإنسان والشعوب ، متاح بالعربية على http://www١.umn.edu/humanrts/arab/b٠٠٣.html ، زيارة يوليو ٢٠٠٤ .

١١٩- حكم المحكمة الدستورية العليا فى الطعن رقم ٨ للسنة القضائية ١٧ ، صدر بتاريخ ١٨ مايو ١٩٩٦ . قضت المحكمة فى هذا الحكم برفض الطعن بعدم دستورية قرار لوزير التعليم بتنظيم ارتداء طالبات المدارس لغطاء الرأس بناء على مخالفته لحرية العقيدة .

١٢٠- لجنة الأمم المتحدة المعنية بحقوق الإنسان ، التعليق العام رقم ٢٢ ، الدورة رقم ٤٨ (١٩٩٣) ، وثيقة الأمم المتحدة رقم HRI/GEN/١/Rev.٥ .

١٢١- حكم المحكمة الدستورية العليا ، السابق .

١٢٢- 'OSCE religion conference opens with call for respect of religious freedom in a press release available at ،fight against terrorism' http://www.osce.org/news/generate.php٣? ews_id=٣٤٣١ ، زيارة يوليو ٢٠٠٤ .

١٢٣- حكم المحكمة الدستورية العليا ، السابق .

١٢٤- السابق .

١٢٥- لجنة الأمم المتحدة المعنية بحقوق الإنسان ، التعليق العام رقم ٢٢ ، السابق ، التوكيد من الكاتب .

١٢٦- انظر مثلا الحكم الصادر فى ١٠ فبراير ١٩٩٥ فى الشكوى المقدمة ضد زائير من كل من جماعة المساعدة القانونية المجانية ولجنة المحامين لحقوق الانسان والاتحاد عبر الأفريقى لحقوق الانسان وجماعة شهود يهوه .

١٢٧- لجنة الأمم المتحدة المعنية بحقوق الإنسان ، التعليق العام رقم ٢٢ ، السابق .

١٢٨- لجنة الأمم المتحدة المعنية بحقوق الإنسان ، التعليق العام رقم ١٦ ، الدورة رقم ٣٢ (١٩٨٨) ، وثيقة الأمم المتحدة رقم HRI/GEN/١/Rev.٥ ، التوكيد من الكاتب .

١٢٩- حكم المحكمة الدستورية العليا ، السابق .

١٣٠- حكم المحكمة الدستورية العليا ، السابق .

١٣١- Coeriel and Aurik v The Netherlands ، Human Rights Committee (٤٥٣/٩١) .

١٣٢- Manfred Nowak ، UN Covenant on Civil and Political Rights : CCPR Commentary ، Arlington ، Va . ،Engel Pub ، ١٩٩٣ ، p ٢٤٩ .

١٣٣- ينطبق الانتهاك المشين ذاته على ما يطلق عليه سياسة وزارة الداخلية فى الإفراج عن " التائبين " ، حيث تشترط وزارة الداخلية التأكد من تغيير المعتقلين لأفكارهم قبل إطلاق سراحهم بعد سنوات

طويلة من الاعتقال دون اتهام أو محاكمة بموجب قانون الطوارئ بسـبب الاشـتباه فـي انتمـائهم لجماعات العنف الديني .

ملحق ٢

تقرير سيمور هيرش

نقلا عن النيويوركر بتاريخ ٢٥-٢-٢٠٠٧

تحول استراتيجى

فى الأشهر القليلة الماضية ، وفى وقت تدهور فيه الوضع فى العراق ، قامت إدارة جورج بوش ، عبر دبلوماسيتها العامة وعملياتها السرية ، بإجراء تحول مهم فى إستراتيجيتها فى الشرق الأوسط . «إعادة التوجيه» تلك ، حسبما يسميها البعض فى البيت الأبيض ، قادت الولايات المتحدة إلى موقع أقرب نحو مواجهة مفتوحة مع إيران وبعض أجزاء المنطقة ، دافعة إياها باتجاه نزاع طائفى متّسع بين الشيعة والسنة .

وبهدف تقويض إيران ، ذات الغالبية الشيعية ، قررت إدارة بوش إعادة ترتيب أولوياتها فى الشرق الأوسط . ففى لبنان ، تعاونت الإدارة مع الحكومة السعودية ، وهى سنية ، فى عمليات سرية تهدف إلى إضعاف حزب الله ، المنظمة الشيعية المدعومة من إيران . كما شاركت الولايات المتحدة فى عمليات تستهدف إيران وحليفتها سوريا . وكانت إحدى النتائج الجانبية لتلك النشاطات دعم المجموعات السنية المتطرفة التى تعتنق رؤية عسكرية للإسلام وهى معادية لأميركا ومتعاطفة مع القاعدة .

ويكمن أحد الجوانب المتناقضة لهذه الإستراتيجية الجديدة ، فى العراق ، حيث تأتى غالبية عنف المتمردين ضد القوات الأمريكية ، من القوى السنية وليس الشيعية . ولكن من وجهة نظر الإدارة ، تعتبر العاقبة الأبرز والعميقة وغير المقصودة للإستراتيجية الجديدة هى تقوية إيران .

وقد أطلق رئيسها محمود أحمدى نجاد تصريحات تحدٍ بشأن إزالة إسرائيل وحول حق بلاده بمواصلة برنامجها النووى . والأسبوع الماضي ، قال أبرز قادتها الدينيين آية الله على خامنئي ، فى تصريح تلفزيوني ، إن «الحقائق فى المنطقة تظهر أن الجبهة المتغطرسة ، بقيادة الولايات المتحدة وحلفائها ، ستكون الخاسر الأساسى فى المنطقة« .
بعد أن حملت ثورة العام ١٩٧٩ الحكومة المتدينة إلى السلطة ، قطعت الولايات المتحدة علاقتها مع إيران وبنت علاقات أوثق مع قادة الدول السنية مثل الأردن ومصر والسعودية . ثم أصبحت هذه الحسابات أشد تعقيداً بعد هجمات الحادى عشر من أيلول ، وخصوصاً مع السعوديين . فالقاعدة منظمة سنية ، والكثير من ناشطيها يتحدرون من دوائر متدينة متطرفة داخل السعودية .

قبل غزو العراق فى العام ،٢٠٠٣ افترض مسئولون فى الإدارة ، متأثرين بإيديولوجيين من المحافظين الجدد ، أن وضع حكومة شيعية هناك (فى العراق) قد يؤمن التوازن الموالى لأميركا مع المتطرفين السنة ، بما أن الغالبية الشيعية فى العراق كانت مقموعة أيام صدام حسين . وقد

تجاهلوا تحذيرات مجتمع الاستخبارات بشأن الصلات بين قادة الشيعة فى العراق وإيران ، حيث عاش بعضهم منفيين لسنوات. الآن ، ولسوء حظ البيت الأبيض ، عقدت إيران علاقة وثيقة مع حكومة نوري المالكي الشيعية .
ونوقشت السياسة الأمريكية الجديدة ، فى خطوطها العريضة ، على الملأ . وخلال شهادتها أمام لجنة العلاقات الخارجية فى مجلس الشيوخ فى كانون الثانى الماضي ، قالت وزيرة الخارجية الأميركية كونديليسا رايس إن هناك «اصطفافا استراتيجيا جديدا فى الشرق الأوسط» يفصل بين «الإصلاحيين» و«المتطرفين» ، مشيرة إلى أن الدول السنية تمثل مراكز الاعتدال ، فيما تقع إيران وسوريا و«حزب الله» ، حسبما قالت ، «فى الجهة الأخرى من هذا التقسيم» . (سوريا ذات غالبية سنية تحكمها الطائفة العلوية) (. وأضافت أن سوريا وإيران «اتخذتا خيارهما وهو زعزعة الاستقرار» .

ومع ذلك ، فإنّ بعض التكتيكات الجوهرية لإعادة التوجيه ليست علنية . ففى بعض الحالات ، أبقيت العمليات السرية مستترة ، من خلال ترك التنفيذ أو التمويل للسعوديين ، أو من خلال إيجاد طرق أخرى للالتفاف حول الآلية النظامية لصرف المخصصات فى الكونغرس ، على حد قول مسئولين حاليين وسابقين مقربين من الإدارة .

وقال لى عضو بارز فى لجنة المخصصات فى مجلس النواب إنه سمع عن الاستراتيجية الجديدة ، ولكنه أحسّ بأنه ، وبعض زملائه ، لم يتم إطلاعهم عليها بشكل لائق . وأضاف «لم نحصل على أية معلومات .. سألنا عما يدور ، فأجابوا أن لا شيء يحصل .. وعندما وجّهنا أسئلة محددة ، قالوا سنطلعكم عليها فى ما بعد» ، واصفاً ذلك بـ«المحبط جدا».

إن اللاعبين الأساسيين وراء إعادة التوجيه هم نائب الرئيس ديك تشيني ، ونائب مستشار الأمن القومي اليوت ابرامز ، السفير الأمريكي فى العراق (ومرشح لمنصب سفير الأمم المتحدة) زلماي خليل زاد ، ومستشار الأمن القومي السعودي الأمير بندر بن سلطان . وفيما كانت رايس مسئولة بشكل وثيق عن رسم السياسة العلنية ، قال المسئولون الحاليون والسابقون إن الجانب السرى كان موجهاً من قبل تشيني . (ورفض مكتب تشيني والبيت الأبيض التعليق على هذه القصة ، أما البنتاغون فلم يجب عن أسئلة محددة ولكنه قال بأن «الولايات المتحدة لا تخطط لحرب مع إيران» .

إن التحول فى السياسة دفع السعودية وإسرائيل إلى ما يشبه »العناق الإستراتيجي الجديد» ، لا سيما أن كلا البلدين ينظران إلى إيران على أنها تهديد وجودى . وقد دخلوا (السعوديون والإسرائيليون) فى محادثات مباشرة ، والسعوديون ، الذين يعتقدون أن استقراراً أوسع فى إسرائيل وفلسطين سيعطى لإيران نفوذاً أقل فى المنطقة ، أصبحوا أكثر تدخلاً فى المفاوضات العربية الإسرائيلية .

وقال مستشار حكومي أمريكي له علاقات وثيقة مع إسرائيل إن الإستراتيجية الجديدة «تعتبر تحولاً رئيسياً فى السياسة الأمريكية . إنها بحر من التغييرات» ، مضيفاً أن الدول السنية »متخوفة من انبعاث شيعي .. وهناك امتعاض متنام حيال مراهنتنا على الشيعة المعتدلين فى العراق .. لا يمكننا ردّ الفوز الشيعي فى العراق ولكننا نستطيع احتواءه».

وقال لى الباحث فى مجلس العلاقات الخارجية فالي نصر ، الذى كتب بشكل موسع عن الشيعة وإيران والعراق إن «نقاشاً جرى على ما يبدو داخل الحكومة حول أيهما يمثل خطراً أكبر :

إيران أو الراديكاليون السنة» ، مضيفاً أن «السعوديين والبعض فى الإدارة يعتقدون أن التهديد الأكبر يتمثل فى إيران وأن الراديكاليين السنة هم الأعداء الأقل شأناً .. انه انتصار للخط السعودي» .

من جهته ، قال المسئول فى وزارة الخارجية الأمريكية في إدارة بيل كلينتون مارتن انديك ، والذى عمل سفيراً لدى إسرائيل ، إن »الشرق الأوسط يتجه نحو حرب باردة خطيرة بين السنة والشيعة» . وأضاف انديك ، وهو مدير مركز «صابان» حول سياسة الشرق الأوسط فى مؤسسة «بروكينغز» ، أنه من غير الواضح ، من وجهة نظره ، ما إذا كان البيت الأبيض مدركاً تماماً للمضامين الإستراتيجية لسياسته الجديدة . وقال إن «البيت الأبيض لا يضاعف رهانه فى العراق فحسب ، بل يضاعف المراهنة عبر المنطقة ، وذلك قد يصبح شديد التعقيد . وكل شيء مقلوب رأساً على عقب» .

ويبدو أن السياسة الجديدة للإدارة من أجل احتواء إيران تعقد إستراتيجيتها من أجل كسب الحرب في العراق . ومع ذلك قال الخبير في الشؤون الإيرانية باتريك كلوسون ، ونائب مدير معهد واشنطن للأبحاث حول سياسة الشرق الأدنى إن علاقات أوثق بين الولايات المتحدة والسنة المعتدلين وحتى الراديكاليين قد تبث «الخوف» فى حكومة نورى المالكى و«تجعله قلقاً من أن السنة قد يكسبون الحرب» الأهلية هناك .

واعتبر كلوسون أن ذلك قد يعطى المالكى حافزاً من أجل التعاون مع الولايات المتحدة فى قمع الميليشيات الشيعية الراديكالية ، مثل جيش المهدى التابع لمقتدى الصدر . وبالرغم من ذلك ، تبقى الولايات المتحدة ، فى الوقت الراهن ، معتمدةً على تعاون القادة العراقيين الشيعة . قد يكون جيش المهدى معادياً للمصالح الأمريكية ، بشكل صريح ، ولكن الميليشيات الشيعية الأخرى تعتبر حليفة للولايات المتحدة . وكلاهما ، مقتدى الصدر والبيت الأبيض ، يدعمان المالكى .

واقترحت مذكرة ، كتبها مستشار الأمن القومي ستيفن هادلي فى أواخر العام الماضي ، أن تحاول الإدارة فصل المالكى عن أشد حلفائه الشيعة راديكالية ، من خلال بناء قاعدته وسط السنة المعتدلين والأكراد ، ولكن حتى الآن ، تميل النزعات نحو الوجهة المعاكسة . ففيما يستمر الجيش العراقى بالإخفاق فى مواجهاته مع المتمردين ، فإن نفوذ الميليشيات الشيعية قد ارتفع بشكل منتظم .

وقال لى المسئول السابق فى مجلس الأمن القومى فى إدارة بوش فلينت ليفيريت «ليس هناك أى شيء عرضى أو يدعو إلى السخرية» فى الإستراتيجية الجديدة تجاه العراق ، ويتابع »الإدارة تحاول جعل القضية أنّ إيران أكثر خطورة واستفزازاً من المتمردين السنة بالنسبة للمصالح الأمريكية فى العراق ، فى حين أنك تجد ، إذا ما نظرت إلى عدد الإصابات الحالية ، أنّ الهجمات التى تصيب الأمريكيين من قبل السنة هى أكبر من حيث الخطورة» .

ويقول ليفيريت «هذا كله جزء من حملة اتخاذ خطوات استفزازية لزيادة الضغوط على إيران ، وتقوم الفكرة على أساس أنّ الإيرانيين فى مرحلة ما سيردون ، وبالتالى يصبح الباب مفتوحاً أمام الإدارة لضربهم» .

وقد أعرب الرئيس جورج بوش ، في كلمة ألقاها في العاشر من كانون الثاني الماضي ، عن هذه المقاربة حين قال إن »هذين النظامين (إيران وسوريا) يسمحان للإرهابيين والمتمردين في استخدام أراضيهما للتحرك من وإلى العراق» ، مضيفاً أن «إيران توفر دعماً مادياً للهجمات على القوات الأمريكية . سنحبط الهجمات على قواتنا . سنعترض تدفق الدعم من إيران وسوريا ، وسنعمل على تدمير الشبكات التي تؤمن الأسلحة المتطورة والتدريب لأعدائنا في العراق» .

في الأسابيع التي تلت ذلك ، أطلقت الإدارة موجة من المزاعم حول تورّط إيران في حرب العراق . ففي ١١ شباط الماضي أظهرت التقارير أجهزة تفجير متطورة تم ضبطها في العراق ، وزعمت الإدارة أن مصدرها إيران . وكان جوهر رسالة الإدارة بهذا الخصوص أنّ الوضع السيئ في العراق لم يكن نتاجاً لفشلها في التخطيط والتنفيذ ، بل بسبب التدخل الإيراني .

إضافة إلى ذلك قام الجيش الأمريكي بتوقيف واستجواب المئات من الإيرانيين في العراق ، وفي هذا الإطار قال أحد مسئولي الاستخبارات السابقين أن »الأوامر صدرت إلى الجيش في آب الماضي للإمساك بأكبر عدد ممكن من الإيرانيين في العراق» ، مضيفاً «لقد قاموا باحتجاز ٥٠٠ شخص دفعة واحدة ، ونحن نتعامل مع هؤلاء للحصول على المعلومات منهم» ، مضيفاً أن «هدف البيت الأبيض يكمن في جعل القضية تبدو أنّ الإيرانيين يقومون بإثارة التمرد وأن إيران ، في الواقع ، تدعم قتل الأمريكيين« . ويقول مستشار في «البنتاغون» أنّ القوات الأمريكية اعتقلت مئات الإيرانيين في الأشهر الماضية ، لكنه أخبرني أنّ من بين هؤلاء عدداً كبيراً من العاملين في مجال المساعدات الإنسانية «تم الإفراج عنهم خلال فترة قصيرة» بعدما أخضعوا للتحقيق .

وفي وقت أعلن وزير الدفاع الأمريكي الجديد روبرت غيتس في الثاني من شباط «أننا لا نخطط لحرب على إيران» ، فإنّ أجواء المواجهات باتت أعمق . وبحسب مسئولين أمنيين وعسكريين حاليين وسابقين ، فإنّ عمليات سرية تمّ تنفيذها في لبنان ترافقت مع عمليات سرية استهدفت إيران ، حيث قامت فرق عسكرية وفرق عمليات خاصة بزيادة وتيرة نشاطاتها في إيران لجمع المعلومات الاستخباراتية . وبحسب مستشار البنتاغون ، فإن بعضها تجاوز الحدود لملاحقة ناشطين إيرانيين في العراق .

وخلال مثول رايس أمام مجلس الشيوخ ، طرح السيناتور الديموقراطي جوزف بيدن ، سؤالاً محدداً حول ما إذا كانت الولايات المتحدة خططت لتجاوز الحدود الإيرانية أو السورية للقيام بملاحقات ، حيث أجابت رايس »من الواضح ، أنّ الرئيس لن يقدم على أي قرار خارج إطار حماية قواتنا ، لكن الخطة تقضي بالقضاء على هذه الشبكات في العراق» ، مضيفة «أعتقد أن كل شخص سيفهم ذلك ، الشعب الأمريكي ينتظر من الكونغرس أن يتوقع قيام الرئيس باتخاذ الإجراءات الضرورية لحماية قواتنا» .

وقد دفعت إجابة رايس الملتبسة بالسيناتور الجمهوري عن ولاية نبراسكا تشاك هاغل ، المعروف بانتقاده للإدارة ، إلى الرد قائلا «يتذكر البعض ما حدث في كمبوديا في العام ١٩٧٠، عندما كذبت حكومتنا على الشعب الأمريكي قائلة إننا لم نتجاوز الحدود باتجاه كمبوديا ، وفي الواقع كنا فعلنا ذلك . أعرف شيئاً حول هذا الأمر ، كما هي الحال بالنسبة للبعض في هذه اللجنة ، وبالتالي ، السيدة الوزيرة ، عندما تشرحين السياسة التي يتحدث عنها الرئيس فإنّ أمراً كهذا يعتبر خطيراً جداً جدًا» .

ويترافق القلق الذى تبديه الإدارة حول دور إيران فى العراق ، بالإنذار المتواصل الذى تطلقه تجاه البرنامج النووى الإيرانى . ففى حديث لشبكة «فوكس نيوز» فى ١٤ كانون الثانى الماضي ، حذر تشينى من أنّه خلال سنوات قليلة ، سيكون هناك احتمال فى أن تصبح »إيران مسلحة نوويا ومتحكمة بإمدادات النفط ، وقادرة على التأثير بشكل غير ملائم على الاقتصاد العالمي ، ومستعدة لاستخدام التنظيمات الإرهابية ، إضافة إلى أسلحتها النووية لتهديد جيرانها والدول الأخرى حول العالم» . وقال «إذا ذهبتم للتحدث مع دول الخليج ، أو إذا تحدثتم مع السعوديين والإسرائيليين والأردنيين ، ستجدون أنّ المنطقة بأكملها قلقة ... التهديد الذى تمثله إيران يتنامى» .

وتقوم الإدارة حالياً بتفحص موجة من المعلومات الاستخباراتية الجديدة حول برامج الأسلحة الإيرانية . وقد أخبرنى مسئولون أمريكيون حاليون وسابقون ، أنّ المعلومات التى أوردها عملاء إسرائيليون يعملون فى إيران ، تزعم أنّ طهران قامت بتطوير صاروخ عابر للقارات بمراحل دفع ثلاثية ، قادر على توجيه عدد من الرؤوس المتفجرة الصغيرة ، بدقة محدودة ، إلى داخل أوروبا . إلا أنّ صحة هذه المعلومات ما زالت موضع نقاش . لقد شكلت حجج مشابهة ، تناولت التهديدات الوشيكة لأسلحة الدمار الشامل والتساؤلات التى أثارتها الاستخبارات فى الإعداد لهذه القضية ، مقدمة لغزو العراق . وقد استقبل كثيرون فى الكونغرس هذه المزاعم حول إيران بحذر . ففى مجلس الشيوخ قالت السيناتور هيلارى كلينتون فى ١٤ شباط الماضى «لقد تعلمنا جميعاً الدروس من النزاع فى العراق ، وعلينا أن نطبق هذه الدروس على أى من المزاعم التى تثار حول إيران ، لأن ما نسمعه هو إنذار غير رسمي ، وعلينا أن نحرص على ألا نتخذ مجدداً قراراتنا استناداً إلى معلومات تتجه إلى أن تكون خاطئة» .

ويواصل البنتاغون بهدوء إعداد خطة مكثفة لضربة محتملة لإيران ، وهى عملية بدأت فى العام الماضى تحت إشراف الرئيس . وفى الأشهر الماضية ، أبلغنى مسئول استخبارات السابق ، أنّه تم تشكيل فريق خاص للتخطيط على مستوى كبار القادة العسكريين ، حيث جرى تكليفه بوضع خطة لقصف إيران يمكن تطبيقها خلال ٢٤ ساعة بناءً على أمر يصدره الرئيس .

فى الشهر الماضي ، أبلغت من قبل مستشار فى سلاح الجو وآخر فى البنتاغون ، أن فريق التخطيط حول إيران تلقى مهمة جديدة وهى تحديد أهداف فى إيران يمكن أن تكون مصدراً لتجهيز ومساعدة المقاتلين فى العراق ، بينما كان التركيز فى السابق على تدمير المنشآت النووية فى إيران واحتمالات تغيير النظام .

وتتواجد الآن فى بحر العرب حاملتا الطائرات «إيزنهاور» و«ستينيس» . وفيما تقضى إحدى الخطط بتخفيض مهمتهما بحلول الربيع المقبل ، تتوقع مصادر عسكرية أن تصدر الأوامر بالإبقاء على وجود الحاملتين فى المنطقة بعد وصول حاملات جديدة . (من ضمن مصادر القلق الأخرى ، جاءت المناورات العسكرية لتظهر أن حاملات الطائرات ليست محصنة لمواجهة تكتيك إرسال عدد كبير من السفن الصغيرة ، وهى تقنية طبقها الإيرانيون فى السابق ، حيث تمتلك الحاملات قدرة محدودة على المناورة خصوصاً فى المناطق الضيقة كمضيق هرمز على السواحل الجنوبية لإيران).

ويقول مسئول كبير سابق فى الاستخبارات إنّ خطط الطوارئ الحالية تسمح بتنفيذ هجوم بحلول الربيع . لكنه يوضح أنّ الضباط الكبار فى رئاسة الأركان يراهنون على أن لا يكون البيت

الأبيض «على هذه الدرجة من الحماقة للقيام بذلك وسط ما يجرى فى العراق وما ستثيره من مشكلة فى وجه الجمهوريين فى العام ٢٠٠٨» .

لعبة الأمير بندر

اعتمدت جهود الإدارة لتحجيم القوة الإيرانية فى الشرق الأوسط بشكل كبير ، على السعودية والأمين العام لمجلس الأمن القومي السعودى الأمير بندر بن سلطان . وقد عمل بندر فى منصب سفير الولايات المتحدة لمدة ٢٢ عامًا ، حيث حافظ على صداقة مع الرئيس بوش ونائبه ديك تشينى . وفى ظل منصبه الجديد ، استمر فى الاجتماع بهما بشكل سرى . وقد قام مسئولون فى البيت الأبيض بزيارات عديدة إلى السعودية مؤخرًا ، بعضها غير معلن.

فى تشرين الثانى الماضي ، توجه تشينى إلى السعودية لعقد لقاء مفاجئ مع الملك عبد الله وبندر . وذكرت «التايمز« حينها أن الملك حذر تشينى من أن السعودية ستدعم حلفاءها السنة فى العراق إذا قررت الولايات المتحدة الانسحاب . وقال لى مسئول استخباراتى أوروبى أن اللقاء ركز أيضًا على المخاوف السعودية من «صعود الشيعة» ، وأنه ردًا على ذلك «بدأ السعوديون يستخدمون نفوذهم المالي» .

وفى عائلة ملكية تظللها المنافسة ، تمكن بندر على مر الأعوام من بناء قوة تعتمد بشكل كبير على علاقته الوثيقة بالولايات المتحدة ، التى تعد حاسمة بالنسبة للسعوديين . وخلف بندر فى منصبه كسفير الأمير تركى الفيصل؛ استقال تركى بعد ١٨ شهراً وخلفه عادل الجبير ، البيروقراطي الذى عمل مع بندر . وقال لى دبلوماسي سعودى سابق إنه خلال فترة عمل تركي ، عرف هذا الأخير بلقاءات بندر ومسئولى البيت الأبيض وبينهم تشيني وآبرامز . وقال المسئول السعودى «أعتقد أن تركى لم يكن سعيداً بهذا الأمر» . لكنه أضاف انه رغم أن تركى لا يحب بندر ، فإنه تشارك معه فى هدفه وهو مقارعة انتشار القوة الشيعية فى الشرق الأوسط .

ويعود الفراق بين السنة والشيعة إلى انقسام مرير من القرن السابع ، حول من الذى يجب أن يخلف النبى محمد . وهيمن السنة على خلفاء القرون الوسطى والإمبراطورية العثمانية ، فيما نظر إلى الشيعة على أنهم دخلاء.

عالمياً ، ٩٠% من المسلمين هم من السنة لكن الشيعة يمثلون غالبية فى إيران والعراق والبحرين ، وهم أكبر جماعة مسلمة فى لبنان . ان تمركزهم فى منطقة هشة غنية بالنفط أثار القلق لدى الغرب والسنة حول انبثاق «الهلال الشيعي» ــ خاصة بالنظر إلى تنامى القوة الإيرانية الجيوسياسية .

لا يزال السعوديون ينظرون إلى العالم من خلال الإمبراطورية العثمانية ، عندما كان السنة يحكمون ، والشيعة فى أسفل الدرجات ، كما قال لى فريدريك هوف ، وهو ضابط عسكرى متقاعد يعمل كخبير حول الشرق الأوسط . وأضاف انه إذا نُظر إلى بندر على انه يحدث تحولاً لدى السياسية الأمريكية تجاه السنة ، فإن هذا الأمر سيعزز موقعه لدى العائلة الحاكمة .

ويسيطر على السعوديين الخوف من أن تتمكن إيران من قلب موازين القوى ليس فقط فى المنطقة بل فى بلدهم أيضاً . ففى السعودية ، أقلية شيعية فى مناطقها الشرقية ، حيث أهم حقول

النفط ، وحيث ترتفع حدة التوتر المذهبى . وتعتقد العائلة الحاكمة أن الناشطين الإيرانيين ، الذين يعملون مع الشيعة المحليين ، كانوا وراء العديد من الهجمات الإرهابية داخل المملكة ، وذلك بحسب فالى نصر . «اليوم ، الجيش الوحيد القادر على احتواء إيران ـــ الجيش العراقى ـــ دمر من قبل الولايات المتحدة . نحن نتعامل مع إيران التى تستطيع أن تكون قادرة نوويا وتملك جيشاً نظامياً من ٤٥٠ ألف جندى» . (السعودية تملك جيشاً نظامياً من ٧٥ ألف جندى) .

ويضيف نصر إن «السعوديين يملكون وسائل تمويل ضخمة ، وعلاقات قوية بالإخوان المسلمين والسلفيين» ـــ المتشددين السنة الذين يعتبرون الشيعة مرتدين . «فى المرة الأخيرة التى شكلت فيها إيران تهديداً ، تمكن السعوديون من تحريك أسوأ أشكال الإسلاميين الراديكاليين . حينما يخرجون من الصندوق ، من الصعب إعادتهم إليه» .

لقد أدت العائلة الملكية السعودية دور الراعى وكانت فى الوقت ذاته هدفاً للمتشددين السنة ، الذين يعارضون الفساد والانحطاط بين آلاف الأمراء . وهؤلاء الأمراء يراهنون على أنه لن يتم الانقلاب عليهم طالما أنهم مستمرون فى دعم المدارس الدينية والجمعيات الخيرية المرتبطة بالمتشددين . إن الإستراتيجية الجديدة للإدارة تعتمد بشكل أساسى على هذه المساومة .

ويقارن نصر الوضع الحالى بالفترة التى ظهرت فيها القاعدة للمرة الأولى . ففى الثمانينات وأوائل التسعينات ، عرضت الحكومة السعودية تقديم العون المالى لحرب وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية على الاتحاد السوفيتى فى أفغانستان . وتم إرسال المئات من الشبان السعوديين إلى مناطق الحدود مع باكستان ، حيث أقاموا المدارس الدينية ومخيمات التدريب ومنشآت التجنيد . وحينها ، كما اليوم ، فإن العديد من الناشطين الذين تلقوا أموالا سعودية ، كانوا من السلفيين . وبينهم طبعاً ، كان أسامة بن لادن ومساعدوه ، الذين أسسوا القاعدة عام ١٩٨٨ .

فى هذه المرحلة ، قال لى مستشار الحكومة الأمريكية إن بندر وسعوديين آخرين أكدوا للبيت الأبيض أنهم «سيراقبون المتطرفين عن كثب . كانت رسالتهم : خلقنا هذا التحرك ، ونستطيع التحكم به . ليس الأمر أننا لا نريد أن يرمى السلفيون القنابل؛ إن الأمر يتعلق بالجهة التى يرمونها بها ـــ حزب الله ، مقتدى الصدر ، إيران ، والسوريون أيضا إذا استمروا بالعمل مع حزب الله وإيران» .

وقال الدبلوماسى السعودى إنه من وجهة نظر بلده ، فإن الانضمام إلى الولايات المتحدة فى تحديها لإيران ، يعد مخاطرة سياسية : ينظر إلى بندر على أنه مقرب جداً من إدارة بوش . ويقول لى الدبلوماسى السابق «لدينا كابوسان . امتلاك إيران القنبلة وهجوم الولايات المتحدة على إيران . أفضل أن تهاجم إسرائيل الإيرانيين ، حتى نستطيع إلقاء اللوم عليهم . إذا نفذت أميركا الأمر ، نحن من سيلام» .

خلال العام الماضي ، توصل السعوديون والإسرائيليون وإدارة بوش إلى سلسلة من الاتفاقات غير الرسمية حول توجههم الإستراتيجى الجديد ، وقد شمل هذا الأمر أربعة عناصر رئيسية على الأقل ، كما قال لى مستشار الحكومة الأمريكية : أولا ، طمأنة إسرائيل إلى أن أمنها هو الأمر الأسمى وأن واشنطن والسعودية والدول الخليجية الأخرى تشاركها قلقها حول إيران .

ثانياً ، يحث السعوديون حماس ، الحركة الإسلامية الفلسطينية التى حصلت على دعم إيران ، على التخفيف من عداوتها لإسرائيل والبدء فى محادثات جدية حول التشارك فى القيادة مع فتح ،

الجماعة الفلسطينية الأكثر علمانية . (فى شباط الحالي ، توسط السعوديون حول اتفاق فى مكة بين الفصيلين . ومع ذلك ، عبرت الولايات المتحدة وإسرائيل عن عدم رضاهما عن الشروط) .

الأمر الثالث هو ان تعمل إدارة بوش بشكل مباشر مع الدول السنية من أجل كبح الصعود الشيعى فى المنطقة .

رابعاً ، توفر الحكومة السعودية ، بموافقة واشنطن ، الأموال والمساعدة اللوجستية لإضعاف حكومة الرئيس السورى بشار الأسد . ويعتقد الإسرائيليون أن فرض ضغط مماثل على حكومة الأسد سيجعل من الأمر أكثر ليونة وسيفتح الباب أمام المفاوضات . إن سوريا قناة أساسية لتمرير الأسلحة إلى «حزب الله» . والحكومة السعودية أيضًا فى خلاف مع السوريين حول اغتيال رفيق الحريري ، رئيس الوزراء السابق ، فى بيروت عام ٢٠٠٥، حيث تعتقد أن حكومة الأسد مسئولة عن الاغتيال . والحريري ، الملياردير السني ، كان مقرباً جداً من النظام السعودى والأمير بندر . (أشارت لجنة تحقيق دولية إلى أن السوريين متورطون ، لكنها لم تقدم دليلاً مباشراً؛ هناك خطط لإجراء تحقيق آخر عبر إنشاء محكمة دولية) .

يصف باتريك كلاوسون ، من معهد واشنطن حول سياسات الشرق الأدنى ، التعاون السعودى مع البيت الأبيض بالاختراق المهم . وقد قال لى «يدرك السعوديون أنهم إذا أرادوا من الإدارة أن تقدم عرضاً سياسياً أكثر سخاء الى الفلسطينيين فإن عليهم حث الدول العربية على تقديم عروض أكثر سخاء إلى الإسرائيليين» . وتظهر هذه المقاربة الدبلوماسية الجديدة «مستوى مرتفعاً من الجهود والمهارة التى ليست مرتبطة دائماً بهذه الإدارة . من يقود الخطر الأكبر ــ نحن أم السعوديون؟ حين يصبح الموقع الأمريكى فى الشرق الأوسط فى أدنى مستوياته ، فإن السعوديين يعانقوننا . علينا أن نحصى نعمنا» .

غير أن لمستشار البنتاغون رأى مخالف ، حيث يقول إن الإدارة التفتت إلى بندر على أنه «بديل» لأنها أدركت ان الحرب الفاشلة فى العراق ستترك الشرق الأوسط «عرضة للاغتصاب» .

الجهاديون فى لبنان

إن وجهة تركيز العلاقة الأميركية السعودية ، بعد ايران ، هى نحو لبنان ، حيث إن السعوديين متورطون بقوة فى جهود من قبل الإدارة لدعم الحكومة اللبنانية . إن رئيس الوزراء اللبنانى فؤاد السنيورة يكافح من أجل البقاء فى السلطة ضد معارضة مستمرة يقودها حزب الله ، المنظمة الشيعية ، وزعيمها حسن نصر الله .

حزب الله يتمتع ببنية تحتية شاملة ، تُقدّر بألفين إلى ثلاثة آلاف مقاتل ناشط ، وآلاف الأعضاء الإضافيين . وتم وضعه على لائحة الإرهاب فى وزارة الخارجية الأميركية منذ عام ١٩٩٧. وقد تورطت هذه المنظمة فى عملية تفجير ثكنات المارينز فى بيروت عام ١٩٨٣، التى أسفرت عن مقتل ٢٤١ جندياً . كما اتهمت بالاشتراك فى اختطاف أميركيين ، بمن فى ذلك رئيس مركز وكالة الاستخبارات المركزية فى بيروت الذى توفى فى الأسر ، وكولونيل فى البحرية كان يخدم فى مهمة حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة الذى قتل أيضاً . (نصر الله نفى ضلوع مجموعته فى هذه الحوادث) .

وينظر الكثيرون إلى نصر الله على أنه إرهابي قوى ، وهو من قال بأنه يعتبر إسرائيل كياناً لا يحق له أن يكون موجوداً ، ولكن الكثيرين فى العالم العربي ، وخصوصاً الشيعة ، ينظرون إليه على أنه زعيم مقاوم صمد فى وجه إسرائيل خلال الحرب الأخيرة فى لبنان ، التى دامت ٣٣ يوماً ، فيما كان السنيورة ، كسياسى ضعيف يعتمد على دعم أميركا ، غير قادر على إقناع الرئيس بوش بدعوة إسرائيل إلى وقف قصفها للبنان . (صور السنيورة وهو يقبل وجنة رايس ، عندما زارت لبنان خلال الحرب ، نشرت بشكل واسع خلال التظاهرات فى بيروت) .

لقد تعهدت إدارة بوش ، علناً ، بمنح حكومة السنيورة مليار دولار كمساعدات منذ الصيف الماضى . أما مؤتمر المانحين فى باريس ، الذى عقد فى كانون الثانى الماضى والذى ساهمت الولايات المتحدة فى تنظيمه ، فجمع تعهدات تزيد عن ثمانية مليارات دولار ، بما فى ذلك وعد بأكثر من مليار دولار من السعوديين . ويتضمن التعهد الأميركى أكثر من ٢٠٠ مليون دولار كمساعدات عسكرية ، و٤٠ مليون دولار للأمن الداخلي.

كما أعطت الولايات المتحدة دعماً سرياً لحكومة السنيورة ، بحسب ما أفاد مسؤول الاستخبارات الكبير السابق والمستشار الحكومى الأميركى .

وقال مسؤول الاستخبارات الكبير السابق «إننا فى خضم برنامج من أجل تعزيز القدرة السنية على مقاومة النفوذ الشيعى ، كما أننا نوزّع المال هنا وهناك بقدر ما نستطيع» . والمشكلة أن مثل هذا المال «يصل دائماً إلى جيوب أكثر مما تعتقد» ، مضيفاً «بهذا المعنى ، إننا نموّل الكثير من الأشرار الذين لديهم عواقب محتملة خطيرة غير مقصودة . ولا توجد لدينا القدرة على تحديد... أو الحصول على إيصالات بالدفع موقعة من الأشخاص الذين نحبهم ، وتجنّب الأشخاص الذين لا نحبهم... إنها مغامرة تحتمل مجازفة كبيرة» .

وقال المسؤولون الأميركيون والأوروبيون والعرب الذين تحدثت معهم إن حكومة السنيورة وحلفاءها سمحت لبعض هذه المساعدات أن تصل إلى أيادى مجموعات سنية راديكالية صاعدة فى شمال لبنان والبقاع وحول المخيمات الفلسطينية في الجنوب . هذه المجموعات ، ولو صغيرة ، يُنظر إليها على أنها حاجز فى وجه حزب الله ، وفى الوقت ذاته ، فإن علاقاتها الإيديولوجية مرتبطة بالقاعدة .

خطف الدولة ... والسلفيون الكريهون !

وأثناء حديثه معى ، اتهم الدبلوماسى السعودى السابق نصر الله بمحاولة «خطف الدولة» ، ولكنه أيضاً عارض الرعاية اللبنانية والسعودية للجهاديين السنة فى لبنان ، قائلاً إن «السلفيين مثيرون للاشمئزاز وكريهون ... وأنا أعارض بشدة فكرة مغازلتهم»، مضيفاً «إنهم يكرهون الشيعة، ولكنهم يكرهون الأميركيين أكثر . وإذا حاولت التفوق عليهم دهاءً ، سيتفوقون علينا . وسيصبح ذلك شنيعاً» .

وقال لى الباحث فى مركز أبحاث «منتدى الصراعات» فى بيروت الستير كروك ، الذى أمضى نحو ٣٠ عاماً فى جهاز الإستخبارات البريطانية «ام أى ٦» ، إن «الحكومة اللبنانية تفتح المجال أمام هؤلاء الناس ، وذلك قد يصبح خطيراً للغاية» . وقال كروك إن إحدى المجموعات السنية المتطرفة »فتح الإسلام» قد انشقت عن مجموعتها الأم الموالية لسوريا «فتح الانتفاضة» ، فى مخيم نهر البارد فى شمال لبنان . وفى الوقت ذاته ، عضويتها تقدر بأقل من مئتين ، مضيفاً

»قيل لي أنه خلال ٢٤ ساعة ، تم إعطاؤهم الأسلحة والمال من قبل أشخاص عرّفوا عن أنفسهم بأنهم ممثلون عن مصالح الحكومة اللبنانية ــ ربما للإجهاز على حزب الله» .

أكبر هذه المجموعات ، عصبة الأنصار ، تتمركز في مخيم عين الحلوة ، وقد تلقت الأسلحة والعتاد من أجهزة أمنية داخلية وميليشيات مرتبطة بحكومة السنيورة .

عام ٢٠٠٥ ، ووفقاً لتقرير لمجموعة الأزمات الدولية ، ومقرها في الولايات المتحدة ، ورث سعد الحريري ، زعيم الغالبية السنية في البرلمان اللبناني وابن رئيس الوزراء الأسبق ، أكثر من أربعة مليارات دولار بعد اغتيال والده ، وقد دفع ٤٨ ألف دولار ككفالة للإفراج عن أربعة عناصر من مجموعة إسلامية عسكرية من الضنية . وكان هؤلاء الرجال قد أوقفوا خلال محاولة تأسيس دولة إسلامية صغيرة في شمال لبنان . وأشارت مجموعة الأزمات إلى أن الكثير من المقاتلين «تدربوا في مخيمات القاعدة في أفغانستان« .

وبحسب تقرير مجموعة الأزمات ، استخدم سعد الحريري في ما بعد غالبيته البرلمانية للحصول على العفو من اجل ٢٢ إسلامياً في الضنية ، وسبعة مقاتلين مشتبه بهم في تورطهم في مؤامرة تفجير السفارتين الإيطالية والأوكرانية في بيروت ، العام الماضي . (كما أنه رتب استصدار عفو عن سمير جعجع ، وهو زعيم ميليشيا مسيحية مارونية ، وكان قد أدين بجرائم قتل أربعة سياسيين ، بمن فيهم اغتيال رئيس الوزراء الأسبق رشيد كرامي عام ١٩٨٧) ووصف الحريري أعماله ، أمام المراسلين ، بالإنسانية . وفي مقابلة في بيروت ، اعترف مسؤول نافذ في حكومة السنيورة أن هناك جهاديين سُنة يعملون داخل لبنان ، وقال «لدينا موقف ليبرالي يسمح لأصناف القاعدة بأن تتخذ لها تواجداً هنا» ، رابطاً ذلك بمخاوف إزاء قرار قد تتخذه إيران أو سوريا لتحويل لبنان إلى «مسرح للصراع» .

وقال المسؤول إن حكومته ليست في موقع الفوز . فمن دون تسوية سياسية مع حزب الله ، لبنان قد »ينزلق إلى صراع» حيث يتقاتل حزب الله على نحو واسع مع القوى السنية ، مع احتمال وقوع عواقب وخيمة . ولكن إذا وافق حزب الله على تسوية ، بالإضافة إلى احتفاظه بجيش منفصل متحالف مع إيران وسوريا ، «قد يصبح لبنان هدفاً . في الحالتين ، سنصبح هدفاً» .

ووصفت إدارة بوش دعمها لحكومة السنيورة بأنه مثال على إيمان الرئيس بالديموقراطية ، ورغبته في الحؤول دون تدخل قوى أخرى في لبنان . عندما قاد حزب الله تظاهرات في الشارع في بيروت في كانون الأول الماضي ، وصفهم السفير الأميركي السابق لدى الأمم المتحدة جون بولتون بأنهم «جزء من انقلاب مدعوم من إيران وسوريا» .

وقالت الرئيسة السابقة لمجلس العلاقات الخارجية ليسلي جيلب إن سياسة الإدارة كانت أقل قرباً للديموقراطية منها إلى «الأمن القومي الأميركي . والحقيقة ، قد يصبح الوضع خطيراً جداً إذا أدار حزب الله لبنان» ، مضيفة إن سقوط حكومة السنيورة ستعتبر »كإشارة في الشرق الأوسط إلى انحدار الولايات المتحدة وصعود التهديد الإرهابي . ولذلك أي تغيير في توزيع السلطة السياسية في لبنان يجب أن تواجهه الولايات المتحدة ، ونحن لدينا تبريرنا في مساعدة أي أحزاب غير شيعية تقاوم هذا التغيير ... يتوجب علينا ان نقول ذلك علناً عوضاً عن الحديث عن الديموقراطية» .

ومع ذلك ، قال مارتن انديك ، من مركز صابان ، إن الولايات المتحدة «لا تملك ما يكفي من اجل إيقاف المعتدلين فى لبنان من التعامل مع المتطرفين» ، مضيفاً إن «الرئيس يرى المنطقة مقسمة بين معتدلين ومتطرفين ، ولكن أصدقاءنا الإقليميين يرونها مقسمة بين سنة وشيعة . السنة الذين تنظر إليهم على أنهم متطرفون ، يعتبرون بنظر حلفائنا السُنة مجرد سُنة».

فى كانون الثانى الماضي ، بعد ثورة العنف الشارعى فى بيروت والتى تورط فيها مناصرون لحكومة السنيورة وآخرون لحزب الله ، توجه الأمير بندر إلى طهران لمناقشة المأزق السياسى فى لبنان وللقاء المفاوض الإيرانى حول المسائل النووية على لاريجانى .

إيران سوريا والإخوان المسلمون

بحسب سفير فى الشرق الأوسط ، كانت مهمة بندر ، المدعوم من البيت الأبيض على حد قول ذلك السفير ، تهدف إلى «خلق المشاكل بين الإيرانيين وسوريا» . وكان هناك توترات بين الدولتين بشأن المحادثات السورية مع إسرائيل ، وكان هدف السعوديين هو تعزيز هذا الصدع . ومع ذلك ، قال السفير أنها «لم تفلح . سوريا وإيران لن تخونا بعضهما بعضاً .. ومبادرة بندر مرشحة بشدة إلى الفشل» .

وليد جنبلاط ، وهو زعيم الدروز (وهم أقلية) فى لبنان وحليف قوى للسنيورة ، اتهم نصر الله بأنه عميل لسوريا ، وقال مراراً للصحافيين الأجانب بأن حزب الله يخضع لإدارة مباشرة من القيادة الدينية فى إيران . وفى حديث معى فى كانون الأول الماضى ، وصف جنبلاط الرئيس السورى بشار الأسد بأنه «قاتل متسلسل» ، وأن نصر الله «مذنب معنويا» فى اغتيال رفيق الحريري ، وفى مقتل النائب بيار الجميل فى تشرين الثانى الماضى ، لأنه يدعم السوريين .

بعدها قال لى جنبلاط أنه التقى نائب الرئيس ديك تشينى فى واشنطن فى الخريف الماضى من أجل مناقشة إمكانية تقويض الأسد ، من بين الكثير من المسائل التى نوقشت . وقد نصح جنبلاط وزملاؤه نائب الرئيس الأمريكى بأنه إذا حاولت الولايات المتحدة التحرك ضد سوريا ، سيكون أعضاء جماعة الإخوان المسلمين فى سوريا هم «الأشخاص الذين سيتم التحدث إليهم» ، على حد قول جنبلاط .

جماعة الإخوان المسلمين فى سوريا ، هى فرع من الحركة السنية الراديكالية التى تأسست فى مصر فى العام ١٩٢٨، وقد دخلت قبل أكثر من عقد من الزمن فى مواجهة عنيفة مع نظام حافظ الأسد ، والد بشار . فى العام ١٩٨٢، سيطرت الجماعة على مدينة حماه ، فقام الأسد بقصف المدينة على مدى أسبوع ، متسبباً بمقتل ما بين ستة آلاف و ٢٠ ألف شخص . الانتساب إلى الجماعة أمر يعاقب عليه بالإعدام فى سوريا . كما ان الجماعة عدو معلن للولايات المتحدة وإسرائيل . ومع ذلك قال جنبلاط «قلنا لتشينى أن الرابط الأساسى بين إيران ولبنان هو سوريا — ومن أجل إضعاف ايران يجب فتح باب أمام معارضة سورية فاعلة».

من الواضح أن الجماعة استفادت بالفعل من استراتيجية الإدارة حول إعادة التوجيه . جبهة الخلاص الوطنى السورية ، هى ائتلاف من مجموعات المعارضة ، أبرزها الحزب الذى يقوده النائب السابق للرئيس السورى عبد الحليم خدام ، والجماعة .

وقال لى مسئول كبير سابق فى وكالة الاستخبارات المركزية أن «الأمريكيين قدّموا الدعم السياسى والمالى . السعوديون يقودون الدعم المالى ولكن هناك تدخلا أمريكيا» . وأضاف أن خدام ، الذى يعيش فى باريس ، يتلقى الأموال من السعودية بمعرفة البيت الأبيض . (فى العام ٢٠٠٥ ، التقى وفد من الجبهة بمسئولين من مجلس الأمن القومى ، وفقاً للتقارير الإعلامية) . وقال لى مسئول سابق فى البيت الأبيض أن السعوديين زوّدوا أعضاء الجبهة بوثائق السفر .

وقال جنبلاط أنه يدرك بأن المسألة كانت حساسة بالنسبة للبيت الأبيضمضيفا «قلت لتشينى أن بعض الأشخاص فى العالم العربى ، وخصوصاً المصريين)قيادة مصر السنية المعتدلة تحارب منذ عقود جماعة الإخوان المسلمين فى مصر) لن يحبذوا فكرة أن تساعد الولايات المتحدة الجماعة . ولكن إذا لم نجهز على سوريا ، سنصبح فى لبنان ، وجهاً لوجه مع حزب الله ، فى حرب طويلة .. قد لا نكسبها» .

السيد

خلال ليلة دافئة وصافية من كانون الأول الماضى ، وفى ضاحية طاولها القصف على بعد أميال من وسط بيروت ، استعرضت ما يمكن لاستراتيجية الإدارة الأمريكية أن تقوم به فى لبنان . وافق الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله على إجراء مقابلة معى . لقد كانت الترتيبات الأمنية للقاء سرية ومتقنة . تمّ اقتيادى ، عبر المقعد الخلفى لسيارة مموهة بزجاج داكن ، إلى مرأب تحت الأرض مدمّر ، فى مكان ما فى بيروت ، حيث أخضعت لتفتيش بواسطة جهاز مسح يدوى ، قبل أن أنقل مجدداً عبر سيارة أخرى إلى مرأب آخر مدمّر أيضاً من جراء القصف .

خلال الصيف الماضي ، ذكرت التقارير أن إسرائيل تحاول قتل نصر الله ، ولكن هذه التدابير الوقائية لم تكن فقط بسبب هذا التهديد ، حيث قال لى مساعدو نصر الله أنّهم يعتقدون أنّه هدف أساسى لأطراف عربية ، خصوصاً عملاء الاستخبارات الأردنية ، بالإضافة إلى الجهاديين السنة الذين يتبعون تنظيم «القاعدة» .

(إشارة إلى أنّ مستشاراً حكومياً وجنرالاً متقاعداً قالا لى أنّ الاستخبارات الأردنية سعت ، بدعم من الولايات المتحدة وإسرائيل ، إلى اختراق المجموعات الشيعية للعمل ضد حزب الله . إضافة إلى أنّ الملك الأردنى عبد الله الثانى حذر من أن قيام حكومة شيعية فى العراق قريبة من إيران ، سيؤدى إلى ظهور هلال شيعى) .

وفى تحوّل يدعو إلى السخرية ، جاءت معركة نصر الله على إسرائيل الصيف الماضى لتحوّله ، كشيعى ، إلى الرمز الأكثر شعبية وتأثيراً فى أوساط السنة والشيعة على امتداد المنطقة . لكن فى المقابل ، خلال الأشهر الماضية نظر إليه العديد من السنة ليس كرمز للوحدة العربية ولكن كمشارك فى الحرب الطائفية .

كان نصر الله بانتظارى فى شقة عادية ، مرتدياً كالعادة زيه الدينى . وقد قال لى أحد مساعديه أنّه لن يبقى فى المكان حتى الصباح ، وأنّه يتنقل باستمرار منذ أن قرّر فى تموز الماضى أسر جنديين فى عملية عابرة للحدود أطلقت حرباً امتدت ٣٣ يوماً . وقد قال نصر الله علناً ، وكرّر

ذلك لي ، أنه أخطأ في تقدير الرد الإسرائيلي ، قائلا «لقد قررنا فقط اسر جنود لغرض التبادل ولم نكن نريد جر المنطقة إلى حرب» .

واتهم نصر الله إدارة بوش بالعمل مع إسرائيل على التحريض المتعمد على الفتنة ، وهي كلمة عربية تعنى العصيان والتقسيم بين المسلمين . وأضاف »باعتقادى هناك حملة ضخمة في الإعلام على امتداد العالم لجعل كل طرف يقف ضد الأخر« ، وتابع «اعتقد أن هذا كله يتم تنفيذه من قبل المخابرات الأمريكية والإسرائيلية» ، (من دون أن يقدّم أى دليل على ذلك) ، مشيراً إلى أنّ الحرب الأمريكية على العراق زادت من التوترات الطائفية ، لكنه أوضح أن حزب الله يسعى لتفادى امتدادها إلى لبنان (بعد أسابيع من حديثنا ازدادت المواجهات العنيفة بين السنة والشيعة) .

وأعرب نصر الله عن اعتقاده بأنّ هدف الرئيس الأمريكي كان «رسم خريطة جديدة للمنطقة» ، وتابع «هم)الأمريكيون) يريدون تقسيم العراق . العراق ليس على حافة الحرب الأهلية ، هناك حرب أهلية ، هناك عمليات تطهير عرقية وطائفية» ، موضحاً أن «القتل والتهجير الذى يجرى في العراق يستهدف إقامة ثلاثة أقاليم عراقية على أسس طائفية وعرقية كمقدمة لتقسيم العراق» . وتابع «خلال سنة أو سنتين على الأكثر ، ستكون هناك مناطق سنية بالكامل وأخرى للشيعة وأخرى للأكراد ، وحتى في بغداد هناك مخاوف من أن تقسم المدينة إلى منطقتين سنية وشيعية» .

وتابع نصر الله «ما يمكنني قوله أنّ الرئيس بوش يكذب عندما يقول أنه لا يريد تقسيم العراق ، فكل الوقائع التى تجرى الآن على الأرض تؤكد أنه يجر العراق باتجاه التقسيم ، وسيأتى يوم يقول فيه : لست قادراً على القيام بأى شيء طالما أن العراقيين يريدون تقسيم بلادهم وأنا احترم إرادة الشعب العراقي» .

وأعرب نصر الله عن اعتقاده أنّ الولايات المتحدة تريد أيضاً تقسيم لبنان وسوريا . وأوضح أنه في سوريا ستكون نتيجة ذلك دفع البلاد «باتجاه الفوضى والحروب الداخلية كما في العراق» ، أما في لبنان فستكون هناك «دولة سنية ودولة علوية ودولة مسيحية ودولة درزية» ، وأضاف «لا أعلم ما إذا كان سيصبح هناك دولة شيعية» .

وقال نصر الله أنه يشتبه في أن يكون الهدف من الحرب الإسرائيلية الأخيرة على لبنان » تدمير المناطق الشيعية وتهجير الشيعة من لبنان» ، موضحاً أنّ الفكرة كانت جعل الشيعة يفرون من لبنان وسوريا إلى جنوب العراق» الذى يسيطر عليه الشيعة . وتابع «لست أكيداً لكنى أشتمّ ذلك» .

وقال أن التجزئة ستترك حول إسرائيل «دولا صغيرة هادئة . أستطيع أن أؤكد لك أن المملكة السعودية ستقسم أيضا ، وان المسألة ستطال الدول الأفريقية الشمالية . ستكون هناك دول أثنية» . وأضاف «بكلمات أخرى ، ستصبح إسرائيل أهم وأقوى دولة في منطقة تجزأت إلى دول اثنية على توافق في ما بينها . هذا هو الشرق الأوسط الجديد» .

في الواقع ، قاومت إدارة بوش الحديث عن تقسيم العراق ، وبات موقفها العلنى يفيد بان البيت الأبيض يرى مستقبل لبنان سليما مع «حزب الله» ضعيفا ومنزوع السلاح ويؤدى دورا سياسيا صغيرا . وليس هناك أيضا من دليل على دعم فكرة نصر الله بان الإسرائيليين يعملون على نقل

الشيعة إلى جنوب العراق . لكن رغم ذلك ، فان وجهة نظر نصر الله حول صراع طائفى أوسع تتورط فيه الولايات المتحدة ، يطرح نفسه كنتيجة للإستراتيجية الجديدة للبيت الأبيض .

خلال المقابلة ، قدم نصر الله إشارات تهدئة ووعود يمكن أن تقابل بالشك من قبـل خصـومه . وقال «إذا أكدت الولايات المتحدة ان المناقشات مع أمثالنا يمكن أن تكون مفيـدة ومـؤثرة فـى تحديد السياسة الأمريكية فى المنطقة ، فليس لدينا أى اعتراض على المحادثات واللقاءات . لكن إذا كان هدفهم من وراء هذه اللقاءات فرض سياستهم علينا ، فإنها ستكون مضـيعة للوقـت» . وأضاف أن ميليشيا «حزب الله» ، ما لم تتم مهاجمتها ، فإنها ستعمل فقط ضمن حدود لبنـان ، متعهدا بنزع السلاح حين يصبح الجيش اللبناني قادرا على النهوض . وقال نصر الله انه لـيس مهتما فى بدء حرب جديدة مع إسرائيل . ومع ذلك ، أكد انه يستبق ويستعد لهجوم إسرائيلى آخر في وقت لاحق من هذا العام .

وأصر نصر الله على أن التظاهرات في شوارع بيروت ستستمر حتى تسقط حكومة السنيورة أو تلتقى مع مطالب حلفه السياسى . وقال لى «عمليا ، لا تستطيع هذه الحكومـة ان تحكـم . قـد تصدر قرارات ، لكن غالبية الشعب اللبنانى لن تكون ملزمة بتنفيذها ولـن تعتـرف بشـرعية الحكومة . السنيورة باق فى منصبه بفضل الدعم الدولي ، لكن هذا الأمر لا يعنى أن السـنيورة يمكن أن يحكم لبنان» .

وقال نصر الله أن اشادات الرئيس بوش المتكررة تجاه حكومة السنيورة «هى أكبر خدمة يمكن تقـديمها للمعارضة اللبنانية ، لأنها تضعف موقعهم أمام الشعب اللبنانى والشعوب العربية والإسلامية . هم يراهنون على أننا سنتعب . لم نتعب خلال الحرب ، فكيف سنتعب فى تظاهرة؟ » .

هناك انقسام حاد داخل وخارج إدارة بوش حول أفضل سبيل للتعامل مع نصر الله ، وحول مـا إذا كان يستطيع ، فى واقع الأمر ، أن يكون شريكا فى تسوية سياسية . وكان مدير الاستخبارات القومية جون نيغروبونتى قال فى شهادة وداعية أمام لجنة الاستخبارات فى مجلس الشيوخ فـى كانون الثانى أن «حزب الله فى وسط الاستراتيجية الإيرانية الإرهابية . . قد يقرر شن هجمـات ضد المصالح الأمريكية حينما يشعر أن بقاءه أو بقاء إيران مهدد . . حزب الله اللبنـانى يـرى نفسه على انه شريك طهران» .

فى العام ٢٠٠٢، وصف ريتشارد ارميتاج الذى كان حينها نائب وزير الخارجيـة ، حـزب الله بـ«الفريق الأول» للإرهابيين . غير انه فى مقابلة أجريت مؤخرا ، قال ان المسألة أصـبحت أكثر تعقيدا . وذكر لى ارميتاج أن نصر الله يظهر «كقوة سياسية معينة ، مع دور سياسى يؤديه داخل لبنان إذا أراد ذلك» . وفى ما يتعلق بالعلاقات العامة والتقيد باللعبة السياسية ، قال ارميتاج أن نصر الله »أذكى رجل فى الشرق الأوسط» . لكنه أضاف ان على نصر الله «أن يوضح بأنه يريد أن يؤدى دورا مناسبا فى ما يتعلق بالمقاومة المخلصة . اعتقد أن هناك دما يجب أن يدفع ، » . فى إشارة إلى العقيد الذى قتل وتفجير ثكنة المارينز .

كان روبرت باير ، وهو عميل استخباراتى عمل لوقت طويل لدى وكالة الاستخبارات المركزية ، من أشد منتقدى «حزب الله» ، وقد حذر من ارتباطاته بالرعاية الإيرانية للإرهاب . لكنه قال لى «لدينا الآن سنة عرب يحضرون لصراع كارثى ، وسنحتاج إلى شخص يحمى المسيحيين فى لبنان . كان الفرنسيون والأمريكيون يؤدون هذا الدور ، لكن الآن سيكون الشيعة ونصر الله» .

وأضاف باير «أهم قصة فى الشرق الأوسط هى صعود نصر الله من رجل شارع غلى قائد . من إرهابى إلى رجل دولة . الكلب الذى لم ينبح هذا الصيف ــ خلال الحرب مع لبنان ــ هو الإرهاب الشيعي» . وكان باير يشير بذلك إلى المخاوف من أن نصر الله ، إلى جانب إطلاق الصواريخ باتجاه إسرائيل وخطف جنودها ، قد يطلق شرارة حملة من الهجمات الإرهابية على أهداف إسرائيلية وأمريكية حول العالم . وقال «كان يمكن ان يطلق العنان لذلك ، لكنه لم يفعل» .

تعرف معظم المجتمعات الاستخباراتية والدبلوماسية علاقة «حزب الله« بإيران . لكن هناك اختلافا حول المدى الذى يمكن أن يضع فيه نصر الله مصلحة إيران على حساب مصلحة حزب الله . وقد وصف ضابط استخباراتى سابق عمل فى وكالة الاستخبارات المركزية فى لبنان نصر الله بـ«الظاهرة اللبنانية» ، مضيفا «نعم إن إيران وسوريا تساعدانه ، لكن حزب الله ذهب أبعد من ذلك» . وقال لى انه كان هناك فترة فى أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات حين كانت محطة وكالة الاستخبارات المركزية فى بيروت تستطيع ان تتنصت بشكل سرى على مكالمات نصر الله . فوصف نصر الله بانه «رئيس عصابة تمكن من التعامل مع العصابات الأخرى . لقد كان يقيم اتصالات مع الجميع» .

تبليغ الكونغرس

إن اعتماد إدارة بوش على العمليات السرية التى لم يتم إعلام الكونغرس بها وتعاملها مع وسطاء حول جدول أعمالها المشكوك فيه ألغيت . منذ عقدين ، حاولت إدارة الرئيس (رونالد) ريغان تمويل (ثوار) الكونترا فى نيكاراغوا عبر بيع أسلحة سرا إلى إيران . إن أموالا سعودية كانت متورطة فى ما أصبح يعرف بفضيحة إيران ــ كونترا ، كما أنّ عددا قليلا من اللاعبين وقتها . أبرزهم الأمير بندر واليوت ابرامز . متورطون فى تعاملات اليوم .

وأوضح المسئول السابق فى الاستخبارات أن إيران ــ كونترا كانت موضوع بحث منذ عامين بين المتورطين فى الفضيحة حول «الدروس المستقاة» منها . وقاد ابرامز المناقشات . وخرجوا باستنتاج واحد هو انه برغم من انه تم فضح البرنامج ، فانه كان من الممكن تنفيذه من دون إعلام الكونغرس . وحول ما علمتهم التجربة ، بالنسبة إلى العمليات المستقبلية ، فقد وجد المشاركون : «أولا ، لا يمكنك الوثوق بأصدقائنا . ثانيا ، يجب أن تكون الـ«سى أى ايه» خارج الموضوع تماما . ثالثا ، لا يمكنك الوثوق بالعسكريين ، ورابعا ، يجب أن يتم الأمر بعيدا عن مكتب نائب الرئيس «فى إشارة إلى دور تشينى .

لقد قال لى مستشاران للحكومة والمسئول الرفيع فى الاستخبارات فى ما بعد أن نتائج إيران ــ كونترا كانت عاملا فى قرار نيغروبونتى الاستقالة من إدارة مكتب الاستخبارات القومية وقبول مركز نائب وزيرة الخارجية . (رفض نيغروبونتى التعليق على الموضوع) .

كما قال لى المسئول السابق فى الاستخبارات إن نيغروبونتى لم يكن يريد تكرار تجربته خلال إدارة ريغان ، عندما خدم كسفير فى هندوراس . ونقل عن «نيغروبونتى قوله ، مستحيل . أنا لا أريد أن أسيرَ على تلك الطريق مجددا ، مع وجود مجلس الأمن الوطنى يدير العمليات من خلال

الكتب ، من دون أى نتائج ، (فى حالة قيام الـ«سى أى ايه» بعمليات ، فانه يجب على الرئيس أن يعلم الكونغرس بالنتائج)» . وأوضح أن نيغروبونتي وافق علـى منصـب نائـب لـوزيرة الخارجية لأنه «يعتقد انه يمكن له التأثير على الحكومة بطريقة ايجابية» .

وأشار المستشار الحكومى إلى أن نيغروبونتي يتشارك مع البيت الأبيض حول الأهداف السياسية إلا انه «يريد أن يتم هذا الأمر عبر الكتاب« . وقال لى المستشار فى الكونغرس إن نيغروبونتى عانى من «مشاكل من البدعة السياسية لروبى غولدبرغ حيال تثبيت (الاستقرار) فـى الشـرق الأوسط» .

وأضاف المستشار فى البنتاغون أن إحدى الصعاب ، من ناحية الإشراف ، كانت كيفية الحصول على التمويل سرا . وأوضح «هناك العديد من الأموال السوداء (تمويل سري) موزعة فى عـدد من الأماكن ومستخدمة حول العالم فى مهام منوعة» . وحسب المسئول السابق فى الاستخبارات والجنرال المتقاعد فان الفوضى الموجودة فى ميزانية العـراق ، حيث لا يتم احتساب مليـارات الدولارات ، وسيلة لمثل هذه التحويلات .

وقال المساعد السابق فى مجلس الأمن القومى أن «هذا يعود إلى ايران ــ كونترا ، ومعظم مـا يقومون به هو لإبقاء الوكالة خارج الموضوع» . وأشار إلى انه لم يتم إطلاع الكونغرس علـى الحجم الفعلى للعمليات الأمريكية ــ السعودية ، و«السى أى ايه تسال : مـاذا يجـري؟ ، إنهـم قلقون ، لأنهم يعتقدون أنها ساعة هواة» .

إن الكونغرس بدا يهتم بعملية مراقبة هذه القضية . فى تشـرين الثـاني ، أصـدرت (لجنـة) الكونغرس للأبحاث تقريرا للكونغرس حول الإدارة الضبابية للعلاقة بين نشاطات الـ«سـى أى ايه» والنشاطات العسكرية البحتة ، والتى لا تشترط نفس الإجراءات . كما إن لجنة الاستخبارات فى مجلس الشيوخ ، التى يترأسها السيناتور جاى روكفيلير ، عينت جلسة اسـتماع فـى ٨ آذار حول النشاطات الاستخباراتية لوزارة الدفاع .

وقال لى العضو فى اللجنة السيناتور الديموقراطى رون وايدن «لقد فشلت إدارة بوش فى معظم الأوقات بتنفيذ تعهداتها بإطلاع لجنة الاستخبارات بشكل دائم (على نشاطاتها) . إن السؤال دائما «ثقوا بنا»...من الصعب بالنسبة لى أن أثق بهذه الإدارة[٢٢]» .

٢٢ http://www.newyorker.com/printables/fact/٠٧٠٣٠٥fa_fact_hersh

لا شيء يدعو هؤلاء للتأمل أو إعادة النظر فى منهجهم والطريقة التى يتعاملون بها مع الدين ، بعد كل ما جرى طيلة هذا التاريخ الذى عاشته الأمة الإسلامية ، كما أنه ليس هناك حاجة لأى نوع من الأسف أو الندم ولا حتى على مقتل الحسين بن على بن بنت رسول الله ، خاصة بعد أن روى من روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله (أن من جاءكم ليفرق جمعكم وأنتم على قلب رجل واحد فاضربوه بالسيف كائناً من كان) ! وقد ارتكب الحسين هذا (الخطأ) فكان من الضرورى أن يقتل ، كما كان من الضرورى هدم الكعبة بعد أن تحصن بها ابن الزبير ، ليتسنى لنا أن نلتف حول يزيد بن معاوية وكل يزيد يأتى من بعده إلى يوم الدين !!

اللوحة والغلاف للفنان / مجاهد العزب

المحروسة